صلاح جواد شُبّر

تربية العائلة في الغرب

قصص من الواقع لكل من هاجر أو يريد أن يهاجر إلى الغرب لتجربة آمدها ٣٠ عاماً



وجه من مسيرة صراع الحضارات

العارف للمطبوعات

تربية العائلة في الغرب

وجهٌ من مسيرة صراع الحضارات

صلاح جواد شُبّر

تربية العائلة في الغرب

وجهٌ من مسيرة صراع الحضارات

قصص من الواقع لكل من هاجر أو يريد

أن يهاجر إلى الغرب لتجربة أمدها 30 عاماً

العارف للمطبوعات

تربية العائلة في الغرب
وجهٌ من مسيرة صراع الحضارات

صلاح جواد شُبّر

الطبعة الأولى 2014
القياس: 17 x 24
عدد الصفحات: 271
ISBN 978-614-441-029-5

نشر وتوزيع

شركة العارف للأعمال ش.م.م.

بيروت – لبنان
00961 1452077
العراق – النجف الأشرف
00964 7801327828
Trl: www.alaref.net

التوزيع في الجزائر والمغرب العربي:
دار الأبحاث للطباعة للنشر والتوزيع
الجزائر – هاتف: 744281 ـ 21 (00213)
البريد الإلكتروني: www.alabhaath@.com

التوزيع في الأردن:
دار المناهج للنشر وللتوزيع
الأردن – هاتف/فاكس 4650624 00962
البريد الإلكتروني: info@daralmanahej.com

الإهداء

أهدي كتابي إلى كل الآباء والأمهات الذين يُحبون أبناءهم ويُحبون أن يفتخروا بمستقبلهم... حتى إذا ما جاء نتاجهم مكتملاً أمام أعينهم، جلسوا قبالته يَدلّون عليه: إن هذه إلّا هي مجاهدة أيديهم... ولكن حضارة التغيير والتكنولوجيا لا بد أن تدق فيهم بعض مناقيرها، والبلبلة بعض سنانيرها.

فيمتد إليهم التشويه ينهب من قيمتهم وينال من رونقهم.

أهدي كتابي إلى كل من يريد من أبنائه إلّا أن يكونوا شخصيات مزهوة تستعير ألوانها من أذنابها، وتتباهى أحسابها بأنسابها، وتتوهم أنها تستطيل، ولكنها تذوب مع أطلالها.

إلى كل من يريد أن يهاجر إلى الغرب أماً، أو أباً، أو ابناً، أهدي...

الإهداء

أهدي كتابي إلى كل الآباء والأمهات الذين يُحبون أبناءهم ويُحبون أن يفتخروا بمستقبلهم... حتى إذا ما جاء نتاجهم مكتملاً أمام أعينهم، جلسوا قبالته يَدلّون عليه: إن هذه إلّا هي مجاهدة أيديهم... ولكن حضارة التغيير والتكنولوجيا لا بد أن تدق فيهم بعض مناقيرها، والبلبلة بعض سنانيرها.

فيمتد إليهم التشويه ينهب من قيمتهم وينال من رونقهم.

أهدي كتابي إلى كل من يريد من أبنائه إلّا أن يكونوا شخصيات مزهوة تستعير ألوانها من أذنابها، وتتباهى أحسابها بأنسابها، وتتوهم أنها تستطيل، ولكنها تذوب مع أطلالها.

إلى كل من يريد أن يهاجر إلى الغرب أماً، أو أباً، أو ابناً، أهدي...

مقدمة

شاء القدر أن يقذف بنا إلى عالم آخر، مختلف كلياً عن واقع ظروفنا وأعرافنا وتقاليدنا التي عشناها في بلداننا العربية، وكانت هنالك الهجرات الكبرى التي حلت بنا، بسبب الواقع السياسي الذي يتحكم بمصير أكثر الدول العربية والإسلامية، وكانت تلك الهجرات نقاط تحول كبرى على نظرتنا إلى الحياة، وإلى تعقيداتها. وكانت تلك التحولات أكبر أثراً وأكثر انعطافاً في حياة الأجيال من أولادنا، ومن أحفادنا وما تبعهم من متعلقيهم، وعندما حانت ساعة المواجهة ما بين أفكارنا -نحن الآباء- على أولادنا، وجدنا أن الاختلاف واسع جداً، وأن المحيط الغربي قد أخذ مأخذه باعتباره ثقافة، ومسيرة حياة، وعقيدة لها نظرتها وحضارتها مما نعتقد به نحن المسلمين.

إن الكثير من العوائل عندما تهاجر إلى الغرب لم تكن تدرك خطورة الهجرة، ولم تدرك معاني أن تدع أولادك وعائلتك فريسة لأنياب الحضارة الغربية التي تبدو للغربيين أنها نهاية التاريخ في انسيابيتها وواقعيتها، ومع أننا سواء اتفقنا في هذه النظرة أم لم نتفق فإننا في ذات الوقت نرى أن الحضارات والأفكار هما في صراع دائم سواء أكانت تلك الحضارات مرتبطة بالمُثُل السماوية، أم بالأفكار الوضعية، وهذه هي سُنّة كبرى من سنن الفكر الإنساني هما الذي يسير باتجاه البقاء للأفضل. شأنه شأن أي قضية حياتية أو بيولوجية أو علمية أو ما شابه ذلك.

فالغرب حضارة، ولا أعني بالحضارة مفهوماً معاكساً للتأخر، ولكنني أعني أنه نظرية لها أدبياتها الفلسفية والعلمية. وهذه الحضارة في صراع مع بقية حضارات العالم الأخرى، مبنية على مفهوم (الحرية) و(الديمقراطية)

(والفردية) وتتفرع من تلك المفاهيم الثلاثة الكثير من القواعد السلوكية والأخلاقية والعلمية التي تعمل على إشباع غرائز الإنسان وطموحاته بموادها وفلسفتها ونظرتها إلى الأشياء.

وعندما نعيش نحن المسلمين في عالم الغرب وفي محيط الصراع الحضاري غير المتكافئ[1]، تكون المعركة غالباً متسترة، بل نجدها تنشر عوامل الخسارة في نفوسنا، لا بسبب تفوق الجانب (الفكري) (الثيولوجي) (النظري) لحضارة الغرب أبداً، ولكن سبب الخسارة هو الفكرة الواقعية لأحداث المعركة بغض النظر عن عمق الجانب النظري، فكم من المصلحين والأنبياء والمغيّرين في التاريخ البشري فشلوا في حسم المعركة لصالحهم بسبب عملقة وقدرات الجانب الآخر لوجستياً وتنظيمياً وموقعياً، أو بسبب تفهم الجانب الأول للأفكار التي جاء بها أولئك المغيرون أو العلماء أو الأنبياء.

---

(1) مصطلح (الثقافة الغربية) يستعمل للإشارة إلى مجموعة التراث الثقافي التي تشمل المبادئ الاجتماعية والأخلاقية، العادات والتقاليد المحلية والمعتقدات الدينية، الأنظمة السياسية ومجموعة الآثار والأعمال التاريخية وأيضا التقنية منها. الثقافة الأوروبية تقوم على عدة أسس أهمها: أولاً: النتاج الثقافي لحضارات الإغريق والرومان وعصر النهضة، وتشمل الأعمال الفنية، الفلسفية، الأدبية، مجموعة القوانين والتقاليد الشعبية. تشمل أيضا التأثير الثقافي المكتسب من هجرة الجماعات العرقية الأخرى المكونة للقارة مثل السلاف، الالمان، الغجر وغيرهم من الشعوب وتأثير العالم الإسلامي المباشر على تلك الثقافات، ثانياً: تأثير الثقافة المسيحية الإنجيلية في طرق العيش اليومية من الإيمان الروحي، الأسرة والملبس والمأكل والعادات والتقاليد الشعبية إضافة إلى مبادئ الأخلاق، بالأخص في فترة ما بعد العصور الوسطى كما وشكلت حياة وتعاليم يسوع والتي مصادرها الرسميّة الكتاب المقدس أساس عقيدة المسيحية، وأحد أهم المؤثرات على الحضارة الغربية بمختلف فروعها، سيّما الوصايا العشرة، ثالثاً: تأثير ثقافة أوروبا الغربية والتي تشمل التأثير الفني، الموسيقي، الفلكلوري، الأخلاق والعادات المتناقلة شفوياً خاصة في العصر الرومانسي، هذا المصطلح يشير للدول التي أثرت بشكل كبير على تلك الحضارة ولكن بالأخص على تلك التي شكلت أمبراطوريات وقامت باحتلال أو استعمار مناطق أخرى من العالم مثل الأمريكيتين وأستراليا ونيوزيلندا ولكنها ليست حصراً بدول أوروبا الغربية. راجع مادة ثقافة على موقع:
http://en.wikipedia.org/wiki/Culture.

وهكذا تموت الأفكار لا بسبب ضعفها النظري، وإنما بسبب عوامل أخرى تخص أدوات المواجهة ما بين القوتين.

فالغرب يملك قدرات عملاقة وضخمة جداً ليس في مواجهة الإسلام فحسب وإنما كل الأديان الأخرى، بل كل النظريات الفكرية اليسارية واليمينية وغيرهما من أفكار العالم الأخرى.

هذه العملقة لم تتأت -وأكرر ثانية- من القدرة الفكرية النظرية لأدبيات تلك الفكرة، وإنما جاءت بسبب القدرة اللوجستية والعلمية لمفردات نظريتها. وهو ما أدى إلى حالة سقوط أمم متعددة أمام الغرب، ولم تصمد أمام عنفوان مسيرة الغرب وقدراته[1].

العربي أو المسلم عندما يأتي إلى الغرب فانه -ومع الأسف- يقع في خطأين كبيرين:

أولهما: هو إهمال إشباع الروح العقائدية الإسلامية في داخل نفسه كما ينبغي أن يشبعها لمقاومة الحضارة الغربية.

ثانيهما: عدم إدراكه خطورة معركة الحضارات على نفسه وعلى عائلته، معتقداً بأن عملية المعيشة في الغرب هي سياحة.

وأمام هذين العاملين الكبيرين لم نر من قبل كل الجاليات الإسلامية التي عاشت في الغرب وخلال النصف الثاني من القرن الماضي وخلال العقد الأول من هذا القرن، لم نر محاولة فكرية أطلقها مفكر إسلامي في معالجة مشاكل العائلة الإسلامية في الغرب، وإنما جل ما تكلم به أولئك المصلحون هو ما استورثوه من أفكار وتعاليم قد لا تصلح لهذا العصر. وهو ما غيّر رياح معادلة المعركة، وسقط أمام ذلك أولادنا وفلذات أكبادنا لأننا لم نضع نظرية واقعية مدروسة لطريقة تنمية الفضائل الإسلامية في نفوس أبنائنا، بل إن

(1) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص46.

المخططين الاجتماعيين من المسلمين لم يضعوا، أو لم يتعبوا أنفسهم في دراسة هذه المشكلة الكبرى. بعكس ما قامت به الجاليات الأخرى وأخصّ منهم بالذكر مع محاولتي تجنب ذكر ذلك وهم (اليهود) الذين غيّروا الكثير من أعرافهم وتقاليدهم، لكي يتمكنوا من أن يضعوا خطأً أو مساراً جديداً مختلفاً عن مساراتهم السابقة في تعاملهم مع مستلزمات حضارة الغرب[1].

وهنا لا أريد أن أقول بصحة أو خطأ رأي اليهود في ذلك، ولكن أقول: إن هنالك على الأقل مبادرة من قبل تلك الجالية في التعامل مع مفهوم المواجهة الحضارية. وقد وجدت أن الكثير من العوائل الإسلامية -العربية خصوصاً- لم تخطط لمستقبل أولادها فيما يتعلق بذلك الصراع الحضاري على نطاق المفاهيم، ونطاق الالتزام والممارسات الدينية والفكرية، بل ركز الكثير منهم على الجانب الأكاديمي لأولادهم، واهتموا كثيراً بهذا الجانب إلى الدرجة التي نسي أولئك المسلمون أهمية التعادل بين الجانب الأكاديمي والجانب الاعتقادي الفكري، وقد تفهم أبناء الجاليات الإسلامية من الجيل الجديد ذلك النقص في عملية الموازنة. مما فسح الطريق أمامهم للتحلل من التزامات الجوانب العقائدية والفكرية التي كان آباءهم يحثونهم على ممارستها والقيام بها. وهي غالباً ليس من السهل الالتزام بها كالعفة والحجاب والصلاة ومنع النفس عن الشهوات والمخدرات ومداخل الجنس، وغيرها من الأمور الاعتيادية التي تعتبر عادية في سلوكيات الشباب الغربي.

وهكذا وخلال تجربتي في الغرب وجدت أنه من العقل أن أنقل لكل المسلمين، وكل من عاش في الغرب أو رغب في المعيشة هنا، أن يطلع على تجارب من سبقوهم، فإنّ العاقل من اتعظ بغيره، إذ أكّدت في هذه القصص الواقعية التي عشتها شخصياً أهمية الإبداع في خلق آليات جديدة في التعامل مع مفاهيم العائلة، مختلف عما هو في عالم الشرق، وكانت تلك التجارب

(1) Steven M. Cohen, March 16, 2008, Filed Under: World Jewry - Changes in American Jewish Identities: From Normative Constructions to Aesthetic.

هي دراسات وضعتها بشكل قصة لتسهيل تذكرها وتطبيقها وذلك انطلاقاً من الواجب الديني الذي يلزمني بذلك.

إذ كنت في تلك الأجواء أعمل جاهداً على حفظ ما يمكن حفظه وبطريقة -ومع الأسف- أقولها غير مبرمجة بما تنبغي أن تكون، لأنها فردية التوجه، وقد يختلف معي الكثير ممن يحملون نفس أفكاري من الزاوية التي أنظر فيها إلى هذه المسألة، ولكن ومهما كانت تلك التوجهات فإنني قد أكتب هذه المقالات لمن يريد أن يبادر إلى تحصين عائلته ونفسه من قدرات وعملقة حضارة الغرب التي تختلف في جانبها المثالي، أنا أعتقد أن هذه التجارب التي هي نتاج عمل أكثر من 25 سنة من عملي الإسلامي في الغرب فإنني في ذات الوقت أراها حجّة شرعية وعقلية على كل من يهاجر إلى الغرب، وكل من يهمه مستقبل الدين بما هو مفهوم عام كعلاقة ما بين الإنسان مع السماء، أو علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان في نطاق بناء المجتمع.

إذ أنني أنصح بقراءة هذا الكتاب.

وأسأل الله التوفيق لي وللجميع.

صلاح شبر، العراق - بغداد
مستشار وزارة الصحة العراقية
أغسطس 2014
salah.shubber@yahoo.com

التجربه الاولى



قرار صعب

قرار صعب

لم يكن عمر رامي أكثر من سبع سنوات عندما حطّت عائلته رحالها في مدينة (تورنتو)[1] قادمة من منطقة الخليج العربي بعد حصولها على الإقامة في كندا، كان الأب إنساناً لطيفاً ذا شخصية قيادية في أوساط من حوله، بسبب ظروفه العشائرية التي ترعرع فيها من حيث أن أباه كان يعده منذ صغره إلى استلام منصبه زعيماً للعشيرة التي كانت معروفة في البلاد العربية بقوتها وهيبتها الكبيرة، وعندما تلتقي به تتوسم فيه ملامح القيادة العربية، واستلام زمام أمور عشيرته وأهله، تزوج الرجل الكبير من امرأة تصغره سناً وتلك عادة من العادات العربية التي كانت سائدة بين بعض أوساط شيوخ العشائر، لأسباب كثيرة لسنا في مجال سردها، رزقت تلك العائلة بولد سمته (رامي) وكان في السابعة من عمره عندما جاءت العائلة للعيش في كندا، ثم بعد عشر سنوات رزقت ببنت قضت كل حياتها في كندا وفي تلك المدينة.

عاش رامي وترعرع في جو تسوده التقاليد العشائرية وأعرافها بالرغم من

---

(1) تورونتو هي أكبر مدن كندا وعاصمة مقاطعة أونتاريو، بدأ تاريخ المدينة في نهاية القرن الثامن عشر عندما اشترى المدينةَ التاج البريطاني، أنشأ البريطانيون مستعمرة هناك أسموها مدينة يورك، وهو الاسم القديم لمدينة تورونتو. فاق عدد سكان تورونتو 6 ملايين ونصف المليون نسمة وفقاً لإحصائية عام 2011، وبذلك تكون تورونتو خامس أكثر مدن قارة أمريكا الشمالية اكتظاظاً بالسكان بعد مكسيكو سيتي، ونيويورك، ولوس أنجلوس، وشيكاغو على الترتيب. يعكس تنوع أصول وأعراق سكان المدينة دورها كوجهة هامّة للمهاجرين إلى كندا حيث أن تورونتو هي إحدى أكثر مدن العالم تنوعاً من حيث نسبة المقيمين غير المولودين فيها، حيث ولد 49% منهم خارج كندا، اعتبرت تورونتو مدينة عالمية بامتياز، كما أنها اختيرت كإحدى أفضل مدن العالم معيشةً بصفتها العاصمة التجارية للبلاد. موقع كندا على: (www.canada.ca).

وجوده في بلاد بعيدة ومختلفة عن حياة العشيرة والقبيلة والأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في بلاد آبائه وأجداده.

فبلاد الغرب بكل ما فيها مختلفة تماماً في نظرتها وممارستها لهذه الأعراف، ولكنه كان قريباً جداً من أبيه، لم يكن فقط مجرد أب له، بل كان صديقه، وكاتم أسراره، وزميله، ومثله الأعلى.

وقد اتخذ الأب أيضاً من ولده صديقاً له حيث تغيب الأصدقاء في بلد مثل كندا، ويصعب إيجاد من يستأنس به الإنسان في مجلسه خصوصاً إذا كان ذلك الإنسان يصر في المحافظة على أعراف وطنه وأعراف عشيرته، حافظت العائلة بأكملها على التزامها الديني الإسلامي كالصلاة والصوم والمحافظة على الحجاب، والتزاماتها، وعلاقتها مع الآخرين، ولم يعرف عنهم إلّا حُسن السيرة ودماثة الخلق والذي ساعد هذه العائلة على المحافظة على كل ذلك هو أنها لم تعط نفسها المجال للاختلاط بالأجواء الغربية التي لا تتفق مع العادات العربية أو التقاليد الإسلامية، وبمساعدة العائلة تطورت الظروف عندما التحق رامي بالجامعة، بقي على ما هو عليه من حيث علاقاته مع الآخرين، فكانت الجالية هناك تلتقي بهما دائماً معاً -الأب ورامي- في كل المناسبات واللقاءات، فكانا يخرجان ويقضيان أوقاتهما وحدهما ومع أن البعض كان يرى في ذلك شيئاً من تقليص حرية رامي، أو وضع الحدود له وتحديد شخصيته، بينما يرى البعض الآخر أن ذلك لا يحد من حرية الأبناء، بل يقوي علاقتهم بالأهل، ويوطد علاقاتهم مع الذين يجب أن يختاروهم أصدقاء لهم في مجتمع الغرب الخطر.

تبدأ حياة رامي الجامعية، ويتفوق في الدراسة بشكل ملحوظ، ويحصل على منحة دراسية من المقاطعة، للتخصص في موضوع حيوي مهم يتعلق بالأمور الاجتماعية، وأصبح رجلاً له شخصية متزنة ومكانة مهمة، واطلاع جيد في الكثير من المجالات في العمل والحياة، ويرفض والده أن ينزل إبنه إلى ساحة العمل (Business) وهو في سنيّ الدراسة، بل كان يشجعه أن يتفوق

ويجتهد كي يحتل مركزاً مهماً في الحياة العملية لاحقاً، وبعد التخرج يليق بمنزلة أبيه العشائرية.

وفي سني رامي الأخيرة في الجامعة قرر أبوه أن يجد له زوجة صالحة تعينه على مواجهة الحياة ومصاعبها ومغرياتها، لأن الشباب في هذه الفترة من الحياة غالباً ما يبدأون بالتفكير بموضوع الزواج، وتأسيس عائلة، خصوصاً وهم على أعتاب التخرج، ثم بعد ذلك الدخول إلى معترك الحياة العملية، وهو عنصر ضاغط على تفكير الشاب، وعلى تكوين شخصيته، والتفكير بشريكة الحياة يوفر للشاب استقراراً كبيراً أثناء فترات الجامعة ويدفع عنه الكثير من الشبهات[1].

كان الأب يرى في ابنه أمله في الحياة، ويتمنى له مستقبلاً باهراً، كان يأمل دائماً أن يكون ابنه محط أنظار الناس ومفخرة عائلته وعشيرته، وكان يرى فيه إنساناً ناجحاً ذا شخصية قوية لها ثقلها في المجتمع، وكان يتمنى له أن يجد عملاً بعد التخرج في الشرق الأوسط بدلاً من البقاء في الغرب.

ومن هنا بدأ الوالد بالسؤال والبحث عن زوجة صالحة لإبنه، ولم يمانع رامي أن يبادر والده إلى كل ذلك وبخاصة أن الوالد بدأ يبحث بين أقربائه ومعارفه وأصدقاؤه عن فتاة لائقة بشخصية إبنه، ولم يكن رامي يعارض توجهات أبيه في طريقته في اختيار الزوجة، بعكس أولئك الشباب في الغرب الذين كانوا متعطشين للتحرر والانجراف في حياة الغرب وملذاتها.

وتشاء المصادفة أن يتعرف الوالد على إحدى العائلات العربية الملتزمة هنالك وكانت تحمل جذوراً مشابهة لجذور عائلته، فوالد الفتاة يحمل شهادة عالية يعمل بروفسوراً في إحدى الجامعات الكندية، ويدرس مواد علمية تقنية،

---

(1) إذ أنّ معدل الزواج في كندا هو 4,7% ففي عام 2000 تزوج 158 الف شخص، عام 2001 تزوج 147 الف شخص وكان معدل النقص في الزواجات هو -6,8%. راجع في ذلك:

The Daily. Statistics Canada. November 20, 2003.

أما الفتاة فلم تتجاوز الثامنة عشرة ولكنها كانت تحمل كل معاني الأنوثة واللياقة واللباقة، ولم يكن من الغرابة أن يكون تاريخ العائلتين متشابهاً، فقد هاجرت عائلة الفتاة وكان اسمها (رجاء) إلى كندا في أواخر الثمانينيات وكانت آنذاك طفلة صغيرة، كبرت رجاء وترعرعت في كنف والديها الملتزمين، حتى وصلت إلى سن التكليف الشرعي، فلبست الحجاب وأكملت دراستها الابتدائية والثانوية، فأصبحت مثال البنت الرصينة الملتزمة، ويشهد الجميع لها بحسن السيرة والخلق.

كان أبوها وكذلك أمها تعاملها معاملة تتجاوز حدود العطف، ولذلك كانا يحرصان أشد الحرص على توفير كل شي لإبنتهما من ناحية علاقتها مع الأخريات، فهما لم يحددا رجاء في اختيار صديقاتها ولم يشددا عليها في كيفية الاختيار والتعامل مع الفتيات والشباب من حولها، فمعظم صديقاتها كن من المحجبات، ولكن الشيء المهم هنا هو أن تعلم العائلة بأن الحجاب وحده ليس كافياً في تزكية الإنسان، لأن الكثير من المحجبات التزمن بهذا اللباس كعادة أو كتقليد عائلي أو لأي سبب آخر، والبعض يجدنه عائقاً في بلاد لا تجد فيها الكثير من المحجبات، أو يمكن أن يكون الحجاب للبعض واقع حياة ومحيطاً مفروضاً من قبل العائلة فتراهن يعشن ازدواجية في شخصياتهن وسلوكهن بين البيت والخارج، فنرى أن تأثير الغرب على رجاء ومثيلاتها كان أشد خطورة من أي شيء آخر، وحرصت أم رجاء على الاهتمام بهذا الجانب، وكانت حريصة أشد الحرص على أن تتمتع ابنتها غاية التمتع في حياتها الطبيعية وعلاقاتها مع الآخرين وغيرها من الأمور الأخرى، وكان الأب مختلفاً بعض الشيء مع ما تفكر فيه الأم، ولكنه كان لا يمانع بطريقة تربيتها لرجاء[1].

تكبر رجاء وتنطبع شخصيتها بطابع المرح والاعتدال، والبساطة في

(1) Dulce Zamora, Is Your Child Spoiled Rotten? Experts tell parents how to decode the spoiled child.

مختلف أمور حياتها، فأصبحت إنسانة مرحة، أو كما نقول في الغرب: أصبحت (Fun).

استشار أبو رامي أحد أصدقاؤه في مسألة التقدم لطلب يد رجاء لإبنه مع وجود الاختلاف في شخصية الطرفين وطباعهما، وبعد السؤال والحوار قرر الأب أن يتقدم ويطلب يد رجاء لإبنه رامي.

ويلاقي أبو رامي قبولاً من أهل رجاء، فيتعرف العروسان على بعضهما لفترة قصيرة، ثم يتفقون على عقد القِرآن الشرعي على أن لا يتم الزواج إلّا بعد انتهاء رجاء من دراستها الجامعية.

اتفق الطرفان على هذا الشرط، لأن أهل رجاء كانوا حريصين على أن تكمل إبنتهم دراستها، ولم يمانع رامي وأهله أيضاً ما دامت العلاقة أصبحت شرعية بينهما، ولم يكن يمانع أن تكمّل رجاء دراستها وتحقق آمال أهلها وأمنيتهم في أن تصبح ناجحة في يوم من الأيام.

يعيش الشابان حياة هادئة تنعم بالمحبة والسرور في علاقة تسودها مبادئ الإسلام وسمة الاحترام، ومع الأيام صارت علاقتهما أكثر عمقاً، فقد وجدت رجاء في شريك حياتها المستقبلي الثقة والاحترام، ونبل المعاملة والرجولة المرجوة واعتزازها بشهادته الجامعية، وفي تدينه وشخصيته، أما رامي فهو كذلك فقد وجد في رجاءاً فتاة صالحة ومحبة للخير والعطاء.

تمر السنة الأولى مليئة بالخير والمحبة بين الزوجين الشابين وهما مرتبطان ارتباطاً شرعياً، ولكن كلاً منهما يعيش مع أهله، لأن أهل رجاء - وخاصة أمها- كانوا مصرّين على أن تكمّل رجاء دراستها، ومن ثم يحددان موعد الزواج، وهكذا وفي مثل هذه الحالات تكون العلاقة علاقة زيارات ولقاءات خارج البيت، كزيارة الأصدقاء أو الذهاب إلى الأسواق أو حضور المجالس والاجتماعات الدينية أو غيرها.

وبمرور الوقت تبدأ شخصيتا الزوجين تُظهر اختلافات عديدة. فرامي كان

ذا شخصية عاقلة هادئة لا يتكلم كثيراً، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، وكان في علاقته مع رجاء يحرص على هذا الجانب جانب الرزانة، والهدوء والرصانة، والابتعاد عن تصرفات الشباب الغربي في طريقة التعامل أو الاهتمام بالشكل، كإطالة الشعر أو شكل الملابس وفي ممارسة الهوايات وغيرها من الأمور الغربية، وكان يرمي من كل ذلك أن يغير الصفات التي وجدها في زوجته، التي زرعها أهلها فيها، وهو الميل إلى المرح والدعابة مع هذا وذاك، ومن هنا بدأت المشكلة، ولكن كيف بدأت...؟

أم البنت كانت تنظر إلى ابنتها -رجاء وفي ظروفها التي تعيشها في الغرب- بنوع من الألم باعتبار أن ابنتها محجبة، وأنها لا تتمكن أن تقوم بالأشياء التي تقوم بها قريناتها من الأخريات، فلذلك كانت تشفق عليها أشد الشفقة، وترى في ذلك ألماً لابنتها وحرقه لقلبها، وعليها -أي الأم- أن تعيش حالات الحزن لحرمان ابنتها من فرص اللعب والمتع، وما تمارسه البقية من البنات في مثل سنها أثناء وجودهم في الغرب.

تعمقت حالة الشعور بالألم تجاه ابنتها، وهو ما دفعها إلى إظهار ذلك أمام ابنتها في القول لها وعلى الدوام: بأنك يا ابنتي محرومة من متع الحياة وملذاتها، وبدأت تعتقد بأن ابنتها ستعيش طيلة حياتها وهي محرومة من حقوق الإنسانية، وحقوق التمتع من ملذات الحياة -الشرعية طبعاً- أما الزوج الشاب فإنه جديّ في علاقته، متزن في شخصيته.

الأم كانت ترى في أن هكذا شخصية سوف لا يحقق لابنتها فرص التمتع بالحياة، لأنه جدي وعملي، بينما هي كانت تريد لابنتها شخصية تفكر أولاً كيف يوفر الزوج لابنتها أسباب المتع في الحياة، وكانت تقول له وبشيء من العتاب: إنك لم تأخذ رجاء إلى كذا مكان وكذا محل وكذا مناسبة، فهي تطمح في أن يكون هذا الولد له مقومات الشاب الغربي، ولكن ضمن حدود الشرعية من قبيل الملابس والتقليعات وغيرها، لأن الأم منذ أن حل بها المقام في كندا كانت تضرب اليد بالأخرى ألماً على ابنتها التي ما

فتثت تتقول دائماً عنها: إنها محرومة وإنها مسكينة، لأنها لا تتمكن من أن تقوم بما تقوم به الشابات الأخريات، وكانت ترى أن الممارسات التي لا تتعارض مع الدين، والتي تجري ضمن حدود الشرع، على ابنتها أن تمارسها، لكي لا يكون ذلك مدعاة لابنتها في أن تشعر بالحرمان من ملذات الحياة[1].

هذه الفكرة هي فكرة صحيحة في مجملها ولكنها تحمل في طياتها الكثير من المخاطر، خصوصاً إذا علمنا أن الحياة بحر عميق لا يمكن الغوص فيه، ولا يمكن لأي إنسان أن يشبع منه مهما أوتي من ملذات الحياة، فهي كما عبر عنها أحد العلماء بالقول: (إن الدنيا كماء البحر كلما زاد الإنسان شرباً منه ازداد عطشه)[2].

فعندما نفسح المجال لأبنائنا، أو لأنفسنا في أن نتناول كل متع الحياة (الشرعية منها طبعاً) فإنّ ذلك سوف لن يقتصر على حدود ذلك المُباح منها، باعتبار أن المسافة بين الحق والباطل أحياناً تقترب حتى يصعب التفريق ما بين الحلال والحرام.

وقد أكد العلماء ذلك بتسمية تلك الظاهرة (أماكن الشبهات) وحرّموا أي طريق يوصل الإنسان إلى تلك النقطة، في غالب الأحيان من يفكر بمتع الحياة بتلك الصورة الكبيرة، فإنّ الحياة سوف لا تدعه يعيش محاسنها، وإنما لا بد أن تنقله إلى المراحل الأخرى عن وعي أو غير وعي، حتى تجاوز الحدود قد لا نشعر بها أحياناً كثيرة وهو ما يدفعنا إلى الدخول في حيز المحرمات ونبدأ في تبرير ذلك لأنفسنا ضمن ذرائع كثيرة يُحسّن ذلك الشيطان لنا[3].

المهم، بدأت أم رجاء وبقناعة تامة ترى أن نسيبها رامي بشخصيته هذه سوف يحرم ابنتها من ملذات الحياة ومتعها، وإنها سوف تخسر الدنيا، ولذلك فعليها أن تعمل شيئاً ما لصالح حال ابنتها.

---

(1) Why You Should Spoil Your Spouse In A Down Economy. Evan Richter,

(2) تحف العقول عن آل الرسول، الحراني 396.

(3) ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

أما والد رجاء فإنه غالباً ما يعتقد بأن قرارات زوجته قرارات حكيمة جداً، مع أن الفارق العلمي بينهما كبير فهي تحمل شهادة البكالوريوس، بينما هو يحمل شهادات جامعية راقية منها الدكتوراه، ولكن مع ذلك فهو لا يفكر في صلاحية قرارات زوجته الخاصة بأمور العائلة وشؤونها، وإنما يأخذها على أنها من المسَلّمات المؤكدة. فهو لا يناقش الأم بما تفكر به خطأً كان أو شبهه.

وأخيراً قررت الأم تطليق ابنتها بعد أن أملى عقلها فكرة التكالب على الحياة ومُتعها وملذاتها. فاتحت ابنتها وقالت لها: ابنتي ألم تري أن رامي هذا يمنعك من الذهاب إلى حفلات صديقاتك، ويمنعك من السفرات الخاصة وارتياد دور السينما وغيرها. فإنه بالتأكيد إن كان يتصرف معك في هذه الظروف بهذه الطريقة فبالتأكيد سيكون عليك فرعوناً، وسيمنعك من أبسط متع الحياة[1]، لم تجب رجاء أمها، لأنها لم تتعود أن تناقض آراء أمها، بل كانت تعتقد بأن أمها على صح دائماً.

صار قرار الطلاق أمراً لا مفر منه في ظل سكوت الأب، وعدم إدراكه خطورة ما تقوم به المرأة زوجته معتمدة على أفكار بالية زرعها المجتمع في ذهنها خطأً.

وفعلاً طلبت من ابنتها أن تطلب من رامي الطلاق، ثم قامت ومنعت ابنتها من لقاء زوجها، وفرضت الأمر الواقع وحققت الطلاق مع ذهول الزوج، ومفاجأة الجميع.

تشخيص المشكلة:

* إن تربية الأبناء يجب أن تبدأ منذ الصغر، ومنذ أن يبدأ وعي الطفل بالتلقي.

(1) Contemplating Divorce, Whether you should stay or go, Susan Pease Gadoua.

* أن تكون المبادئ التي يعلمها الآباء أبنائهم منطلقة من نقاط ثابتة لا من مشاعر الأبوين، فمثلاً لو كان الأبوان، أو أحدهما قد عانى من مشكلة الحرمان من اللعب في صغره، ويرغب في أن يوفر ذلك الجانب لإبنه، فانه يجب أن لا يندفع بشكل صارخ في تحقيق ذلك، بل عليه أن يتأنّى في ترشيد هذه الحالة.

* على الآباء أن يعلموا بأن اللعب والاستمتاع بملذات الحياة ليس هو غاية بحد ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل نمو عقل الطفل وتكامله، فالإفراط له جوانب سلبية كبيرة على شخصية الطفل في المستقبل.

* أن يعلموا بأن استجابة الأطفال لعملية اللعب والمرح تختلف باختلاف شخصية الطفل، فهنالك من الأطفال من يتوقف عن اللعب وهو في سنيه الأولى، بينما نرى العكس في البعض الآخر من الأطفال، بل قد تبقى ثابتة في شخصيات البعض إلى حين الكبر، كما علينا أن ندرك أن الغرب بكل انفتاحه يحاول أن يستثمر رغبات الطفل لتحقيق أهداف خاصة به منها: أهداف غربية، ومنها أهداف تجارية، ومنها أهداف خلقية، فالانسياق وراء صيحات الغرب في فسح المجال للطفل في أن يعمل ما يشاء غير صحيحة، ولا تخلو من سلبيات علينا أن نعالجها بدقة وعقل.

* حياة اللعب والمرح غريزة موجودة في الطفل شأنها شأن بقية الغرائز الأخرى مثل: الخوف والجوع واللذة وغيرها من الأمور، وعندما يتقدم الطفل بالعمر تبدأ الغرائز تلك بالترشيد نحو التقنين والتوجيه، وعلى الأبوين أن يراعيا حالات الترشيد تلك، وأن يغورا في عقلية الطفل ونموه وإدراكه، فمثلاً لا يمكن أن يسمح لإبنه أو ابنته أن تلعب بالتماثيل الصغيرة (اللعب) عندما تصل إلى عمر سبع سنوات أو تسع، لأن تلك اللعب تنسجم مع أعمار صغيرة، وعليه أن يقتني اللعبة الملائمة لإبنه، أو ابنته، التي من خلالها تتطور عقلية الأبناء نحو الإبداع، فالنظرة الواقعية إلى جانب اللعب عند الطفل هي تنمية عقليته نحو العطاء والرزانة، فاللعب ليس هدفاً بحد ذاته، وإنما وسيلة

لتنمية ورعاية نمو تفكير الطفل[1].

* هنالك من الآباء والأمهات من يرغبون في أن يروا ابنهم أو ابنتهم في مرحلة اللعب، لأن تلك المرحلة تشعرهم بنوع من الراحة والطمأنينة النفسية لهم -أي للأبوين- فلذلك فهم يحاولون أن يغمضوا أعينهم عن دخول أطفالهم في مراحل أخرى غير الطفولة، ولا يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن طفلهم هذا قد تجاوز مرحلة الطفولة، ودخل مرحلة الاعتماد على النفس. فنراهم يكلمون أولادهم بلغة الطفولة ويتعاملون معهم بأسلوب الطفولة بحيث يقتلون في ذات الطفل القدرة على التطور والدخول في مرحلة الرجولة، أو الشباب وتجد أن ذلك غالباً ما يخلق في عقلية الطفل حاجزاً من الدخول في المجتمع ومصارعة تغيراته، ومصاعبه فيبقى ضعيفاً يعيش أفكار الطفولة حتى وهو في سن الشباب[2].

* عندما يدخل الطفل -فتى كان أم فتاة- في سن المراهقة على الابوين أن يدركا أن ابنهم قد عبر أعتاب عالم جديد. فهو مهيأ الآن للتكامل الشخصي، من حيث التلقي أو من حيث المعرفة أو التفكير، وهذا يتطلب من الآباء في أن يغيّروا من أسلوب التعامل معه الذي كان متبعاً عندما كان الطفل في أعمار دون السابعة، ولكن هذا لا يعني أن التعامل سيكون متجاوزاً سنة وعقله، فقد وجدت بعض الآباء يعاملون أولادهم وهم في أعمار ما بين السابعة عشرة وكأنهم رجال. وذلك في طريقة مخاطبتهم أو في طريقة التعامل معهم، وهذا الأسلوب غالباً لا يخلو من فوائد، ولكنه يحمل عناصر من الخطأ كثيرة أهمها: هو تحميل عقلية الطفل أكبر من حجم عقليته الواقعية، فالتطور في المعاملة مع الطفل يستلزم أن يكون تدريجياً ومدروساً، وملائماً لقدرته على الاستيعاب، بعض الآباء يكني إبنه دون العشر سنوات أمام الآخرين، وهذا الاسلوب غالباً لا يخلو من فوائد، ولكنه يحمل عناصر من

(1) Age Determination Guidelines - Consumer Product Safety... JA Therrell.
(2) CHILDREN ARE NOT LITTLE ADULTS, Children's Health and the Environment.

الخطأ كثيرة أهمها: أن الأب يطلب من إبنه أن يرفع ثقلاً قدره خمسون كيلو غرام في الوقت الذي لا تتعدى فسيولوجية ذلك الجسم على حمل أكثر من خمسين غرام[1].

العلاج:

* أولى نقاط العلاج في هذه الأمور: هي النقاط العامة التي نشأ عليها الأبوان في التعامل مع العواطف تجاه أبنائهم منذ أن رزقهم الله بالأولاد. حيث يتطلب الأمر منهما في أن يكتما من جموح تلك العواطف الجياشة والمحبة تجاه أولادهم. وعليهما أن يتقنا ذلك الحب، وأن يستشعرا بأن الحب غير المنسق وغير الموجه سيؤدي إلى عواقب سيئة على الطفل[2] وهذا معناه: أنّ الحب والمودة تجاه الأطفال تحمل اتجاهين: إتجاهاً ذاتياً واتجاهاً خارجياً، فالاتجاه الذاتي هو أن الحب ومداعبة الطفل وتدليعه فيه سرور عميق للأبوين، والأب يمارس تلك الحالة كشعور داخلي للتمتع واللذة التي ينالها من عملية تعكس مشاعره اتجاه إبنه وابنته، كما هو عليه من سلوك آبائنا وأمهاتنا تجاه أولادهم فهو يداعبه لتحقيق إشباع رغبة للتمتع والراحة. النوع الآخر: هو الاتجاه الخارجي. وهو الحب تجاه الطفل لذات الطفل، لا لذات الأب لما يحمله الطفل من معاني سامية، وذلك في خلقه وفي تركيبته، وفي براءته، وفي دقة تكوينه، وفي سبيل هدف سامٍ يطمح إليه الأب في أن يرى شخصيته في هذا الكائن الجديد[3].

* ومع إننا نعترف بأن الشقين المذكورين في حب الأولاد. قد لا يمكن التمييز بينهما، أو التعريف على الكثير من سلوك الآباء تجاه أولادهم، ولكننا

---

(1) Guiding Children Toward Positive and Responsible Behavior.

(2) الطفل المدلل يسمى في الانكليزية (Spoiled) في بريطانيا يسمى (Brat).

(3) وهذا تماماً ما كان الرسول الأعظم ﷺ يشير إليه، كما رواه مسلم في صحيحه تجاه أولاد ابنته بأنه قال (حسين مني وأنا من حسين).

ندعو كل أب مسلم إلى تفهم وإدراك أهمية الجانب الثاني من الحب، لانه الجانب الأعمق في التربية والجانب الأهم في التوجيه.

* من هذا المنطلق يتطلب من الأب أو الأم أن يدركا منذ اللحظة الأولى لقدوم المولود الجديد إلى هذا العالم، أن يدركا بأن المولود الجديد هو أمانة أودعها الله سبحانه وتعالى لدى الأبوين لتنشئته وتربيته ليتحول إلى عنصر من عناصر الايمان لتحقيق عبادته[1] وهذا معناه: إن التقنين والترشيد في التعامل مع القادم الجديد مطلوبان ومهمان، وان ذلك جزء من حفظ هذه الأمانة[2].

* فإذا أدرك هذا الجانب فإنهما سيتعاملان مع الأمانة الجديدة بأسلوب الحفاظ عليها، وذلك باتباع الجانب الثاني من جوانب الخير تجاه الطفل، فإذا بدأ الآباء ذلك الجانب منذ البداية في تعاملهم مع أبنائهم فإنّ الحب الموجه سيكون دوره عظيماً في بناء شخصية الطفل، وتوجيهه نحو الخير والعطاء، إذن الخلاصة هي أن يبدأ الآباء عملية فهم الجانب العاطفي منذ البداية، ومنذ الأيام الأولى لقدوم الطفل إلى هذا العالم، لأن التأخر في إدراك هذا الجانب سيقوي الجانب الأول، وهو الجانب الذاتي أو الجانب الانفعالي غير الموجه للحب تجاه الأولاد على حساب الجانب الثاني من فلسفة حب الأولاد، وعندئذ يصعب في المراحل المتقدمة من عمر الطفل أن يبدل الآباء طريقة الحب تجاه أولادهم.

* أن يفكر الآباء في مسيرة حياة الطفل بمصلحة الطفل أولاً لا بمصلحتهم، وهذا معناه أن مصلحة الطفل أو الابن قد تتعارض مع مصلحة الآباء، ففي قضية رامي ورجاء إنطلق الأبوان في طلاق ابنتهما، من خلال رغبتهما لا رغبة إبنتهما، لأنهما اعتقدا أن شخصية رامي الرزينة لا تلائم

---

(1) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].
(2) تربية الطفل في الإسلام.

شخصية ابنتهما المرحة، مع أن الواقع هو أن الرزانة والكياسة صفات محمودة لا من نوع الصفات المذمومة[1].

* أو قد تقول أيضاً إن الشخصية التي أرادها الأبوان لابنتهما هي شخصية منطلقة من ذهنيتهما، مع أن الحقيقة هو أن الأبناء قد يختلفون عن آباءهم في امتلاكهم ونظرتهم إلى نوع الشخصية التي يحبونها. وهذا معناه أن الابوين اتخذا موقفاً وكأنهما هما المقصودان بعملية الزواج لا إبنتهما[2].

* فالكثير من الآباء وخصوصاً العرب من الذين يعيشون في الغرب تجدهم يرفضون الزواج، والتزويج لأبناء الجاليات المسلمة الاخرى انطلاقاً من مفاهيم إجتماعية عاشها الأبوان وهما في الشرق. وفي ظروف اجتماعية تفرض عليهما عدم تزويج الأجانب، مع أن الغرب وفي انفتاحه العام، وفي مفهوم عولمة الإسلام يستلزم من العوائل أن يدرسوا هذا الجانب الناشئ من الانفتاح، ومن المطاطية والتمعن (سنبين هذا الموضوع لاحقاً)، ومع أن الفتاة أو الفتى أحياناً ترى في شخصية القادم الجديد بأنه الشخصية المناسبة لها، ومع إدراك الأبوين بتحلي ذلك النموذج بصفات المسلم الملتزم، ولكنهم يرفضون ذلك الزواج، لسبب هو: أن الشريك الجديد -فتاة أم فتى- من جنسية أخرى[3].

* أن يُعلّم الآباء منذ بداية السابعة من العمر ابنهم أو ابنتهم على اتخاذ القرارات، وأن يعلموهم أيضاً (وهذا أساسي) على تحمل تبعات القرارات، فمثلاً لو قرر الابن أو البنت السهرة على التلفزيون، وإهمال واجباتهما لكي يذهبا في اليوم التالي إلى المدرسة ويحصلا على تقريع من قبل الأستاذ. ففي هذه الحالة لا يصح من الآباء التدخل في رفع ذلك التقريع، أو الشكوى لدى

---

(1) 30 Quotes on Parenting: Learn what these well-known people had to say about parenting. Stephanie Sarkis.

(2) (لا تُكرهوا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خُلقوا لزمانٍ غير زمانكم)، نهج البلاغة، الإمام علي.

(3) ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجرات: 13].

إدارة المدرسة، لأن قرار عدم الدراسة أو السهرة أمام التلفزيون له عواقب، والعواقب يجب أن يتحمل مراراتها الطفل نفسه لانه بملء إرادته اتخذ قرار السهرة واتباع العمل الذي شغله عن أداء واجبه، وهنا يجب على الأب أن يعلّم الطفل أهمية هذا الجانب، جانب تحمل عواقب أي قرار يصدر من الطفل، وهذا ينطبق على العلاقات، وعلى السلوك، وعلى غيره من جوانب حياة الطفل[1].

* في حالة قضيتنا التي نحن بصددها كان يجب على أبوي رجاء أن يُذكّرا ابنتهما بأن قرار الاقتران برامي هو قرار تابع لها، نعم ممكن الاستئناس برأيهما كأبوين، ولكن شقاء أو راحة رجاء متعلق بقرارها هي، ولذلك فقبل الإقدام على مشروع الزواج يحفز الأبوان ابنتهما على دراسة مشروع الاختيار، وأن قرار(نعم) أو (لا) سيلحق عواقبه سلباً أو إيجاباً بها شخصياً أولاً، ثم بالعائلة ثانياً، حينما اختارت رجاء شريك حياتها بنفسها، وبعد دراسة وبمساعدة العائلة وإرشاداتها، فإنّ قرار الاقتران يجب أن يرجع لها هي شخصياً (وبمساعدة العائلة أيضاً) وبمعنى آخر: أن من مسؤولية الآباء أن يُعلّموا أبنائهم على عواقب تحمل تبعات قراراتهم، لا أن يتدخلوا في إزالة العواقب السيئة من جرّاء قرار اتخذه الابن أو البنت، لأن ذلك سيترك الحرية للأبناء في التمادي بهذا الجانب ما دام الجانب السيئ ممكناً تركه إلى الأبوين لإزالته والتعامل معه.

(1) Teaching Your Kid to Make Good Decisions, Tamekia Reece.

التجربة الثانية



الزواج المبكر في الغرب

الزواج المبكر في الغرب

الزواج المبكر[1] موضوع حساس ومهم، وهو بين أخذ ورد. فالبعض يقف منه موقفاً متطرفاً والآخر يتعامل معه بشيء من الإستحسان.

لقد تبادرت دعوات مختلفة ومن أطراف متعددة للاهتمام بهذا الجانب وإعطائه الأولوية باعتباره نوعاً من الحماية لأبناء الجالية الإسلامية في الغرب، ما دام الجانب الجنسي وجانب العلاقات في المجتمع الغربي عموماً قد اتخذ طابع الأهمية في مسيرة الحياة على طول مراحلها.

فالعلاقة ما بين الشاب والشابة تبدأ في المجتمع الغربي عموماً وهما في أعمار مبكرة بسبب وضع التلفزيون، والأفلام، وحياة الشارع وغيرها من العوامل التي تنضج هذه الغريزة مبكراً لدى الجنسين، فالشابة هنا تراها تنضج وهي في عمر مبكر لأنها تذهب إلى مدرسة مختلطة، وكذلك الشاب، فالاختلاط هنا يبدأ في مراحل الابتدائية التي تكون منذ سن السادسة، وفي

---

(1) إن السن الأدنى للزواج يختلف من ولاية إلى أخرى، إلا أنه وعلى الأغلب حدد بسن 16 ـ 18 شرط موافقة الأبوين، ومن تلك الولايات: نيويورك، ألاباما، الاسكا، أريزونا، كونيتيكت، مقاطعة كولومبيا، مونتانا، نيفادا، نيو جيرسي، نيو مكسيكو، كارولينا، بنسلفانيا، داكوتا الجنوبية، تينيسي، فرجينيا، فيرجينيا الغربية، ويسكونسن، كما أجازوا زواج من هم دون ذلك بموافقة المحكمة، فنيويورك على سبيل المثال اعترفت بزواج من بلغ 14 بموافقة الوالدين والمحكمة، وولاية نيو هامبشير أجازت زواج الذكور البالغين 14 والإناث البالغات 13 بموافقة الوالدين والمحكمة، وهذه القوانين تشابه بشكل يكاد يكون مطابقا لقوانين القارة الأوروبية في تحديد سن الزواج. القوانين الأمريكية والأوروبية هنا تحترم سلطة الأبوين في تنفيذ هذا الزواج، إذ جعلوه شرطاً لإتمامه، إلا في حالات استثنائية وضيقة، وهو أمر له إيجابياته في مجتمعات لا تتوقف كثيراً عند متانة العلاقات الأسرية.

Beatrice Gottlieb, The family in the Western World from the Black Death to the Industrial Age, pp. 120-125.

هذه المرحلة يلاحظ الفتى أو الفتاة -وهم في الثامنة أو التاسعة- أصحاب الأعمار المتقدمة من التلاميذ في المراحل الدراسية المتقدمة وقد انغمسوا في علاقات صداقة وقُبَل، وتلازم أيدي، وغزل أحياناً وغيره ذلك من مظاهر الإثارة، حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يصلوا إلى سن التمييز(1).

كما سعت البحوث العلمية الحالية في الغرب إلى اكتشاف الكثير من الأدوية لإعادة حياة الشهوة الجنسية لدى المرأة والذكر، عندما يفقدها أحد الجنسين لأي سبب من الأسباب في مسيرة حياتهما.

وعندما يعيش الفتى أو الفتاة في أعمار المدرسة الابتدائية في محيط مختلط، وفي جو فيه الكثير من الممارسات الحية المثيرة للجانب الجنسي (القبل) (الانعزال في أماكن منزوية) (كلمات الغزل) (الكتب والقصص الغرامية) وغيرها من الأمور المثيرة، هذا بالإضافة إلى برامج المدارس الغربية التي تضم في موادها تدريس جوانب حياة الجنس وتفاصيلها في حصة -سموها ظلماً- درس العائلة. وفي الواقع هو تخريب العائلة، حيث يعلمونهم كيف يمارس الجنس وكيف تتم العملية وغيرها من الأمور التي تثير غرائز الإنسان.

وعندما نسأل الجهات المسؤولة عن جدوى هذه المعلومات يدافعون عن ذلك: بأن الإنسان في الغرب يمارس الجنس على الصغر(2).

---

(1) وقد أثبتت البحوث العلمية إن الإثارة الجنسية تؤدي إلى التبكير في نضوج الغدد الجنسية لدى الجنسين، كما تؤدي أيضاً إلى استمرار القدرات الجنسية لدى الذكر والأنثى لأعمار متقدمة، وخصوصاً عند الأنثى التي تتوقف الميول الجنسية لديها عند عمر معين. وعندما تحين أيام (سن اليأس) كما يسميه الفقهاء أو كما تسمى في الجانب الطبي (Menopause)، فسن اليأس عند المرأة الغربية متأخر عنه لدى سائر شعوب المناطق المحافظة، وذلك بسبب استمرارية الإثارة في ذلك المحيط الذي يحفز الغدد الجنسية عن الاستمرار في الإفراز. راجع المقالة التالية:

Louann Brizendine, MD, Minding menopause.

(2) فقد دلّت الإحصائيات العلمية على أن 80- 85 % يمارسون الجنس قبل الزواج وأن هنالك نسبة 40% من البنات ما قبل البلوغ قد مارسن الجنس مرة واحدة على الأقل، =

كما تقول الجهات المسؤولة عن الدوائر التربوية أنّ الغرض الأساس من هذا الدرس هو أن يمارس الطلاب الجنس بصورة لا تؤدي بهم إلى نقل الأمراض الجنسية الهائلة وخصوصاً (الإيدز) وفيروس الكبد. فلذلك قررت بعض إدارات المدارس في أمريكا وكندا وضع صناديق في حمامات الأولاد في المدارس لبيع الغلاف المعروف(1)، وذلك لمنع انتقال الأمراض الجنسية فيما بين الطلاب، كما تبدأ حقن التلقيح ضد الأمراض الجنسية والتلاميذ في أعمار العاشرة، حيث تقول الجهات التربوية إن ذلك مهم لمنع انتشار مرض الكبد الفيروسي في حالة الجنس وانتقاله، كل تلك المظاهر تجري أمام مرأى ومسمع الشباب وهم في أعمار المراهقة، أعمار الانفتاح الكبير والميل نحو الجنس الآخر، وفي طور بدء العلاقات ما بين الطلاب والطالبات فيما قبل دور المراهقة، أو أثناءها وهي قضية أصبحت حاجة اجتماعية(2).

هذا الجو هو جو المدارس بصورة عامة في أمريكا وفي كندا، إذن كيف تعيش الطالبة ويعيش الطالب لكي يحافظ على شرفه ومبادئه، حتى لو أنه احتفظ بمبادئه وأخلاقه، ولكنه يبقى غريباً فيما بين أقرانه، وتبقى الطالبة غريبة ما بين صديقاتها، نعم هنالك نسبة ضئيلة جداً بين الغربيين لا زالوا يعيشون جوانب الشرف والعفة(3)، ولكن هؤلاء غالباً ما يكونون في المدارس الخاصة

= وأن نسبتها ترتفع أكثر من ذلك 50% ما بين الأولاد قبل وقت الاحتلام لديهم. . . .(كل ما يتعلق بالعلاقات الجنسية خارج اطار الزواج) تجدها على:

http://waitingtillmarriage.org, AND ALSO LOOK: Joe McIlhaney, Freda McKissic,. Hooked: New Science on How Casual Sex is Affecting Our Children November 28th, 2011 by Olivier.

(1) Condom الذي يستعمله الرجل في حالة الجماع لمنع الحمل ومنع الاصابة بالأمراض.

(2) بل يُعاب على كل من لا يمارسها، فالطالبة التي لا تمتلك علاقة مع طالب تعتبر بين قريناتها بأنها معقدة، أو أنها تميل إلى نظيراتها بين الطالبات، أي أنها شاذة جنسياً، وكذلك الطالب الذي لا يحتفظ بعلاقة مع طالبة أخرى فهو شاذ أو غريب الأطوار. ننصح كل الآباء مراجعة المواقع الالكترونية التي تقدم إحصائيات عن العلاقات غير الشرعية، منها هو الموقع الذي يقدم أحصائية الخداع والتضليل:

Infidelity Statistics - Truth About Deception, (www.truthaboutdeception.com).

(3) Trend Analysis of the Sex Ratio at Birth in the United States. Mathews, et.al.

والراقية، التي تتطلب مصروفاً عالياً غالباً ما يصعب على المهاجر المسلم إلى الغرب ومع تلك الأقساط، لأنه حديث العهد في معيشته في هذه المدينة، ولذلك فليس أمامه إلّا أن يرسل أولاده إلى المدارس العامة التي تديرها الحكومة وتعتبر في أمريكا وكندا ذات مستوى عال من الناحية الأكاديمية.

وفي هذه الأجواء المحمومة، وبالإضافة إلى التلفزيون ومظاهر الشارع تترعرع بناتنا، وينمو أولادنا، ونحن نطالبهم أن يتعففوا ويلتزموا بالأخلاق وكأنهم وكما يقول الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

إنه لمن أصعب الصعوبات أن يبقى الإنسان على المستوى الآخر الذي تربينا عليه في الشرق كالابتعاد عن العلاقات، حتى وإن كانت تسمى البريئة مع الجنس الآخر، ولا يقوى على ذلك إلّا نفر قليل جداً، فهي عملية مجازفة ضخمة، وخطرة قد تسقط فيها الفتاة أو يسقط فيها الشاب بأي لحظة من اللحظات، والإحصائيات في ذلك أكبر من أن تُسطّر على الورق، ومهما قال الأب أو الأم عن عفة أبنائهم وعزوفهم عن ذلك، لذلك فإنّ المسلمين في الغرب مطالبين بأن يجدوا طريقاً ناجحاً لمواجهة مشكلة كبرى هي مشكلة الاحتفاظ بعفة بناتهم وأبنائهم في هذا الجو المحموم المعقد.

والزواج المبكر يأتي هنا ليكون إحدى (وليس كل) الحلول المقترحة من قبل التربويين وعلماء النفس، وقسم من المسلمين في الغرب. فقد وجدت هنالك مجموعة من الشرائح الإسلامية من أقطار متنوعة بادروا إلى هذه الخطوة وبشكل جريء ونجحوا فيها، كما بادر البعض الآخر وفشل فيها، وعوامل النجاح وعوامل الفشل في كلا التجربتين لهما ما يبررهما ليجعل نتائج التجربة كما هي عليه.

ونحن هنا من خلال اطلاعنا على هذه التجربة الإسلامية، نرى أن نسجل على هذه الممارسات ملاحظات يستلزم دراستها والتمعن فيها قبل إقدام العائلة على ممارسة الزواج المبكر لأولادهم أو لبناتهم:

أولاً: الزواج المبكر يجب أن يدركه الأبوان ويعرفا قيمته الإسلامية، ودعوة الرسول ﷺ إليه والتشجيع عليه. فقد قال ﷺ[1] بالإضافة إلى أحاديث كثيرة تحث المسلم على الزواج، والمبادرة إلى لم شمل الشاب والشابة، بالإضافة إلى أحاديث من قبل الرسول ﷺ في حالات كثيرة[2]، وغيرها من الشواهد التي يجب على الأب معرفتها لإدراك تأثيرها على مجمل مسيرة المجتمع، ومسيرة العائلة.

فإذا لم يدرك الأبوان هذا الجانب الإسلامي، وهذه الممارسة النبوية الشريفة، فعليه أن يرجع إلى كتب التاريخ وكتب الحديث لمعرفة موقعها من فقه العائلة، فإذا استوعب الأب هذا المفهوم الإسلامي فهو مدعو إلى بث ذلك في عقول أولاده وبناته، وهم في سن مبكر لكي يتهيأ الأولاد إلى تلك الممارسة، لأن الغربيين في مفهومهم العام ومن خلال واقعهم الاجتماعي يعتبرون الزواج المبكر عمليه مقرفة للنفس وغير مقبولة اجتماعياً، بل يؤكدون على أن الشابة أو الشاب من الأفضل لهم الدخول في (تجربة العلاقة) قبل الإقدام على قرار الزواج[3].

وأبناء المسلمين في الغرب حينما يعيشون في هذا الجو الذي فرضته أعراف الغرب، فإنّ مفهوم الزواج والاقتران غالباً ما يتجه إلى تلك المفاهيم التي وضعها الغربيون. ولهذا فإنّ التوجيه من قبل الأبوين في مراحل سابقة لأهمية الزواج المبكر قضية مطلوبة إذا ارتأى الأب اتخاذ هذا الاتجاه واعتبره حلاً من حلول مواجهة واقع المجتمع الانحرافي.

---

(1) (من حُسن إسلام المرء أن لا تطمث ابنته في بيته).

(2) مثل زواجه من أم المؤمنين عائشة وهي لم تزل في عمر تسع سنوات، ثم تزويجه لابنته لابن عمه علي عليه السلام وهي في ذلك العمر، و ربما كانت تلك قضية إجتماعية أكثر مما هي قضية تشريعية.

(3) يجب أن يمارس العلاقات سواء الجنسية أو غيرها مع الجنس الآخر لفترة تبدأ منذ البلوغ، وقد تصل إلى ما بعد الخامسة والعشرين، وربما إلى الثلاثين قبل أن يقرر أو تقرر الدخول إلى قفص الزواج، ويختار كل منهما شريك حياته. (المصدر السابق Trend Analysis).

ثانياً: بعض الآباء والأمهات لم يهيئوا أبنائهم إلى هذا الجانب منذ نعومة إظفارهم. وعندما يكتشف الأبوان أهمية هذا الحل يكون أبنائه قد وصلوا إلى عمر الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من العمر، فإنّ الكلام بهذا الموضوع معهم يصبح كلاماً عقيماً، وغير مجدٍ فيحصل الرفض الكامل والعنيف من قبل الأولاد لتبني مشروع الزواج المبكر، لهذا فإنّ الحصيلة التي تخرج بها هذه النقطة: هو أن يكون طرح مشروع الزواج المبكر مبكراً في تربية الأولاد وفي تقبلهم لهذه الخطوة.

ثالثاً: أن يكون هنالك مشروع تربوي يقوم به الأبوان تجاه مفهوم الزواج عموماً، فالغربيون يفهمون الزواج من زوايا مختلفة تماماً عن فهمنا نحن له، فالإحصائيات تقول بأن نسبة الطلاق 3,7 لكل ألف زواج في الغرب[1] يعني نصف أو أكثر من عدد المتزوجين التي نسبته هو 6,8 لكل ألف شخص. وقد شددت الحكومات الغربية وسنت قوانين شديدة تجاه الطلاق، ولكن الإحصائيات لا زالت في ارتفاع مستمر ومطرد. ولهذا لجأ الغربيون الآن إلى خطوة أخرى، تلك الخطوة هو العيش ما بينهما كزوجين غير مسجلين في دوائر الدولة[2].

والفهم الإسلامي للزواج الذي يستوجب أن نزرعه في عقول أبنائنا، هو أنه عمليّة تكامليّة لذات الإنسان الذي يدنو بطبعه وفطرته إلى أن يكون في محيط العائلة، أي أن الهدف الرئيس للزواج هو السعي نحو التكامل، بينما يفهمه الغربيون بصورة مختلفة. تلك هي صورة السعي نحو المتعة واللذة فقط، لهذا تراهم يفترقون في أول لحظة يجد أحد الشريكين أن هنالك من يوفر له متعة أكثر في تلك العلاقة.

فالأسرة وبناؤها والاهتمام بها هو مفهوم غائب في الوضع الغربي العام.

---

(1) National Marriage and Divorce Rate Trends.

(2) وهو ما يعرف بمصطلح (Common-law) أو ربما لو ترجمناه إلى العربية نقول: (الخليلان) حيث يسهل افتراقهما لحظة اختلافهما.

والأسرة في فهمهم ما هي إلّا عبارة عن كيان يعيش ضمنه الإنسان لحدود معينة من عمره، ثم يتركه وليس بين هذا الكيان وبين هذا الطفل أي مفاهيم فكرية عقائدية، لذلك نرى أن الابن أو البنت قد لا يرتبطان بأبويهما إلّا ضمن صور محدودة جداً، مثلاً أن يزورهم في عطلة رأس السنة مثلاً، أو أن الابن قد يتكلم مع أبيه في التلفون ويهنئه في عيد ميلاده السنوي وهكذا[1].

وتنتقل هذه المفاهيم عادة ما بين أولاد المسلمين الذين يعيشون في الغرب بصورة تلقائية من خلال مخالطتهم المستمرة مع حياة المجتمع. فلذلك تبدأ مشكلة العلاقة ما بين الأبناء والآباء من خلال سن مبكرة عندما يكتسبون السلوك الغربي للعلاقة، من خلال معاشرتهم لأقرانهم في المدارس الثانوية والجامعات.

رابعاً: الفهم العام الغربي للعلاقة ما بين الذكر والانثى جانب مهم يحتاج من العائلة المسلمة أن تدركه وتبنيه في عقول الأبناء بصورة صحيحة، بل على الآباء أن يدركوا أبعاد خطر مفاهيم تلك العلاقة على الجيل الإسلامي من أبنائهم، ذلك المفهوم هو: أن الشاب أو الشابة عندما تصل أعمارهما إلى 16 أو 17 فإنهما يبدآن يفكرآن بإقامة نوعيّة من العلاقة ربما متطرفة أحياناً، وربما متزنة أحياناً أخرى[2].

أقول مع ذلك فإنني أتحفظ أشد التحفظ على واقعه وعلى مجرياته. فهذه العلاقة وحسب تجربتي ومعرفتي في الواقع الغربي، أو واقع الجاليات التي تعيش في الغرب فإنها تبدأ بما يسمونه البريء وتنتهي بما تفرض عليهما

---

(1) النظرية الداروينية الاجتماعية وأفكار انجلس وتطور فكرالمجتمع له أكثر من انعكاس على نظرة الغربي الى العائلة. . . . للمزيد من الممكن مراجعة دائرة المعارف البريطانية تحت عنوان (Socilal Darwinisist).

(2) مع أن الكثير من الأحكام الإسلامية لا ترى في العبارة الأخيرة من أثر في التشريع الإسلامي. ولذلك فإنهم يقفون موقفاً في غاية الوضوح من حرمة تلك العلاقة التي يسميها الغربيون (Boy or Girl friends). الدخول أو الابتداء بهكذا علاقة، حتى وإن كانت بالشكل كما يسمونه (البريء) الذي أنا شخصياً لا أرى لذلك المفهوم من واقعية هو أمر يتوجب على المسلم أن يربي أبناءه على تجنبه بالقدر الممكن.

الغرائز أن تكون، إذ تتدرج العلاقة وبدون شعور أي منهما إلى ما هو أكثر وأكثر مثل الانفتاح الجنسي، والمعاشرة، وحينما يدخل الشباب في هكذا علاقة حتى وإن كانت محدودة جداً فإنهما قد يبقى أحدهما مع الآخر ضمن هذه العلاقة، أو ربما يفترقان، ثم يبدأ كل منهما يبحث عن شريك آخر يعيش معه ويمارس معه ما تسمح به تلك العلاقات والاتصالات الأخرى، ثم يقرر أيضاً فيما بعد إن كانا يمكن لهما أن يتعايشا أو لا[1].

وهكذا إلى أن يجد هؤلاء لكل منهما شريكاً لحياته عندئذ تقام مراسيم الزواج، ويعلن زواجهما رسمياً، وهي مراسيم شكلية حيث يعيش الإثنان منذ زمن بعيد تحت سقف واحد وكأنهما زواجان. ذلك الزواج في مفهومهم لا يتم إلّا بعد إجراء مراسيم الاحتفالات وغيرها.

وقد تنتقل البنت بين أكثر من حضن، أو أكثر من بيت وقد تنجب من تلك العلاقات من هذا أو من ذاك، ولكنها لازالت غير متزوجة في العرف الغربي، وأيضاً ينتقل الشاب ما بين مجموعة كبيرة من الإناث. وقد ينجب أيضاً حتى يصل أحدهم إلى الفتاة المناسبة له، عندئذ تتم مراسم الزواج علانيةً[2].

ولكن هذا لا يعني أن عملية إعلان الزواج بين الزوجة وهذا الزوج توقف عملية البحث عن الأفضل في نظرهم، بل لاحظت بأن الغالبية الكبرى منهم يستمر في عملية البحث عمن يوفر لها أو له مُتعاً أكثر. وعندئذ يفترقان أيضاً وهكذا، لأن اللذة الجنسية والعلاقة ما بين ذكر وأنثى ليس لها حدود في

(1) أوضحت النتائج التي توصل إليها (تيكمان) في التقرير الذي أعده أن (النساء اللاتي لديهن أكثر من علاقة حميمة غير زوجية فإنّ ارتفاع خطر انقطاع الزوجية لديهن أكبر، وهذا التأثير يصبح أقوى عند النساء اللواتي ذوات العلاقات المتعددة قبل الزواج (Changing Patterns of Nonmarital Childbearing in the United States).

(2) عام 2002 وجد في امريكا أن أكثر من نصف النساء في سن ما بين 15 إلى 44 عاشوا مع شركاء غير متزوجين، وأن 65% من الأزواج الأمريكيين الذين تعايشوا مع بعضهم البعض تزوجوا في غضون 5 سنوات (More Couples Living Together Outside of Marriage, 2013).

حجمها وكميتها. ومثلها كمثل المال الذي لا تقف طموحات الإنسان عند هذا المليون أو ذاك المليون.

فالكثير من الرجال الغربيين عندما يحاولون الزواج، وعندما يكتشفون أن المرأة ما زالت باكراً فإنهم ينعتونها بالتخلف، وينعتونها بقلة الخبرة في المجال الجنسي، وفي مجال العلاقات الاجتماعية مع الذكور[1].

وقد يثير الكثير من أبنائنا من الجنسين مفاهيم الزواج التي نؤمن بها نحن المسلمين، والتي نرفض على أساسها أي علاقة ما بين الاثنين ما قبل إجراء مراسيم العقد الشرعي، ويسألون عن قضية مهمة تحتاج من الآباء دراستها جيداً، ذلك السؤال هو : كيف يمكن للإنسان الشاب أن يتزوج شابة لم يلتقها، ولم يعرفها، ولم يطّلع على سلوكها وتفكيرها . . . .؟ وكيف يمكن للشابة أن تقترن مع شاب وتتزوج منه وهي لا تعرف عنه أي شيء. . . .؟

هذا السؤال هو من الأسئلة المهمة جداً التي يجب على كل المسلمين فهمه ومعرفة مداخلاته. . .؟ ومعرفة الإجابة عليه . . . . . .؟، وللجواب على هذا السؤال علينا أن نوضح لأبنائنا بأن عملية الزواج من خلال المفهوم الإسلامي لا تعني بأننا نأتي بالشابة ونلقها على أعتاق الشاب بصورة

(1) طبعاً هذا في سني السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، أما الآن فإنني بدأت استشعر في تبدل هذه النظرة إلى العكس من ذلك، بل وجدت أن الكثير من الغربيين يصر على العذرية. هناك الكثير من الناس في الغرب المؤيدين للجنس في الزواج فقط لأسباب دينية أو أخلاقية، ومن أرفع الأسباب هو أن (العفة) قبل الزواج نوع عالٍ من الحسنات، وهذه المجتمعات تربي الأطفال والمراهقين والمُختَلِمين والناس غير المتزوجين الامتناع من الجنس حتى يتزوجون. في الكثير من الثقافات الحالية والمنصرمة، القاصرون وخاصةً القاصرات يتوقع منهم (العفة) حتى الزواج، والاخلاص للزوجة فيما بعد. ولذلك معنى العفة (Chastity) في تلك الثقافات هي الامتناع من الجنس قبل الزواج (Abstinence) وفي الطلاق أو الافتراق. . . للبعض العفة تدل على الصفاء في الشخصية ويتطلبون ترك الجنس الى حين الزواج، هناك الكثير من الثقافات الامريكية ترى أن السبب الوحيد للجنس هو التكاثر. فقد نشر معهد (CDC) بان معظم طالبات المرحلة الثانوية في أمريكا هم عذارى الى حين الزواج
Morbidity and Mortality Weekly Report 55:SS-5 (June 9, 2006)

عشوائية، كما كانت سائدة في العقود المنصرمة في أوطاننا الإسلامية حيث لا يرى الشاب زوجته، ولا ترى الزوجة زوجها إلّا في يوم الزواج، ذلك الأسلوب هو أسلوب له ظروفه الاجتماعية آنذاك بغض النظر عن نجاحه أو فشله، أما هنا في الغرب فإنّ الأم والأب بحكمتهما ودرايتهما عليهما أن يوفّرا الأجواء بين الخطيبين ليتعرف أحدهما على الآخر وفي مناسبات ولقاءات عامة. لا لقاءات شخصية منفردة، وأن يواصل أبوا الطرفين توجيه أبنائهما نحو الطريقة التي بها يتعرف بها أحدهما على الآخر[1].

وهكذا تستمر اللقاءات والأحاديث بالتلفون ضمن حدود الشرع الذي يضعه الشارع المقدس، ومع توجيه الآباء لكلا الجهتين حتى تصل القناعة لدى البنت والشاب إلى الإتفاق والرضى المتبادل. بعدها يتأكد أبوا الطرفين من أن أبناءهما يمارسان علاقة هدفيّة غرضها الرئيس هو التعرف أحدهما على الآخر من أجل بناء حياة مستقبلية إسلامية هادفة، وهكذا تستمر العملية مع التوجيه والتركيز من قبل الآباء لإخراج حيز العلاقة من الجانب الانفعالي إلى الجانب العقلائي قدر الإمكان.

خامساً: على أب الشاب وأب الشابة أن يعلما قبل عملية الموافقة على الزواج أن إبنهم الشاب لا يعيش إنفعالاً وقتياً من جرّاء حاجة جنسية دفعته إلى الإقدام على عملية الزواج، وأن على أب البنت أن يدرك جيداً أن هدف ابنته ليس هو إشباع الجانب الغريزي لديها، أو تقليداً لما هو متعارف في المجتمع الغربي في العلاقة ما بين الشاب والشابة التي حددت العائلة ذلك عليها.

الشيء الرئيس هو أن يكون إدراك الشاب والشابة بأن هذا الزواج هو علاقة مقدسة يعيشها أحدهما مع الآخر إلى نهاية عمرهما. فهي عملية لا رجعة فيها. وهذا يتطلب أن يعي الطرفان خطورة الوضع وحراجته، وأن هذه الفترة فترة التعارف هي التي ستؤدي دوراً رئيساً في سعادتهما وفي لقاءهما[2].

---

(1) فمثلاً تخرج العائلة بأجمعها إلى مطعم، أو مكان عام، ثم يجلس الخطيبان على طاولة منفردين يتحدثان في شؤون حياتهما ومستقبلها.

(2) وقد لاحظت من خلال دراستي لهذه المواضيع أن الشاب والشابة في عالم الغرب =

سادساً: من الأمور الهامة في هذا الموضوع: أن يشعر أبوا الطرفين الشاب والشابة بأن زواج إبنيهما بداية لشراكة طويلة الأمد، وهذا يعني أن والدي الطرفين مسؤوليتهما الكبيرة تبدأ بعد عملية الزواج، فإذا كانت مسؤوليتهما قبل الزواج تتحدد بنسبة معينة، فإنّ تلك النسبة تتضاعف ما بعد الزواج. وذلك لأن المشاكل الكامنة في نفس الإنسان غالباً ما تظهر بعد الزواج، وبعد أن تشبع الغرائز ويتواجه الشاب والشابة مع الحياة الحقيقية لكل منهما، وخصوصاً خلال الفترة الأولى من الاقتران(1).

هنا في هذه الفترة تتحمل عائلتا الطرفين مسؤولية ضخمة في بناء الجسور المهدمة ما بين الزوجين، ولكي يتحقق ذلك يجب على أبوي العريسين أن لا ينفعلا في معالجتهما للأمر، وأعني من ذلك: أن الكثير من العوائل والآباء يشعرون بألم وجزع وانفعال من مجريات تلك العلاقة وتفاصيلها التي تضم الكثير من التجاوزات ما بين الشاب وزوجته التي ينقلانها وبشكل متضخم إلى الآباء مثل الصياح والإهمال والضرب أحياناً والكلمات النابية المؤلمة أحياناً أخرى(2).

= يميلان الى الاستماع الى الكلمة الهادئة اللطيفة العقلائية التي تتضمن مغزى ووضوحاً، لذلك فعلى الآباء أن لا يبخلوا في توجهاتهم نحو أبنائهم تجاه هذا الجانب، وخصوصاً أثناء عملية التعارف ما بين الشاب والشابة.

(1) فقد دلت الإحصائيات ان معظم الانفصالات والطلاقات ما بين الزوج والزوجة تحصل خلال السنتين الأوليتين من بداية الزواج، حيث تزداد المشاكل وتتعمق ما بين الطرفين، وتصل الى ذروتها خلال تلك الحقبة والتي تمثل السنة الأولى التظاهر بخلو الحياة من المشاكل، ولكنها تنفجر فيْ بداية السنة الأولى وتبقى المعارك قائمة الى أن تتم تقريباً في نهاية السنة الثانية. كما أثبت بأن معظم الطلاقات تحدث في شهر يناير من كل عام (When Divorce Happen... Things to Think About)

(2) هذا الجو يؤدي بأب وأم البنت الى الألم والغضب على الزوج الجديد وعلى عائلته من جرّاء تلك المعاملة، نفس الشيء تلاحظه عائلة الشاب الذي ينقل لأبويه كيف رفعت زوجته صوتها عليه وأهانته بكلمات نابية وهددته بالشرطة والحبس وإهانة عائلته، ثم قامت بمغادرة البيت، وغيرها من الأحداث الأخرى التي تدفع الآباء الى الانفعال والغضب، ثم وقوف أحد الطرفين أبوي الشابة الى جانب إبنتهم، وأبوي الشاب الى جانب إبنهم، وفي هذه الأجواء المشحونة الانفعالية تتحول المعركة الى معركة ما بين العائلتين عن طريق الكلام =

لهذا من الأمور المهمة والضرورية بل الأساسية لوالد البنت، أو أب الابن قبل الموافقة على الزواج المبكر أن يجد في نفسه القدرة على إمكانية ضبط النفس أمام دموع ابنته أو دموع ابنه، وأن يعتبر الاثنين بمقام أبنائه، وهذا الموقف يتطلب قدرة فائقة على ضبط الأعصاب وعلى تفهم الحالة وتفهم النتائج والتوقعات[1]، في هذه الحالة على الأب أن يدرك جيداً بأن الانفعال هنا سيؤدي إلى عواقب وخيمة جداً على ابنته لأن الانحياز إلى صف ابنته، ثم الدخول في معركة مع زوجها سيؤدي إلى الانفصال أو الطلاق وهذا معناه ان ابنته ستبقى ربما طيلة حياتها عزباء وخصوصاً في واقع مجتمعاتنا الإسلامية التي تضع قيوداً كبيرة على المرأة المطلقة في زواجها الثاني.

لذلك وهنا يجب على الأب أن يعمل بعقل وصبر وتأن، وأولها هو معرفة القصة بكاملها بعد أن يستمع من الطرفين إبنته وزوجها، وأن يكون في غاية الاعتدال في موضوع استماعه إلى الطرفين محاولاً بصورة جديّة الوصول إلى الأسباب الرئيسة للمشكلة، على شرط أن يجلس الأب وحده مع الزوج وزوجته، وأن لا يصطحب معه أي طرف آخر يشحن الأجواء، وخصوصاً الزوجة أي الأم التي لا بد وأن تنفعل وتتأزم المشكلة، وتتحول المعركة من معركة إصلاح إلى معركة ثأر بسبب فيضان الجانب العاطفي في شخصيتها.

وبعد الاستماع إلى المشكلة ومعرفة السبب عليه أن يتريث في العلاج،

= والتلفون. وهنا تبتدئ العملية بأن تغلق كل أبواب الحوار الهادئ، وتقوم بهذه المعركة غالباً أم الولد وأم البنت، ثم تحشّد لذلك الأب وتتراكم الأحداث وتقرر العائلتان الانفصال، ثم الطلاق أو ما هو أسوء من ذلك (Things Your Daughter-in-Law Wants to Tell 14 You).

(1) فمثلاً لو كان ذلك الشخص والد البنت وجاءت له ابنته ووجهها متورم من الضرب. وهي تولول وتبكي قائلة: يا أبتي كيف زوجتني لشخص لا يملك من الحياة إلّا الوحشية والضرب، تلوم أباها لوماً مؤلماً على موافقته للزواج من ذلك الشاب النزق المتوحش، ثم تبدأ أم البنت بالبكاء والألم والصياح، ثم التوعد باستدعاء الشرطة، ثم اتهام الأب بالجبن والخنوع أمام الزوج الشاب النزق الذي عمل ما عمل بابنته وغيرها من الأمور التي تحول الأجواء الى واقع مشحون ينذر بالشؤم.

وأن لا يعالج الأمر في نفس الجلسة، وأن يكون همّه الأول الآن تذكير الزوجين بأهمية الرابط الزوجي وشرفه، وأن يثير أجواء المحبة فيما بينهما، لكي يعيشا معاً مرة أخرى، وهنا وفيما إذا قرر الزوجان أن يذهبا إلى بيتهما ثانية، فإنه على الأب أن يفهم أصل المشكلة، وأن يعمل حينها على إزالة أسبابها.

فلو كان الزوج ذا مزاج عصبي لا يتحمل انفعالات زوجته، فعلى الأب أن يعمل هنا في تربية الزوج أخلاقياً بتذكيره بأحاديث الرسول ﷺ ومع الأمثال المتنوعة والقصص الوعظيّة، ثم تذكيره بخطورة هذا السلوك، وهذا يتطلب باستمرار التأكيد على معالجة هذا الجانب الاخلاقي.

كذلك يجلس الأب مع ابنته على انفراد، ويُذكّرها بموقع الزوج لدى قلب الزوجة، وكيف يجب على الصغير أن يحترم الكبير (باعتبار أن الزوجة دائماً أصغر سناً من الزوج) وكيف أن الإسلام حثّ الزوجة على امتصاص نقمة الرجل بحيث أودع الله سبحانه وتعالى قدرة الصبر عند المرأة أضعافاً مضاعفة مما هي عند الرجل، حتى ينتهي بالقول لها بعبارة مهمة في هذا المسار، كأنّ يقول لها: أنت ابنتي وإنني أعدك بأن أعمل جاهداً في بناء مفاهيم الحياة الزوجية ما بينكم، كما أنني سوف أعمل جاهداً في معالجة حالة الغضب عند زوجك، وهكذا تستمر النصائح والتوجيهات بصورة تكاد تكون يومية لمعالجة الأحداث والنزاعات الناشبة داخل البيت[1].

إيجابيات الزواج المبكر في الغرب:

لعله من أهم وسائل حماية الأسرة في جو الغرب الملبّد بالموبقات هو

---

(1) وفي تجربتي الخاصة وجدت أن الجلسة الأسبوعية مع العائلة الجديدة لها دور كبير في معالجة الأخطاء الناجمة من تصرفات الزوجين الشابين، ولو أدركت إحدى العائلتين منذ البداية أنهما ليستا في موقع يمكن السيطرة على عواطفهما، فإنّ عملية الزواج المبكر سوف تبقى في مهب الريح، ولا نطمح لها أبداً المستقبل الواعد، لأنها ستؤول الى فشل كبير يؤثر على مجمل أفراد المجتمع وعوائلهم.

الزواج المبكر، ولكنه -وكما ذكرنا- مشروع صعب يحتاج إلى مواصلة طويلة، وإلى ثقافة واسعة، وإلى تفاهم عائلي متكامل لإنجازه، لأنه معاكس تماماً للتوجه الاجتماعي الرسمي والواقعي، فضلاً عن المعارضة الاجتماعية القوية، فإذا تحقق بتوفر **الظروف الايجابية** فإنه سيؤدي:

- الى حماية عنصري الزواج وهما الزوج والزوجة من السقوط والانحراف والانشغال بالعلاقات غير المشروعة.
- يمنع كلا الزوجين من السقوط في المد الاجتماعي الغربي الذي يحمل فلسفة خاصة لموضوع الأسرة، ويجعلهم قريبين من المفهوم الإسلامي الذي يفهم الإنسان المسلم جيداً كما جاء في تراثه الضخم[1].
- إنه مشروع من شأنه أن يفتح قناة محبة مع الشرق الإسلامي الذي اعتمده الزوجان كأساس لبداية حياتهما، وهذه القناة سوف تكون مفتوحة ومستمرة للارتقاء والأخذ من عطاء الإسلام، ومن عطاء التقاليد الإسلامية العربية.
- تجربة الزواج المبكر بداية مباركة لخلق نواة صغيرة. طموحاً في تكوين عائلة موسعة على مستوى عوائلنا في الشرق يرتبط أحدهم مع الآخر ويحب أحدهم الآخر، على كل المستويات الاجتماعية والدينية والاقتصادية.
- يقرّب مفهوم الإسلام إلى عقول الشباب الذين تربوا في مجتمع الغرب، ويعلمهم مفهوم التضحية، ومفهوم الوفاء ما بين الزوجين، وتحمل أحدهما الآخر من أجل بناء أسرة سليمة.
- ناتج الزواج المبكر غالباً ما يكون ناتجاً ثرياً، لأن الأولاد الذين ترعرعوا في مجتمع الغرب، وبتوجيه مبكر من قبل الآباء والعائلة نحو تعاليم الإسلام، هذا الجيل غالباً ما يكون جيلاً صلباً قوياً، لأنه تمكن من استيعاب أخطاء الثقافتين.

(1) Marriage and Domestic Partnership.

- لا يقرب الزواج المبكر أفراد العائلة المباشرة فحسب، وإنما هو مشروع طموحه أكبر من حجم الاسرة حيث يستمر ليشمل عائلتي الزوجين وما حولهما.

أخطاره وسلبياته :

- الصعوبة الكبيرة في الملائمة ما بين الزوج والزوجة، حيث الاختلاف واسع بينهما بعدما عاشا المجتمع الغربي، وتعلما منه الكثير من آفاته التي تبتعد عن الإسلام وتقاليده.
- الطلاق بعد الزواج المبكر يجده الازواج سهلاً في الغرب، حيث لا يتطلب من أحد الزوجين إلّا الخروج خارج البيت، والعيش مع إنسان آخر بحيث لا يعلم الزوج الآخر أين ذهب...؟ وأين رحل...؟ وتبقى إجراءات الطلاق الرسمية تأخذ طريقها من خلال المحامي[1].
- لا توجد ضغوط عائلية في الغرب على الزوج أو الزوجة، فيما لو أراد أحدهما الطلاق، لأن الشاب أو الشابة لا يعيشان مع العائلة وإنما يختاران غالباً الإنفراد في السكن.
- غالباً فشل الزواج المبكر يؤدي بأحد الزوجين أو كليهما إلى تولّد ردة فعل ضد من سنّ هذا النوع من العلاقة وذلك هو الإسلام، حيث تبدأ ردة الفعل تلك بنزع الحجاب بالنسبة للبنت أو التساهل فيه، ثم رفض توجيهات الإسلام بشأن وضع المرأة وعلاقتها مع الرجل، كذلك بالنسبة إلى الشاب الذي يبدأ ردة فعله بترك التعاليم الدينية، ثم التوجه إلى المجتمع الغربي لسد الفراغ الذي تركه الطلاق.
- غالباً، ما تبقى البنت بدون زواج إلّا إذا اقترنت ببعض أفراد الشعوب التي لا ترى لهذا الموضوع شأناً في اختيار الزوجة، وهذه أيضاً

(1) Divorce Laws and Divorce Rate in the U.S, Stefania Marcassa.

قضية لها مخاطرها، مع أنني من الداعين لها في عالم الغرب، ففي معظم الحالات التي شاهدتها في الغرب فالزوجة الشابة المطلقة تميل إلى البحث عن زوج من أوساط الغربيين، كذلك الحال مع الزوج.

❖ أسرتا الزوجين المطلقين يعيشان بعد الطلاق ضمن أجواء خانقة جداً بسبب التجربة القاسية التي أدّت بإبنهما أو ابنتهما إلى الانفصال عنهما والعيش خارج البيت، بل قطع العلاقة أحياناً. وقد تتطور الأمور إلى أن العائلتين قد تغيبان عن حضور الجامع وحضور المناسبات الإسلامية بسبب الوضع النفسي المؤلم.

❖ الزواج المبكر له تأثير متناقض مع مسيرة الزوجين الشابين التربوية، فحينما يتزوج الشابان يكون العبء الاقتصادي هو الهم الأول في جدولة أعمال العائلة الجديدة، وذلك بسبب الدفعات الشهرية التي يجب على العائلة الفتية تسديدها مثل الإيجار الشهري ومصاريف الطعام والسيارة والدراسة وغيرها من الأمور التي ترهق العائلة الحديثة حالياً، وفي معظم الحالات يتوجه الشاب إلى العمل لتأمين مصاريف الحياة، أما الزوجة فقد تبقى في مقاعد الدراسة إلى حين التعايش تدريجياً مع الوضع الاقتصادي الصعب للعائلة، أو في معظم الأحيان فإنّ الأم تترك مقاعد الدراسة أيضاً للتوجه إلى العائلة أو تربية الأولاد إن أنجبت العائلة ولداً[1].

❖ الوضع الاجتماعي للشابة المراهقة المتزوجة صعب جداً خصوصاً فيما بين قريناتها من طلبة المدارس الثانوية، فهي خطوة تعتبر في عرف الغربيين غير ناضجة، بل مقززة للنفس ولذلك فلا تجد هنالك زواجاً في هذه السن المبكر إطلاقاً، فالغربيون يعتبرون أن فترة المراهقة وفترة الشباب لحد السنة الخامسة والعشرين هي فترة علاقات[2] إجتماعية وصداقات.

---

(1) The Economic Consequences of Divorce: Kristen Reilly.

(2) على مستوى (Boy & Girl Friends) وأن الشاب أو الشابة يمارسان تلك العلاقة =

- انجاب الأولاد : هذه قضية ذات حدين سلبياتها كثيرة، وأهمها هو الخشية من الإنفصال في عائلة حديثة لم يتم بعد استقرارها، فالواقع إن إنجاب الأولاد يجب أن لا يتم أبداً إلّا بعد أن تصل الأمور بالعائلة الجديدة إلى حدود الإستقرار والتفاهم التام، بحيث تكون قضية الإنجاب قضية مكملة للعلاقة الحسنة، والمحبة ما بين الزوجين الشابين، فإذا كان الجو العام جواً هادئاً تسوده المودة والمحبة عندئذ يكون من أسعد الاشياء هو إنجاب الأطفال حيث تزداد علائق المحبة تأصراً وعمقاً، أما إذا كان العكس، إذا كانت قنوات التفاهم والمحبة متزعزعة، وكانت العائلة تعيش نزاعات وصراعات، فإنّ الأطفال وإنجابهم عندئذ سيكون قضية صعبة جداً يجب أن لا يفكر بها الزوجان في هذه المرحلة.
- تميل العائلة المتزوجة حديثاً المنحدرة من عائلتين مسلمتين ملتزمتين إلى الحصول على أكبر قدر من المتعة على مستوى العلاقة ما بين الزوجين، وخصوصاً على المستوى النفسي. وهي قضية الحرمان عندما كان الشابان أعزبين ولذلك نرى أن عدداً كبيراً من العائلات الشابة الحديثة أو غيرها تميل إلى ما تفرزه بعض العلاقات الغربية في الإثارة الجنسية الكبيرة. وذلك عن طريق الأفلام الجنسية الخليعة التي تتوفر في الغرب بصورة لا حدود لها وبأشكال مختلفة[1] لذلك فإنّ

= المفتوحة لحين الوصول الى سن يتمكننا من إدراك مفهوم الزواج، وعليه فإنّ الضغط الاجتماعي على الشابة المتزوجة صعب جداً في مقاعد الدراسة، خصوصاً في مرحلة المدارس الثانوية يؤدي أحياناً الى ضجر الشابة المتزوجة من ذلك الجو والتوجه الى ترك الدراسة.

(1) وهذه الأفلام تعتبر قضية لها دور سحري على إثارة الشهوة بصورة تتعدى حدود المعقول الى درجة الإفراط الكبير يدفع بالزوجين الى مواصلة البحث عن الأكثر إثارة للشهوة الجنسية، وقد تتحول الحالة الى حالة إدمان لا يتمكن الزوجان من ممارسة الجنس إلّا من خلال الإثارة التي تقدمها تلك الافلام، كما أثبتت آخر البحوث العلمية بأن الإدمان عليها يؤدي الى ضعف وظائف الدماغ والقدرة على التفكير والتركيز.

من أهم الأمور التي يجب على أبوي العائلة الجديدة أن يحذرا أبنائهما منها هي عواقب الأفلام وخطورتها وأن يُعلما أبنائهما على عدم اللجوء إلى تلك الافلام للتزود بالجنس، وإنما الجنس ما هو إلّا عملية تأتي من الحب وليس العكس، وإن الجنس ليس هو غاية بحد ذاتها، وإنما وسيلة من وسائل الحب[1].

متى يزوج الأب إبنه أو ابنته مبكراً. . .؟

إذن والآن بعد أن حددنا مساوئ ومحاسن الزواج المبكر في الغرب كيف يمكن للأب المسلم أن يشخص فيما إذا كان يجب عليه أن يزوج إبنه أو يزوج ابنته في سن مبكرة. . .؟ وهل أن عوامل الإيجاب سوف تكون حصيلة الزواج أو العكس. . .؟

إن هذه القضية صعبة الجواب عنها، أو الخروج بإجابة شافية منها وهو سؤال لا يختلف بشيء عن أي قضية أخرى مستقبلية لها عواملها وظروفها وأبعادها وتغيراتها التي لا يمكن التكهن بمستقبلها إلّا بعد إدراك واع وثابت، ومعرفة كاملة بظروف حياة ذلك الإنسان.

وهو سؤال لا يختلف عن أي قضية أخرى. سواء أكانت تجارية أم غيرها، فأنت إذا أردت أن تقدم على مشروع تجاري مثلاً فأنت تدرس فيه عوامل كثيرة قبل الإقدام عليه مثل: توفر رأس المال، وتوفر الأيدي العاملة، وطلب السوق عليه، ثم القدرة على المنافسة، ثم توقع الهبوط الحاد في الطلب وغيرها من الأمور التي يعرفها الاقتصاديون، فإذا درس المتخصص الاقتصادي عوامل النجاح فإنّ المشروع التجاري قد يجد النور في مستقبله، ولكن ليس ذلك بالضرورة أن يرى النجاح، وهذا لا يعني أن هنالك عوامل طارئة جديدة دخلت في حسابات التجارة، وقد تطبق هذه الحالة على أي قضية أخرى في الحياة حتى في عملية زواجنا نحن عندما كنا في الشرق

(1) Naomi Weeks, Effects of Pornography on Relationships.

الأوسط، ولكن الفرق الجوهري هو أن العوامل المؤثرة في عملية الزواج في الغرب أكثر بأضعاف مضاعفة مما هي عليه في الشرق، كما أن سلبيات تلك العوامل تتضخم في الغرب عما هو في الشرق بسبب طبيعة المجتمع وطبيعة الاختلاف ما بين عادتنا وتقاليدنا، وبين ما هو متعارف عليه في الغرب.

ومن هذه النقطة ننطلق لنؤكد وجود أسئلة مهمة على والد البنت أو والد الإبن أن يجيب عليه قبل الإقدام على ممارسة عملية الزواج المبكر.

أسئلة لأب البنت

- هل هيئت ابنتك لمشروع الزواج المبكر منذ أن بدأت ابنتك تدرك مفهوم العلاقة الجنسية. ..؟ وأعني في ذلك حينما كانت بعمر التاسعة مثلاً ؟
- هل هنالك رأي مستقل لابنتك في هذا الموضوع، أي أنك إذا طلبت منها الزواج في عمر مبكر هل أنها سترفض ؟
- كيف هو سلوك ابنتك في المدرسة، هل تهتم كثيراً بملبسها ومظهرها وهل تضع مساحيق التجميل على وجهها، وهل تلبس الملابس الضيقة مثلاً، وتصر على البنطلون والجينز أم لا ؟
- هل تتضجر أحياناً من موضوع الحجاب، وتحاول أن تظهر بمظهر الأجنبيات في لباسها. . .؟
- هل تصرف وقتاً طويلاً أمام التلفزيون (الغربي طبعاً) مع معرفة مفصلة بأسماء الممثلين والممثلات. . .؟
- هل لها صديقات غربيات، أو هل لها علاقة (مدرسية خالصة) مع طلاب صفها مثلاً على مستوى أداء الواجبات المدرسية. . .؟
- هل تستمع إلى الأغاني الغربية وتتابع أخبار المغنين والمطربين والممثلين. . .؟
- هل تقصّر في واجباتها الدينية مثل الصلاة والصيام والحجاب. . .؟
- هل تحاول أن تجد لنفسها عالمها الخاص، مثل غرفتها الخاصة وملابسها الخاصة وأكلها الخاص، وغيرها من الأمور التي تحاول

البنت أن تجد لنفسها جواً خاصاً بها..؟

- هل تصرف ابنتك وقتاً طويلاً على التلفون للحديث مع صديقاتها أو زيارتهن في بيوتهن...؟
- هل دخلت غرفة ابنتك ووجدت أشرطة للمغنيات، وصور للممثلين وبوسترات للمطربين...؟
- هل تكره ابنتك الحديث باللغة العربية وتكره الاجتماعات الدينية والاجتماعية للجالية العربية الإسلامية....؟
- هل النضج الجنسي لابنتك مبكر وذلك على مستوى مظهرها أم على مستوى الميل...؟
- هل تكذب ابنتك أحياناً إذا أحرجت...؟
- هل تشعر ابنتك بأنها في جيل يختلف عن جيل أبويها، وأن أبويها قد استورثا عاداتهما من منطقة الشرق التي تعتبر في عرفها متأخرة عن الغرب....؟
- هل تذهب ابنتك مع صديقاتها إلى السينما أو إلى أماكن عامة، أو إلى الأسواق مع رغبة لديها في أن تكون صديقاتها بدون مصاحبة والدتها...؟
- هل ترفض ابنتك تعلم اللغة العربية أو الدين عندما يطلب منها ذلك...؟
- هل الأم أو البنت تخفي الكثير من سلوك ابنتها عنك (أيها الأب)...؟
- هل ترفض ابنتك إعطاءك معلومات عن نوعية صديقاتها ونوعية العلاقة بينهما...؟
- هل أن فترة ذهابها إلى المدرسة (9 صباحاً وحتى الثالثة عصراً) غامضة بالنسبة لك، أي لا تعرف كيف تتعامل داخل المدرسة مع أقرانها من الطلاب والطالبات، وهل أنها تحضر الدروس بأجمعها أو غيرها من الأمور التي يجب أن تعرفها...؟

- هل تغيب الصراحة بينك وبين ابنتك...؟
- هل ابنتك (مدللة) من قبلك، ومن قبل أمها...؟
- هل أن ملابس ابنتك (سواء كانت محجبة) أو غير محجبة تميل إلى (المودة)، وهل تكره ابنتك الملابس المحتشمة...؟
- هل ابنتك فتاة قليلة الحياء، أعني من ذلك هو أنها عنيدة لا تخجل من مجالس الرجال، ولا تتردد في ممارسة أعمال لا تليق بالبنت في عُرف مجتمعاتنا الشرقية...؟
- هل أن فهم وإدراك الإسلام وتعاليمه بالنسبة إلى ابنتك قليل...؟
- هل أن مآسي وطننا وقضايانا العربية والإسلامية غائبة عن تفكير ابنتك وعن أهدافها...؟
- في المناسبات الاجتماعية الخاصة مثل الزواج هل تميل ابنتك إلى الانفلات والتمرد في محيط النساء .....؟
- هل ترغب ابنتك بالمشاركة في السفرات التي تقيمها المدرسة مثل السفرات السياحية والترفيهية.......؟
- هل تكرر ابنتك كلاماً مثل استدعائها السلطات الحكومية فيما لو حدث نزاع فيما بينها وبين والديها....؟
- هلا تتورع ابنتك عن تناول الأطعمة غير المحللة إسلامياً مثل (الهمبرغر) وغيره أو الشحوم والدهون الحيوانية...؟
- هل ابنتك تشعر في داخل نفسها وفي شعورها أن لها الحرية الكاملة في حياتها وممارساتها وطريقة سلوكها...؟

إذا كان الجواب على نصف تلك الأسئلة ب (نعم) فهذا معناه أن الفكر الغربي قد بدأ يتسرب إلى عقل ابنتك[1] وهذا لا يعني أن خيار الزواج وخيار الاقتران مع شريك الحياة سيتخذ طابعاً مشابهاً لما آل إليه المجتمع الغربي

(1) The Responsibilities of Parenting, - R U Ready...? State of Michigan, Department of Human Services, Lansing.2010.

وهو الصداقة أولاً، والصداقة معناها التعرف على الشابة أو الشاب، ثم الخروج معه بانفراد، ثم ممارسة علاقة على مستوى العواطف ثم التفكير في الزواج، إذا كانت كل تلك الأمور على ما يرام، وإلّا فإنها ستبحث عن شخص آخر وتمر بنفس الأدوار وهكذا.

وكما هو معروف فإنّ الغالبية العظمى من شباب الغرب يحاول أن ينتقل ما بين الشابات، ليشبع نهمه الجنسي. محاولاً إظهار براءته وصدقه بأنه يختار شريكة حياته للزواج، ولكن الحقيقة تماماً عكس ذلك، فبمجرد أن يشبع الشباب الغربيون شهوتهم الجنسية من فتاة فإنهم يبحثون عن فتاة أخرى وهكذا.

وعلينا أن نعرف أيضاً أن الشابة العربية أو المسلمة حينما تقرر لنفسها في أن تختار طريقة الغربيين في الزواج، فإنها لا تبحث عن شريك حياتها ما بين أفراد جاليتها، وإنما تبحث عن الزوج فيما بين أفراد الجاليات الأخرى، لإدراكها رفض ذلك ما بين أفراد جاليتها، وعلى الأب أن يدرك جيداً أن ابنته إنسانة تملك ميولاً جنسية، كما هو الأب، وكما هو حال أي إنسان آخر في هذه الحياة، وعليه أن يدرك أيضاً أن الوضع الغربي العام وضعاً يؤجج في نفسها كوامن الشهوة وكوامن الغريزة، وهذا معناه أن الأب يجب أن يدرك حاجة ابنته إلى الزواج بملاحظة تلك العوامل ومؤثراتها، لذلك فإنّ مشروع الانتباه إلى زواج ابنته قضية أساسية في مسيرة حياة العائلة بأكملها.

فالكثير من الشابات اللاتي يقعن ضمن الإحصائية المذكورة واللاتي تشملهن نسبة 50% من الأسئلة السابقة يعتقدن أن الزواج حالة فردية تابعة للإنسان ذاته، وأنهن المسؤولات أولاً عن إيجاد شريك حياتهن، ثم موافقة الأب والتي قد تتحقق أو لا تتحقق، فإذا تحققت موافقة الأب فتلك قضية، وإذا لم تتحقق فإنها قضية أخرى، ولكلا الحالتين موضوع خاص سنتطرق إليه فيما بعد[1].

---

(1) المصدر السابق (The Responsibilities of Parenting).

ولكن القضية العامة هي أن الشابة المسلمة أو العربية إذا اختارت شريك حياتها بنفسها فهنالك احتمالات فيها مجازفات. . . منها: أنها تختار ذلك من خلال فهم ووعي كامل وإدراك رصين (وهذا نادر) فإنها يجب أن تختار لنفسها إنساناً متفهماً ملتزماً واعياً، ولكي تجد هذا الشاب بهذه المواصفات يجب أن يكون قد ترعرع ونشأ في مجتمع ينتج هذا النوع من المواصفات، وعائلة لها باع طويل في تربية هذا الإنسان، وهذا شيء إن لم نقل مستحيل فإنه أقرب إلى المستحيل (في عالم الغرب)، نعم ممكن أن نجد تلك المواصفات في الشاب الذي ترعرع في بعض أجواء عوالمنا العربية والإسلامية، فترى الكثير منهم وقد نالوا قسطاً كبيراً من التربية والوعي من خلال معيشتهم لأجواء الإسلام التي تؤثر على تفكيرهم ووعيهم.

فلنفترض أن النموذج المثالي لذلك الشاب الهادف موجود، ولكنه موجود في الشرق وليس في الغرب، فالسؤال المطروح هو: هل تقبل الشابة المؤمنة الملتزمة التي تعيش في عالم الغرب في أن تقترن بشاب من الشرق، على فرض أن عوائق السفر والإقامة محلولة لديه. . . .؟ فإذا افترضنا ذلك، علينا أن نتوقع وجود هّوة سحيقة ما بين الشابة التي ترعرعت في الغرب، ونشأت في أوضاع مختلفة تماماً ومفاهيم مغايرة كلياً، وشاب تربى في أجواء تسودها أعراف وتعاليم عربية على مفاهيم الزوجة، حيث تتراكم هذه الاختلافات وبمرور الوقت إلى أن تصل القضية إلى الانفجار.

لذلك فليس من المعقول أن نفكر في أن يحصل الزواج بهذه الطريقة، فقد أثبتت التجارب فشل هذا النوع من الزواج فيما إذا كان المكان هو الغرب، ولكننا لو افترضنا أن هذه الشابة المسلمة الملتزمة انتقلت إلى الشرق، وعاشت مع زوج بنفس المواصفات التي ذكرتها آنفا، فإننا نتوقع لهذا الزواج مستقبلاً زاهراً وطيباً ولكن معظم تلك الافتراضات غالباً ما تبقى افتراضات يصعب تحقيقها أو التنبوء الدقيق بنتائجها، لهذا فمن الواقعي أن نفكر أن الزواج يحصل ما بين الشابة والشاب وكلاهما يعيش في الغرب، وهذا معناه أن نموذج الشاب الواعي الذي نطمح به في الزواج غير موجود في

عالم الغرب، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار فارق العمر ما بين الشابة الصغيرة التي يرغب الأب في تزويجها من شاب فيه صفات الدين والخلق. والذي لا يتحقق ذلك إلّا بشاب وصل عمر الخامسة والعشرين أو أكثر. وهذا الفرق في العمر غالباً ما ترفضه الشابة الصغيرة، لأنها تبحث عن شاب لا يفرق في عمره عنها أكثر من خمس سنوات.

أسئلة إلى أب الولد

- هل يقضي ولدك وقتاً طويلاً خارج المنزل ومع أصدقائه. . . ؟
- هل يميل إلى اختيار أصدقاء ميّالين إلى الفراغ وملاحقة الفتيات. . . ؟
- هل يميل ابنك إلى تقليد المصارعين وتقليد الممثلين، وشراء الملابس المطبوع عليها أسماءهم وصورهم. . . .؟
- هل يرغب ابنك بتناول السكائر والتدخين وغيرها من الأمور المتعلقة. . .؟
- هل يتكاسل عن أداء الصلاة، وهل يرفض تعلم الدين واللغة العربية. . . ؟
- شكل شعره وملابسه هل يتشبه بالآخرين من الطلبة الغربيين والشباب. . . . .؟
- هل هنالك مشاكل ما بينه وبين والديه وإخوته. . . .؟
- هل يكذب ويخبر بأشياء غير واقعية ؟

- هل يحاول الظهور بمظهر الملتزم، ومظهر المفاخر أمام أبويه. .؟
- هل يكره التجمعات الدينية في المساجد، وفي مراكز الجالية. . .؟
- هل يصدر من فمه كلمات فحش باللغة الانكليزية. . . .؟
- هل يقضي وقتاً طويلاً أمام التلفزيون. . . .؟
- هل يرغب في تأجير أفلام الفيديو. . .؟

- هل يرفض العيش في الشرق فيما إذا دار كلام حول رجوع العائلة إلى هناك ؟
- هل فقد قيم الاحترام لأبويه والطاعة لهما . . . .؟
- هل الأم أو الأب تتعامل مع الابن بمشاعر تدليعيّة ؟
- هل يغدق الأب أو الأم أموالاً في سبيل نيل رغباته كشراء الملابس والمأكل وغيرها . . .؟

إذا كان الجواب على 50% من تلك الأسئلة بنعم، فمعناه أن الابن يميل في هذه المرحلة إلى الابتعاد عن مسيرة واقع الأسرة، والانحراف نحو المفاهيم الغربية.

ولكن السؤال المهم هنا: هل أن الزواج هو الحل لهذا النوع من الشبان كما هو في حالة الشابات وكما ذكرنا سابقا . . . .؟.

بالطبع حالة الشاب تختلف عن حالة الشابة في استجابته لمشروع الزواج المبكر، فلا يعني أن الزواج المبكر حالة ناجحة إذا طبق على الشابة في عمر معين سينطبق على الشاب في نفس العمر، وذلك لأسباب فسيولوجية وسايكولوجية كثيرة.

فالزواج المبكر للشاب في عمر الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة أثبتت التجارب عدم مصداقيته وفعاليته في الغرب، واثبت أن الشباب الذين قرعوا باب الزواج المبكر في هذا العمر قد منيت تجربتهم بالفشل، وأثبتت أيضاً أن الشاب الذي أقدم على خطوة المبادرة إلى الزواج المبكر ما هي إلّا حالة انفعالية وقتية سرعان ما ينفصل الشاب ويترك زوجة شابة في مدة قد لا تطول أكثر من سنة واحدة[1].

وقد يستغرب القارئ المسلم من هذا النوع من التناقض الذي أشرنا إليه

(1) Early Marriage, Child Spouses, Unicef Inocenti Center.

في الدعوة إلى تزويج الشابات وهن في عمر التبكير، بينما نجد ذلك صعباً في حالة الشباب. وقد لا نشجع عليه في تلك الأعمار، والسبب في ذلك يعود إلى عوامل متعددة وكثيرة أهمها: هو الجانب الفسيولوجي للمرأة التي غالباً ما تدرك أهمية جانب الزواج وهي في عمر مبكر وسابق لما هو عند الشاب، ولذلك فإنّ عمر البلوغ عند المرأة يكون بحدود التاسعة وربما قبل ذلك بينما يمتد عند الرجل لخمس أو ست سنين فيما بعد ذلك التاريخ.

هذا أولاً، وثانياً: الوضع الاجتماعي للعائلة المسلمة عموماً والتي تهيئ الأنثى من خلال وضعها وتصرفاتها إلى أن تكون صاحبة المسؤولية وصاحبة البيت المستقبلي، ويرى الأب والأم في إبنتهم وضعاً مختلفاً في الاعتماد عليها في شؤون الحياة بما هي عامة ولذلك نرى أن النضوج النفسي لدى البنت يسبق بما هي عليه عند الشاب، ونحن لا نتحدث عن صحيح أو خطأ، وإنما نتحدث عن حالة اجتماعية نشأت عليها مجتمعاتنا الشرقية في تعاملها مع الأنثى، ومع الذكر، ونترك خيار صحة ذلك أو عدم صحة إلى مناسبة أخرى[1]، ولذلك ومن خلال هذا الواقع، ومن خلال كل الملاحظات المشار إليها سابقاً، ومن خلال الإحصائيات نرى أن زواج الشاب المبكر في الغرب يجب أن يخضع لحسابات دقيقة جداً يراعي فيها كل العوامل النفسية والاجتماعية والفكرية.

وأرى أن الشاب إذا أراد الزواج مبكراً يجب أن لا يقل عمره عن 19-20 سنة بعد أن تتوفر فيه صفات أهمها:

- أن يكون على علاقة متينة مع عائلته.

---

(1) ومع الأسف نقول أن العائلة المسلمة وخصوصاً العربية منها تتعامل مع الشباب بطريقة مختلفة كلياً عما تتعامل به مع الشابات، فكأن وضع العائلة يقول للشاب أن حريتك غير حرية الشابة، والتزامك غير التزام الشابة، ومسؤوليتك غير مسؤولية الشابات، بل البعض من تلك العوائل ترى أن على البنت الشابة أن تخدم الولد الشاب وليس العكس. يراجع في ذلك البحث القيم التالي:
Religion and Education Gender Gap. Are Muslims Different?, Mandana Hajj and, Ugo Panizza. 2006.

- أن يدرك واقعاً أن الزواج هو تكملة لشخصيته.
- أن لا يكون قد مارس سابقاً علاقات غير شرعية مع فتيات أخريات.
- أن يكون ذا مسؤولية تؤهله لإدراك خطورة الموقع الذي سيتحمله ذلك وهو رب الأسرة.
- أن يكون ذا إخلاص في طبيعة تربيته وعقله سواء أكان ذلك الإخلاص لربه أم لعائلته أم لعمله الذي يرتزق به (Commitment). . . ؟
- أن يشعر أن وجوده في الغرب ما هو إلّا مرحلة لم يكن له الاختيار في صناعتها، وهذا معناه أنه يعيش في جو إجتماعي معين، ولكن تركيبة عقله ومشاعره ومبادئه ترتبط بحالة أخرى أهم ما فيها الحالة الإسلامية التي يطمح في الوصول إليها من خلال الأبناء والبنات وأهمها لبنة العائلة الإسلامية.
- ان يكون ذا طموح علمي ودراسي مستمر، بحيث يشغل ذلك الطموح الكثير من وقته وجهده، وعندما يختار الزواج فإنه يختاره لتكملة المشوار الذي يفكر به.

ولكن السؤال الذي نسأله هو: أين نجد هذا النموذج من الشباب، وفي جو الغرب جو الميوعة وجو اللامسؤولية وجو الابتعاد عن كل مما هو في خدمة رفعة التراث. . .؟[1]. وللجواب على هذا السؤال نشير إلى حقائق وأرقام على المسلم أو العربي الذي يعيش في الغرب أن يدركها جيداً وعلى العائلة المسلمة أن تستوعبها، وذلك هو أن الأنموذج المذكور آنفا أنموذج الشاب صاحب المسؤولية وصاحب الالتزام قد وجدناه من خلال معيشتنا في عالم الغرب، ووجدناه عند الكثير من العوائل العربية، العوائل المسيحية الملتزمة وغير الملتزمة.

وقد يمكننا أن نؤكد ذلك عندما ندرك ونعرف أن النظام الغربي بما هو

(1) Are You Ready For Marriage? How Pre-Marital Counseling Can Help...?

عام سواء على مستوى الدراسة أم على مستوى العمل يقدم أمام الإنسان كلا النموذجين: نموذج المسؤولية والالتزام، ونموذج التحلل والإنحراف، ويترك للناس أمر اختيار أحد الطريقين ولكن في نفس الوقت تميل المؤسسات والشركات وغيرها من الوسائل التجارية إلى العمل المنظم في سبيل تحسين صورة جانب الانحراف[1].

ففي الوقت الذي نرى أن المدارس الغربية العامة هي مدارس مختلطة، فإنه بالتأكيد نجد هنالك الكثير من المدارس الخاصة للبنات أو الخاصة للبنين بعيداً عن أجواء الإثارة ما بين الجنسين، وقد بدأت دعوات كثيرة ترتفع في سماء بعض التربويين للعمل على تبني مفهوم الفصل بين الجنسين في مقاعد الدراسة، خصوصاً في المراحل الثانوية من الدراسة[2].

فإذا كان الجانب المادي هو الدافع لدى الغربيين أصحاب المسؤولية في إذكاء جوانب القدرات الشخصية لديهم، فكيف سنتصور طاقات الشباب إذا جُمعت فيها الجوانب الفكرية الإسلامية والروحية، بالإضافة إلى جوانب المادة. . .؟

---

(1) وتشجيع الشباب على الأخذ به من خلال إذكاء غرائز الإنسان الجنسية، وغرائز الإنسان في حب الدعة والراحة والابتعاد عن المسؤولية، ولذلك تجد أن وسائل الإعلام عموماً تذهب وتدفع الشباب إلى جانب اللامسؤولية وجانب الميوعة والإنحراف، لأن تلك الوسائل سوف لا تتمكن من الحصول على الربح التجاري من دون استعمالها لتلك الأشياء في دعايتها وصورها وفي عملها.

(2) فالنظام الغربي عموماً هو نظام مادي، يعتمد على طاقة الإنسان وقدراته ومسؤولياته في التحكم بالكسب والربح، وما لم يمتلك الشخص قدرات ذاتية أهمها الدقة في التفكير، والدقة في تحمل المسؤولية. فإنه لا يتمكن من تحقيق الهدف التجاري المنشود، وتنتشر في الغرب اليوم مؤسسات كثيرة ومدارس متعددة لمعالجة حالة إعادة روح المسؤولية للشاب، وضخّه بطاقة الاعتماد على العقل، وعلى القدرة حيث تعمل تلك المؤسسات من خلال دروس خاصة وأشرطة تقدم على فترات من حياة الإنسان لتعليمه على المضي في طريق المنافسة في الحياة، ولذلك فعلى العائلة المسلمة في الغرب أن تكتشف طرق التربية الصحيحة لأولادها من خلال المدارس، أو من خلال تحول تفكير أولادنا إلى الجانب الإيجابي في تنمية النفس وتنمية الطاقات الفكرية والنفسية.

أعتقد أن الناتج سيكون هائلاً وكبيراً وهو ما نطمح إليه من خلال عملنا في الغرب، وقد نشاهد ذلك حياً وجلياً عندما نلتقي بشخصيات عربية إسلامية تعيش في الغرب منذ سنين طويلة، ولكنها تمكنت من الاستفادة من عطاء الغرب ومن طاقة التراث وطاقة الالتزام وطاقة الإسلام في تحويل تفكير الإنسان إلى قوة هائلة لا تحدها حدود[1].

(1) ونذكر على سبيل المثال منهم (لطفي علي عسكر زاده) مؤسس علم (Fuzzy Logic) (http://en.wikipedia.org) وهو أعلى تكنيك وصله علم الكومبيوتر لحد الآن، ونذكر أيضاً فريد زكريا، ونشير إلى الأستاذ القدير والمفكر المرحوم (أدور سعيد) أستاذ الأدب الانكليزي المقارن في جامعة كولومبيا، والاستاذ المفكر (فؤاد عجمية) الاستاذ في جامعة (جون هوبكننز) وغيرهم من أصحاب الأسماء اللامعة التي لا تعدها الصفحات، أو تلحق بها اليراعات. من الممكن مراجعة تأريخ حياة تلك الشخصيات من خلال الموقع العالمي (Wikipedia).

التجربه الثالثة



صراع الأبوّة

صراع الأبوّة

جمال شاب ترعرع في مدينة (أوستن Austin)[1] **العاصمة وإحدى كبرى** مدن ولاية (تكساس) الأمريكية التي تقع في الطرف الجنوبي من الولايات المتحدة، حيث تحدها (المكسيك) ثم جزء من خليج المكسيك. جاءت عائلته من الشرق الأوسط وهو لم يزل فتىً يافعاً عمره لا يتعدى العاشرة.

بعد أن نشأت العائلة ضمن أجواء دينية في تربية قرى إحدى البلدان العربية حيث الجامع وحيث صلوات الجمعة، وغيرها من المناسبات التي تركت أثراً فعالاً في مسيرة والد جمال وأمه اللذين كانا يحملان معاني كثيرة من التديّن والالتزام، فوالد الأم أي الجد كاتب مشهور له مؤلفات معروفة في عالم الشرق الأوسط في مجال التاريخ وبحوثه، كذلك الأب الذي انحدر من عائلة معروفة بالتزامها واستقامتها، كانت الهجرة صعبة جداً على مجمل العائلة، خصوصاً مشاكل المعيشة والعمل، ومشاكل الدراسة والعلاقات مع الآخرين.

لم يكن جمال ذا السنين العشر حديث العهد بالالتزام، فقد التزمه أحد أخواله منذ السنة السابعة وعلّمه من القرآن ومن السيرة النبوية الشيء الكثير، وأعطاه من العلم على صغره ما يمكنه من أن يتميز بين أقرانه من أبناء القرية الصغيرة التي كانوا يعيشون فيها.

---

(1) هي عاصمة ولاية تكساس الأمريكية، وحاضرة مقاطعة ترافيس، تقع في منطقة تكساس الوسطى، وهي رابع أكبر مدن ولاية تكساس بعد هيوستن ودالاس وسان أنطونيو، والسادسة عشرة بالنسبة للولايات المتحدة، ويوجد بها جامعة تكساس (University of Texas at Austin) وهي من أقوى الجامعات في العالم، خصوصا في الهندسة الكيميائية (www.en.wikipedia.or).

جاءت العائلة إلى الغرب بخمسة أبناء أكبرهم (جمال)، ثم (مطيعة) بتسع سنوات ثم ثلاثة أولاد آخرين يكبر أحدهم الآخر بسنة واحدة.

حرص السيد (دريد) الأب على إعطاء أولاده القدر الكافي من العاطفة والمحبة لتعويضهم عن الجفاف الذي تعيشه مجتمعات الغرب، ولكن السيدة أم جمال زادت على عاطفة الأب وبدأت تغمر ابنتها مطيعة بقدر غير محدود من الحب والعطف، ولم تتردد العائلة عن تلبية كل طلبات أولادها من الملابس الغالية ووسائل الترفيه وغيرها من كماليات الغرب التي تمتلئ بها الأسواق.

ويكبر الأولاد وتتحول مطيعة إلى شابة طويلة القامة جميلة المنظر تستر جسمها ورأسها بحجاب آلفته وجدت أمها ترتديه منذ أن فتحت عينها على الحياة، أما جمال فقد وجد في أبيه الرجل الذي لا يرد له طلباً، ولا يتوانى أبداً في توفير راحته ومستلزماته التي لا تحدها حدود مع قلة راتب الأب المسكين الذي يعمل براتب قدره ثمانية دولارات في الساعة.

كان الأب يعتقد وبمشاركة الأم أن الخوف على سلوك أبنائهم وأخلاقهم قضية غير واقعية، بل هي قضية تخويفية، فما دامت العائلة تمارس الصلاة والصيام، وما دام الحجاب له مصداقية في محيط العائلة فإنّ الخوف من الانحراف قد لا تكون له حقائق، فلم يدركا أن لهذا المحيط أثراً على الإنسان مهما كان ذلك الإنسان، ما لم يُحصّن بكل وسائل الدفاع الفكرية والنفسية، لم يكن يدرك هذان الأبوان أخطار المحيط حولهم وخطر المدارس الحكومية لأنهما لا يحسنان اللغة الإنكليزية ولا يعرفا شيئاً عن أجواء التأثر وأخطارها.

الأب والأم كانا لا يفارقان المسجد على الدوام، وكانا يراهنان أن أولادهم سوف يحذون حذوهم، ولا يمكن لهذا المحيط أن يؤثر سلباً على تركيب العائلة[1].

(1) يوجد ما يقرب من 1900 مسجد (رسمي) في الولايات المتحدة الامريكية أما =

وحان وقت دخول الشاب جمال مرحلة الثانوية وبدأت تقارير المرشد التربوي في المدرسة تنهال بتغيّب ابنه في هذه الحصة، أو في تلك الحصة أو في ذلك اليوم، وكانت الأم عندما تستلم مظروف المدرسة تسأل ابنتها عن محتوى الرسالة، وكانت مطيعة تجيبها أن إدارة المدرسة متشكرة لنشاط جمال في الامتحانات، وعندما يعود جمال إلى البيت تحيطه الأم بيدها مع قبلات متناوبة شاكرة له سلوكه المستقيم، بينما يتبادل جمال أثناء قبلات أمه له مع أخته مطيعة إشارات الاستهزاء والضحك.

وعندما كان الأب يعود إلى البيت كان جُلّ همه هو احتضان الصغير من أولاده (جلال) ذي السنين الأربع وتشبيعه تقبيلاً ثم مشاهدة التلفزيون، ثم العشاء والنوم أخيراً، فالأب أحياناً يعمل أثناء الليل ولا يأتي إلّا عندما تحين صلاة الفجر يوقظ زوجته وأولاده لأداء الصلاة، وكان جمال عندما يطرق أبوه باب الغرفة طالباً منه الاستيقاظ يصيح جمال وهو في الفراش (الله اكبر)... ليوهم أباه بأنه لا يتمكن من الإجابة لانشغاله في الصلاة، حيث يرفع الأب رأسه شاكراً ربه على إعطائه ولداً يسبقه في الاستيقاظ إلى صلاة الفجر.

يسترسل جمال في وضعه المنحرف، وفي علاقاته مع ثلة أصدقاء السوء ولا يأتي إلى البيت إلّا متأخراً خصوصاً في الأيام التي يعمل بها أبوه في أوقات متأخرة من الليل، حيث يصل إلى البيت قبل وصول أبيه بوقت قصير، لإيهام أباه بأنه هناك.

كانت الأم مدركة جيداً ماذا يجري حيث كانت على علم بسلوك إبنها، وعلاقته مع ثلة سوء يقضون أوقاتاً خارج المنزل في ممارسات لا أخلاقية، ولكنها -أي الأم- كانت ترى أن ابنها محروم من أجواء المتع والملذات التي يمارسها الشباب، وان الوقت هذا هو وقته، لكي يتمتع ويستأنس بالمتع التي كانت محظورة عليه ممارستها وهو في الشرق الأوسط وفي قريته، فكانت على

= غير الرسمي فهي لا تعد لكثرتها. ذلك وفقًا لمنتدى (www.iipdigital.usembassy.gov) حول الدين والحياة العامة، في أوستن هنالك أكثر من عشرة مساجد.

صغره له لياليه الحمراء الساخنة في كل الموبقات، وعندما سألته أمه يوماً أين تذهب في الليل كان جمال يجيب بأنني أجلس مع أصدقائي أدرس، ثم نصلي معاً ثم نقرأ القرآن أحياناً ثم أعود إلى البيت، وقد صدّقت الأم قول إبنها، لأنها تنظر إليه نظرة العاشق الولهان، وترى صورة الدنيا في ولدها، وكانت تقول له نعم يا ولدي عليك أن تعود قبل أن يصل أبوك إلى البيت.

وقد شعر جمال أن هنالك في البيت من يقف إلى جانبه، ويقف إلى جانب عربدته وممارسته، فإذا سأل الأب أحياناً زوجته عن سلوك جمال كانت الأم تطمئنه إلى أن ولده في غاية الالتزام في حياته وعلاقاته[1].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل جاءت مطيعة يوماً إلى أمها تسألها عمّا إذا كانت تسمح لها أن تنام في بيت إحدى صديقاتها (Sleeping over) لأنها ترغب في أن تسهر معها، وعندما حاولت الأم الاعتراض صاحت مطيعة بأمها ومتسائلة كيف يسمح لأخيها جمال ولايسمح لها في ذلك..؟ وتستسلم الأم للأمر في السماح لمطيعة في المبيت في بيت إحدى صديقاتها العربيات في أوقات متكررة خصوصاً ليلة عطلة نهاية الأسبوع، وكان على الأم أن تظهر لعائلة صديقة مطيعة أن مبيت ابنتها في بيتهم ليس فقراً أو حاجةً أو غيرها من الأمور، ولكي تؤكد ذلك المفهوم البالي كانت تلبسها من الذهب ما تثقل به جسمها الرشيق والجميل، هذا بالإضافة إلى الملابس الجميلة، ثم تزودها بأقلام المكياج، وتقول لها تزيّني هنالك لكي يتعجبوا بجمالك، ثم تجلس مع ابنتها مطيعة وتُحسّن لها أظافرها بالمبرد وترافقها في السيارة حتى توصلها إلى بيت صديقاتها.

تستمر الأمور وبمرور الوقت يصبح جمال شاباً يافعاً رزقه الله جسماً ضخماً، وعضلاً مفتولاً تختلط في وجهه سمرة الشرق ببياض الغرب بحيث يبدو للأمريكان وكأنه من الجنس الأسباني أو من دول أمريكا الجنوبية الذين

(1) A Compression of Cultures: The United States and the Middle East. Julia Rosenthal, et. al.

تمتلئ بهم تكساس ويعملون في شتى مجالات الحياة، وخصوصاً الإعمال التي تتطلب جهداً عضلياً وجسدياً، ثم يترك جمال المدرسة وأبوه لا يعلم شيئاً عن ذلك.

أما أمه فقد اقتنعت، أو أقنعت نفسها أن إبنها لا يصلح للمدرسة وعليه أن يتوجه إلى العمل لتوفير المصاريف الاجتماعية للعائلة خصوصاً مصارف الزينة والماكياج والملابس الفاخرة التي ترى الأم أن ذلك هو الحد المميز الذي يعطي للعائلة القوة والفخر أمام الآخرين من أبناء الجالية العربية، وتتكلم الأم مع الأب في أن يتوجه إبنها إلى العمل ثم الدراسة في أوقات مجزئه (Part time) فيقبل الأب على فرض أن أبنه لازال ملتزماً بالأخلاق وبالعادات الإسلامية وأن صلاته، وصيامه والتزامه لازالت كما هي عليه، لذلك فعليه القبول بالواقع، علّ ذلك يساعد العائلة على تحمل الأعباء المالية الكثيرة التي تنوء بحملها[1].

في إحدى الليالي وبينما كان الأب يعمل في منتصف الليل في محل لتوزيع (البيتزا) جاءت مكالمة تليفونية لنقل عشرين قطعة من البيتزا إلى إحدى بارات مدينة (أوستن) حيث ذهب مع السائق الذي كان هو -أب جمال- اثنان من العاملين لحمل البيتزا مع ملحقاتها إلى داخل أروقة البار، ثم وضع قطع (الكوكا كولا) إلى جانبها وتهيئة ما يجب تهيئته للضيوف، وينزل دريد من باب السيارة، ويدخل إلى القاعة الجانبية للبار لتهيئة المكان ثم يستدير نحو المطبخ لتناول شيء من الملاعق، وإذا به يسمع جلبة في باحة البار الذي يفصله عن المطبخ شباك زجاجي أحادي النظر، أي أن الزجاجة من النوع الذي يرى من في المطبخ مجريات ما يكون في الباحة. بينما لا يرى الناس في الباحة ماذا يكون في المطبخ.

عند سماع دريد الجلبة القي ببصره نحو الباحة وإذا بمجموعة من الشباب تحاول العراك فيما بينها بعد أن أخذت الخمرة بعقولهم، ولم يحاول

---

(1) The Effects of Father Involvement, Sarah A. & Kerry D.

دريد أن يعير اهتماماً لهذا الحدث، لأنه حدث عادي في كل بارات العالم[1]، وبينما السيد دريد يراقب الأمر وإذا به يصطدم بالخبر المؤلم ذلك أنه وجد إبنه جمال هو أحد أولئك الشباب الذين استأجرهم مالك البار لمنع تلك المعارك ويسمون باللغة الانكليزية (Bar Tender). . . . حيث كان إبنه جمال قد حمل أحد المتعاركين المخمورين ورماهم خارج بناية البار، ورجع إلى مكانه في الباب لحراسة ومنع المزيد من المعارك.

لم يتحمل الأب المنظر ولم يقتنع، وظن في البداية أنه يعيش في حلم، فرك عينيه ونظر مجدداً، هل حقيقة أن هذا الحارس الذي يقف في باب الحانة هو ولده جمال . . . . . .؟ نعم إنه هو بعينه، استدار دريد نحو الصالة ثم دخل باحة الحارة من الممر الجانبي وفتح الباب، لم يتكلم الأب، وأنما نظر إلى ولده نظرة الرذيلة. . . نظرة يختلط فيها العتاب بالألم، والاحتقار بالغضب، وعندما شاهد جمال أباه يقف أمامه لم يعر اهتماماً لذلك وأنما صاح به: أبي ما الذي جاء بك إلى هنا، أنني حاولت أجراء مكالمة تليفونية من الشارع فوجدت أن تلفون الشارع عاطلاً فدخلت هذا المبنى لأتصل بأمي لأقول لها أنني في الطريق إلى البيت.

سكت الأب قليلاً ثم حرك عينيه استهزاءاً بينما راح جمال مغادراً إلى الخارج متذرعاً بأنه في الطريق إلى البيت، ولكن الأب لحقه لا لكي يكتشف حقيقة إبنه، وإنما ليدخل قطع البيتزا إلى الداخل قبل أن تبرد، لم يكن جمال يعلم ما الذي جاء بأبيه إلى هنا، ولكنه دخل البار من الباب الأخرى بينما دخل الأب ثانية من باب المطبخ ومعه قطع البيتزا، ثم ذهب إلى الشباك

(1) وذلك بعدما يكثر الرواد من شرب الخمرة فتصعد إلى رؤوسهم وتتحول عندئذ نزعة العدوان في عقولهم الى ممارسة عادية، ولهذا يضع مالك الحانة رجالاً شباباً من ذوي العضلات المفتولة على أبواب الحانة يستعين بهم على منع أي محاولة للعراك ما بين الشباب المخمورين. وكل ما يعملونه هو حمل أولئك الشباب المخمورين ورميهم خارج البار مع أقرانه الذين يرغب بالعراك معهم، وعندئذ تكون المسؤولية القانونية على عاتق بوليس المدينة، وليس على عاتق مالك حانة الخمر.

الزجاجي فوجد ابنه جمال قد رجع ثانية إلى مكانه المطلوب منه أن يلتزمه طوال ساعات عمله.

رجع دريد إلى بيته عند وقت صلاة الفجر، فتوضأ وصلى، ثم أيقظ زوجته للصلاة، ثم توجه إلى غرفة مطيعة فلم يرها، وسأل أمها عنها فقالت أنها نائمة في بيت صديقاتها (إيمان) التي صادف عيد ميلادها بالأمس، ثم سأل الأب الأم عن ولده جمال محاولاً معرفة رأي الأم في ذلك، فقالت له: أن جمال قد خرج للعمل بعد صلاة المغرب، وهو الآن في طريقه إلى البيت، سألها: وماذا يعمل جمال...؟ أجابت الأم: إنه يعمل في محل لبيع الملابس لأنه يحب الموديلات، ويحب العمل في هذا الجانب من الإشغال، هز دريد رأسه، ولم بنبس ببنت شفة، ثم ذهب إلى الفراش محاولاً النوم، ولكن الأفكار أخذت منه كل مأخذ، وأكلت من عينيه كل لحظة نوم، ولكنه تظاهر بأنه مستسلم للنوم بينما غطت الأم في نوم عميق وكأن العالم حولها عالم لا يسوده إلّا الهدوء والراحة.

انتظر الأب إبنه جمال في الوصول إلى البيت، ولكنه لم يعد حتى شروق الشمس عندها استيقظت الأم لتهيئة طعام الإفطار للأولاد، فسألها الأب عن موعد وصول جمال إلى البيت، أجابت بأنه سيعود في أي لحظة إلّا إذا احتاجه صاحب المتجر عند ذلك فإنه يتأخر قليلاً ... تمتم الأب في نفسه شيئاً لم تفهمه الأم ثم سألها فيما إذا كانت تعلم رقم تلفون المعمل الذي يعمل به جمال أجابت بالنفي، قائلة: لا تقلق بأنهم شباب، وأنهم في وقت يجب أن يتمتعوا بالحياة وبهارجها، وانه لمن الخطأ أن نحرم أبنائنا من متع الحياة التي حللها الله لنا.

نظر إليها الأب نظرة عتاب ممزوجة بالقساوة التي لم تتمكن من إدراك معانيها، وبينما هم كذلك إذ رنّ جرس التلفون وإذا بجمال على الخط قائلاً لأمه بأنه سوف ينام عند أحد أصدقاؤه بسبب حاجة العمل له، ثم أغلق الهاتف بينما صاحت الأم يا ولدي يا حبيبي جمال أذن من يصنع لك وجبة

إفطار، ثم حاولت التباكي أمام الأب الذي لم يجبها، وأنما استدار وتوجه إلى فراشه ليقضي بعض السويعات في النوم.

وبعد الظهر ركب الأب سيارته متوجهاً إلى حيث البار الذي يعمل به إبنه جمال فلم يجده هنالك، مع علمه بأن حانات الخمور لا تفتح إلّا بعد أن يحل الظلام، ولكنه حاول ذلك للتأكد من صحة ما رأى.

وفي الليل لم يعد الابن إلى البيت إلّا بعد أن حان وقت صلاة الصبح اذ طرق الباب ودخل جمال البيت محاولاً التشكي من المرض والآلام التي تلم به، بينما عانقته الأم وهي تقبله بكل ما بوسعها التقبيل، في الوقت الذي كانت تلعن الشيطان الذي أدى بها إلى عدم رؤية إبنها منذ يومين، أما الأب فانه لم يتحرك من مكانه ولم يقم لمعرفة الأمر حتى مضى على ذلك يومان، واطمئن الابن أن والده سوف تنطلي عليه الحيلة، ولكن الأب في الواقع كان يبحث في خلايا دماغه عن حل لهذه المشكلة العويصة، المشكلة التي أدّت بإبنه إلى الوصول إلى نتيجة سيئة. بحيث جعلته حارساً لشاربي الخمر من المنحرفين.

بدأ الأب يسال أصدقاؤه ومعارفه طالباً منهم المساعدة في هذه الحالة وما الذي يجب عليه أن يعمل أو يتصرف. . .؟ هل الحكمة أن يواجه ابنه جمال، ويكشف معه الحساب، ثم يدخل في صراع طويل قد يصل إلى المسؤولين الحكوميين الذين غالباً ما يقفون إلى جانب الإبن لمحاربة أي فكرة تُفرض من قبل الأب لتربية أبنائه. . .؟ وقد يؤدي ذلك إلى عواقب متطورة في الفصل ما بين الابن وبين أبيه[1].

وانتهى بالأب الذهاب إلى أحد أصدقاؤه ذوي العقل والرزانة في أمور كهذه، وهي من الأمور الحساسة التي لها بُعد مؤثر في مسيرة العوائل، وحينما استشاره الأب في كيفية التصرف أشار ذلك الصديق، بأن عليه أن

(1) Is it legal? A families' guide to the law.

ينفتح هو على إبنه ليعرف السبب الرئيس وراء لجوء إبنه إلى العمل في أماكن منحطة مثل البارات وحانات الخمور...؟.

في مساء إحدى ليالي الصيف الجميلة طلب الأب من إبنه مرافقته في المشي على ساحل النهر القريب من البيت، متذرعاً أن جو الحدائق هنالك جواً مظلماً وهو لا يطمئن للمشي هنالك وحيداً ولعل إبنه جمال يرافقه، وافق جمال على العرض، وخرجا معاً مصطحبين بعض الحلوى للاستئناس بالوقت.

وبعدما حلّا في مجلس على مصاطب الحدائق الرائعة تذكر الأب أن عليه أن يتقن عملية الحوار بصورة جيدة، وأن عليه أن يتبع نصائح الصديق الذي فتح له طريق حل المشكلة، فسأل الأب إبنه جمال:

- بني ماذا تعمل وأين...؟
- لا شي إنني انتقل من شغلة إلى شغلة.
- أيهما الأخيرة...؟
- في معمل للنجارة.
- اين يقع...؟

أشار له الابن إلى منطقة بعيدة، وهو يعلم أن أباه لا يعرف تلك المنطقة.

- و هل توفر أموالاً من عملك...؟
- بعضها، لأنني في حاجة إلى شراء ملابس، وأحذية ومتعلقات أخرى...
- و كم تعمل في الشهر، وما هو دخلك..؟
- إنني ضجرت من التحقيق... صاح جمال بأبيه.

وعندئذ هبّ إلى البيت وترك المصطبة محاولاً التخلص من الحوار، لحقه الأب ببطء وهدوء ووضع يده على كتفه، قائلاً: إبني جمال إننا عائلة واحدة، وفي مجتمع غريب، ونحن نحتاج إلى أن يعرف أحدنا الآخر عن كل

شيء. عن مدخوله وعلاقاته وأوقاته وغيرها، فإذا لم تكن العائلة متماسكة بصورة واضحة لجميع الأفراد. فإنّ الفشل سيكون مسيطراً على هذه المؤسسة، لماذا يا بني ضجرت من الاسئلة...؟.

- دعنا من ذلك، ولنذهب إلى البيت، قال جمال.
- لماذا ترفض الحديث عن وضعك. فأنا أبوك وأنا من مسؤوليتي معرفة تفاصيل حياتك، لأن مستقبلك هو مستقبلي، وأنت جزء مني ومن مستقبلي
- ... نعم... نعم... ولكن لنذهب الآن.
- وتمشّى جمال خطوات يبتعد عن مكان أبيه تبعه أبوه وهو يقول له:
- وما قصة البار ...؟ سأل الأب.
- جمال: ها.. ها.. ها... أنا عرفت لماذا تلح في السؤال، لماذا لم تقلها منذ البداية...؟
- هل تخبرني الآن...؟
- لا... إنها مسؤوليتي.
- ... الأب صامتاً
- اذن لنذهب معاً إلى البيت

ويرجع الأب والابن جمال إلى البيت، ويذهب كل منهما إلى غرفته وكأنهما غريبان.

تحسست الأم من الأمر شيئاً جديداً، فدلفت إلى حجرة إبنها جمال تسأله عمّا حدث، وبصورة هادئة لكي لا يحس الأب، فأجابها جمال لا شيء لا شيء.

حاولت الأم أن تلح على ابنها، فأغلق الباب في وجهها، جاءت الأم إلى الأب تسأله: ماذا حدث؟ تأوه الأب، ثم سحب نفساً عميقاً وهو يفكر في الحل، ثم قال ياعزيزتي إننا على أعتاب انحراف في كل جسم العائلة، وإذا لم نعالجه الآن فإنّ الأمور ستزداد سوءاً، وعلينا أن نكون حازمين وحذرين.

ردت الأم أوه ... ما هو ...؟ وماذا حدث ؟

الأب هل تعلمين أن ابنك يعمل في بار من بارات شرب الخمور...؟

الأم مولولة: خمور...؟

الأب: نعم ولكن، لا ترفعي صوتك لأننا يجب أن نعالج الأمر بهدوء.

الأم باكية وهي تلعن أحد أصدقاؤه وتتهمه بأنه كان وراء هذه المصيبة.

حاول الأب جاهداً أن يؤكد للأم كي تكون هادئة في معالجة الأمر، وأن تبتعد عن مواجهة إبنها بهذا الخصوص، لأن القضية قد تتعقد، وأن تحاول التصرف بصورة طبيعية لئلا يشعر جمال بشيء يتخذ على أساسه خطوة أكثر جرأة، وبينما هما يتحدثان سمعا صوت باب الدار يغلق خلف جمال الذي غادر ليلتحق بعمله.

ساد صمت مطبق بين الأم الباكية، وبين الرجل الذي ذهل من تصرف إبنه.

ركب الرجل سيارته متوجهاً إلى صديقه صاحب النصيحة، ليسأله عما يجب عليه أن يفعل في هذه الظروف، دخل عليه، وأخبره بيما جرى، فكر الصديق في الأمر وناقش الأب في نوعية الأجواء التي جرى فيها حوار الأب مع إبنه...؟ وبعد مشاورات قررا معاً أن يذهبا إلى مكان عمل إبنه ليتأكد الرجل الصديق من كل الأجواء المحيطة بالأمر، فركبا سيارتهما وتوجها إلى البار المقصود، ثم استمر إلى الداخل فوجد جمال وهو يتمازح مع صديق آخر وكأنه يصارعه مع فتيات أخريات يصفقن لهما لتشجيعهما.

رجع الرجل إلى السيارة، ورجعا معاً إلى البيت، وسأل الصديق الأب عما هو فاعل في شأن إبنه...؟ أجاب الأب بأنه سوف يرسل إبنه جمال إلى الشرق الاوسط ليتعلم علوم الدين تحت إرشاد عمه الذي له باع طويل في مجال التعليم وتوجيه الآخرين.

رد الصديق عليه بأن التربية تبدأ من الأبوين، وأن الأب هو المسؤول الأول عن تربية الأبناء، وما عدا ذلك فإنّ الآخرين من أفراد العائلة ومن

المعارف هم مساعدون في عملية التربية،و لذلك فإنّ السفر إلى الشرق الاوسط قد يكون مجازفة غير محمودة، وغير مجدية، وأن الطريق الصحيح هو أن يجد الأب طريقاً ما في سبيل فتح حوار هادئ مع الابن، ومن خلاله يمكن أن يصحح من مفاهيم تصرفاته.

رد الأب بأنه عاجز عن اتخاذ أي قرار بشأن عودة الحوار، لأن جمال شاب عنيد، ومتصلب ولا يمكنه اقناعه.

قال الصديق: ولكن ما دور أم جمال هل تتمكن من ذلك..؟

الأب أم جمال لا تفهم عن الأمر شيئاً، كل ما تفهمه هو كيف يأكل إبنها وكيف ينام وكيف يلبس.

الصديق: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، إن الأم غالباً ما تساهم في انحراف الأبناء بصورة غير مباشرة، تحت ضغط العاطفة عاطفة الأمومة، وهي لا تعلم بأنها قد تكون أحد أهم أسباب الإنحراف.

ثم قال أيضاً: أنني لا أعتقد أن إرسال جمال إلى الشرق الاوسط سوف يحل المشكلة، فهنالك في الشرق الاوسط حيث الأجواء الخالية من رقابة البيت، وسوف يكون لجمال فرصة كافية لممارسة ما يحلو له من ممارسات فيصعب على العم أن يمارس صلاحية الأب.

رد الأب على الصديق قائلاً: ولكن يا عزيزي أن طبيعة المجتمع وشكل الحياة تختلف في قساوتها عن واقع الغرب، حيث تغيب البارات، وتغيب أجواء الإثارة وأجواء اجتذاب الشباب إلى الشهوات، فهنالك آذان يرفع خمسة مرات وهنالك جوامع وهنالك مظاهر دينية لها دور على عقل إبني جمال.

قال الصديق: أنت يا حبيبي تنطلق في قرارك هذا من زاوية تأثّرك أنت بتلك الأجواء، وتعكس ذلك على إمكانية تأثيرها على ولدك، ومع أنني أشاركك الفكرة بما هي عامة، ولكن لا يمكن للإنسان أن يتأثر بشيء إذا لم يدرك معنى ذلك الشيء، فقد يفسر جمال كل تلك المظاهر الدينية تفسيراً

مغلوطاً، وإذا فسرها بما يعتقد، فلا يمكن أن تجد لها سبيلاً إلى قلبه[1]، ومعنى ذلك هو أن المظهر الديني والأجواء الدينية لا تجد طريقها إلى قلب الإنسان إذا لم تكن واضحة للعقل، والذي يفتح طريق الوضوح هو الموجه لذلك الإنسان. وما دام جمال لا يدرك معنى الأجواء الدينية فإنه سوف لا يرى فيها إلّا ضرباً من (الرجعية).

قال الأب لا يا أخي، لا يا أخي إن الأجواء لها دور كبير على الجميع، ولا أعتقد بأنها تستثني إنساناً دون آخر، فهي ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها الإنسان بجنسه، فعندما يحلّ إبني جمال هنالك فإنّ زاده اليومي سيكون دراسة الدين، ودراسة علوم الفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث، وعندما يخرج إلى الشارع لا يرى إلّا مظاهر الدين من الحجاب والإلتزام ولا يسمع إلّا صوت المؤذن وصوت داعي الحق، ولا أعتقد أبداً بأن تلك الأجواء تستمر على عقل إبني من دون أن تترك أثراً إيجابياً على سلوكه.

قال الصديق: يا عزيزي، هل هنالك تجربة سابقة يمكن لك الاستفادة منها في هذا المضمار...؟

الأب: لا أعرف

الصديق: أنا لا أعرف أيضاً لأننا نعيش في تجربة جديدة، والواقع الإسلامي في الغرب ظاهرة جديدة في خصم ظروف الصحوة الإسلامية العالمية التي بدأت تغزو عقول المسلمين، وتدعوهم للمحافظة على عوائلهم، وأولادهم، لذلك فإنني أنقل لك صورة التجربة من خلال تصور، وليس من خلال تجربة، وتصديق، إضافة إلى أن التجربة التي نحن بصددها لابد وأن يكون لها تأثيرات مختلفة على نوعية ذلك الشاب. فقد تجد أن لهذه التجربة

---

(1) وقال له: لأضرب لك مثلاً في حياة سيدنا رسول الله ﷺ هنالك من عاش معه، وسمع حديثه، وتحسس خلقه العالي ولكنه لم يتأثر به أبداً، بل ازداد البعض عناداً على النفاق، والابتعاد عن الدين.

نجاحاً كبيراً على زيد، ولكنها غير ذات جدوى على عمرو، لهذا فعلينا أن ندرس النموذج قبل أن نطبق التجربة.

الأب: لا أعتقد بذلك، وإنما أرى أن الإسلام جاء ديناً لكل البشر، وجاءت معتقداته، وممارسته وعبادته عاملاً ينطبق على كل منا، فالصلاة مثلاً لها تأثير على الجميع. سواء أكان ذلك الإنسان متديناً واعياً ام متديناً غير واع، لذلك فرضها الله على الكل، كذلك الصيام وكذلك العبادات الأخرى بشتى توجهاتها، ولهذا فإنّ أجواء التدين، وأجواء الالتزام وأجواء الروحانيات سوف تعمل عملها الكبير على عقل إبني جمال، وسيعود بعدها إنساناً مستقيماً متديناً أفتخر به وأفتخر بهداه. سكت الصديق هنيئة وهو يبحث عن منعطف فكري يفهمه الأب ويدرك معناه[1].

ثم قال : يا أبا جمال: هل تعتقد بأن بلادنا العربية والإسلامية (كما تسمى) خالية من أجواء الفساد والانحراف . . . .؟ إن أجواء الانحراف متوفرة في كل البلدان، وفي كل مناطق العالم، ولكن الفرق فيما بين ما هو موجود هنا وهناك هو الوضوح العلني، والحرية التي سمحت لهذه الاشياء مع حماية القانون، أما هنالك فإنّ الأمور تمارس في السر مع قلتها، لهذا نسمع بين فترة وأخرى أن هنالك عصابة للمخدرات، وهنالك عصابة للاتّجار بالجنس ألقي القبض عليها[2]، بالإضافة إلى ذلك من الذي يضمن لك أن عم جمال سيملك القدرة، والوقت، والمعرفة الكاملة لتربيته . . . .؟ فعقل إبنك جمال الآن غير عقله قبل عشر سنوات، في ذلك الوقت كان حديث عمه يتناغم مع فكره ومع مستواه ومع إحساسه، أما الآن فإنّ حديث العم مهما أوتي من سعة

---

(1) Advice for schools, Brief guidance for handling Muslim parental concern.

(2) وقال: إن الشيطان موجود في كل مكان في العالم، وهنالك أعوان الشيطان موجودون، ومنتشرون يعيشون على بيع بضاعته، ولهذا فإنّ حماية الإنسان يجب أن تبدأ من داخله، وذلك بتغييره وتعبيده الى الحق عز وجل، وقد قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: 11]، وقال الامام علي: ميدانكم الأول أنفسكم فجربوا الكفاح معها أولاً.

العلم لا يمكن له أن يؤثر في عقل جمال إلّا إذا فهم ظروف الغرب وظروف نشأته، ومثل ذاك كمثل الدواء الذي يعطى للمريض، فقد يؤثر هذا الدواء على إنسان في ذلك البلد، ولكنه لا يؤثر على نفس الإنسان إذا عاش في بلد آخر، بسبب وجود مداخلات أخرى وعوامل خارجية اجتماعية وبيئيه ووراثية.

فلو افترضنا أننا نحن معاً ذهبنا إلى ذلك البلد الآن، وسمعنا حديث الموجه الذي كان يوجهنا في الجامع، وخطاب العالم الذي كان يلقي محاضراته علينا، فإننا بالتأكيد سوف نجد أن حديثه في عقولنا ليس حديثه بالأمس، وتأثيره ليس هو تأثيره بالأمس، وهذه قضية طبيعية عند بني البشر، باعتبار أن العقل الإنساني يتطور بمرور الزمن، وهذا التطور يحتاج إلى خطاب يتلاءم مع مسيرة التطور[1].

سكت الأب برهة، وفكر جيداً، ولكنه ماذا عليه أن يعمل الآن وهو يرى الانحراف يغزو بيته، ويخترق حصنه، حيث بدأ بإبنه الأكبر ولعل ذلك سيصل إلى ابنته مطيعة وعندئذ تحدث الطامة الكبرى.

فكر في نفسه لو أنه قَبِل توجيه صديقه الناصح، وعزف عن إرسال إبنه جمال إلى الشرق الاوسط، ماذا عساه أن يفعل. . .؟ لا شيء، ثم لا شيء، فلا أحد يمكن له أن يؤثر على مسيرة إبنه، أو أن يصلح دينه وتفكيره، إنه طريق وحيد يملكه ولا شيء غيره، لهذا فعليه أن لا يفكر بما يقوله صديقه الطيب، لأن ذلك سيؤدي به إلى مصيبة ليست بالقليلة، وهو مصيبة الانحراف البطيء.

وبينما يفكر الأب دريد جيداً وهو يحاول التقاط الكلمات ليتحدث استأذن الصديق من الأب ليدخل باحة داره محاولاً إعطاء الوقت الكافي للتفكير في الوصول إلى النتيجة، لأنه على علم بأن الأب وحرصه هو الذي يدفعه الآن في التشبث بمحاولة إرساله إلى الشرق الأوسط ولهذا فإنّ الخيار

---

(1) ولهذا قال ﷺ (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نحدّث الناس على قدر عقولهم)، الغزالي في الإحياء، ص144/ 1. وغيره.

الآخر خيار البقاء، وعدم إرساله يحتاج إلى صبر وتعاون، وقد لا يتحقق ذلك في أجواء عائلة دريد.

ماذا قلت يا سيد دريد: قالها الصديق بعدما عاد من باحة البيت، ثم أردف قائلاً: لا تجبني الآن ودع الأمر غداً أو بعد غد، فكر جيداً وسنتعاون بإذن الله على حل المشكلة.

رجع الرجل الطيب دريد إلى داره مثقلاً بالهموم، ومعبئاً بالآلام دخل بيته فوجد ابنته مطيعة تبكي في غرفتها بصوت عالٍ سأل عن سبب بكائها فقالت له الأم أن مطيعة عادت تواً من المدرسة رافضة ارتداء التنورة، وهي تلح عليّ أن أشتري لها بنطلون (جينز) من السوق القريب[1].

الأب: إنا لله، وإنا اليه راجعون. أجاب الأب: وماذا ستعملين يا أم جمال...؟

الأم: سأخرج إلى السوق لأشتري لها بنطلوناً.

الأب: وماذا تلبس هي في المدرسة...؟

الأم: ملابسها العادية، إلّا تعلم ما تلبس ابنتك يا رجل...؟

راجع الأب نفسه برهةً، وتحسس بعمق كلمات الأم، نعم إنه لا يعرف ما ترتدي ابنته المراهقة عند ذهابها إلى المدرسة، وفي مجتمع مراهقين تحوطه أحابيل الشيطان، فإذا كان هو لا يعلم ما تلبس ابنته، فكيف يعرف تصرفات ابنته داخل المدرسة، مع من تذهب، وماذا تتكلم..؟ وكيف تتصرف...؟

قال في نفسه: إنها مصيبة، مصيبة، مصيبة، فوق مصيبة.

إن السفر والذهاب إلى الشرق الأوسط هو أفضل الحلول.

إنني قررت وليس هنالك من يثنيني عن ذلك أبداً.

(1) What Kind of Mother Am I...? Impression Management and the Social Construction of Motherhood, Jessica L. Collett.

في اليوم التالي استيقظ الأب صباحاً مبكراً ليطل بنفسه على ملابس ابنته التي تذهب بها إلى المدرسة متحججاً بأنه يعمل بعض الفطور لنفسه، وعندما نزلت ابنته للذهاب إلى المدرسة وجد أن ملابسها ملابس بعيدة عن الشرع، فهي ضيقة في أماكن تبرز مفاتن أُنوثة المرأة، وحجاب الرأس تحول إلى موديل لطيف يغطي نصف رأس ابنته، وهي ترتدي حذاءاً عريضاً ذو علو يظهر شكل جسم البنت بصورة وكأنها ذاهبة إلى حفلة عرس[1].

تمتم مع نفسه .... يا إلهي ما هذا ....؟ وسألها: إبنتي مطيعة، أهكذا تذهبين إلى المدرسة.......؟ أجابت: نعم يا (بابا)، فأمي اشترت لي كل هذه الملابس، وهي تقول إنك أعطيتها الحرية في شراء ما نريد نحن، وهذه ملابس جيدة يا أبي لو قيست بملابس بقية الطالبات اللاتي يأتين إلى المدرسة بالشورت القصير والقميص الذي يصل إلى نصف البطن، فالجو هنا في (تكساس) حار جداً والكل يرغب في ارتداء ملابس قصيرة لتجنب الحرارة.

أجاب الأب: أهكذا....؟

قالت: نعم يا أبي، حتى (Jennifer) تعلمت مني أن تلبس مثل ملابسي بعدما كانت تلبس الشورت القصير.

قال: ومن هي (جانفير) ....؟ هل هي صديقتك يا عزيزتي في المدرسة.....؟

قالت: لا يا أبي إنها صديقة جمال حيث كانت هنا الليلة الماضية عندما كنت أنت عند صديقك[2].

---

(1) The Effects of Clothing on the Self-Esteem of Teen Girls, Sheryl Faber.

(2) في الولايات المتحدة نسبة موت المنتحرين ما بين المراهقين والمراهقات بين 15 الى 24 تعتبر ثالث أكبر نسبة للموت حيث وصلت الى 4000 وفي ذات الوقت تعتبر الحادية عشر في مسلسل الانتحار في عام 2004 (Suicide Prevention, Featured CDC Programs, Featured Resources Youth Suicide).

حار الأب، وطار صوابه، وتمنى أن تبتعله الأرض.

وأضافت ابنته مطيعة: يا أبي وقد أخذتني (جينفير) في سيارتها واشترت لنا (بيتزا) ثم ذهبت هي مع صحبة جمال إلى مكان عمله.

يا إلهي. . . . . ماذا يحدث. . . . . . . هل أنا في حلم . . . . أم ماذا. . .؟

سكت الأب ولكن السكوت لم يفتح أمامه إلّا المزيد من الألم والمزيد من الدموع.

رجع إلى زوجته وكأن الأمر لم يكن، ثم قرر في نفسه أن ينفذ خطته، التي لا يعلم بها حتى هي.

وقال: أم جمال دعينا نذهب في العطلة الصيفية المقبلة التي هي على الأبواب إلى الشرق الاوسط، لنزور إخوتك وأخوتي، ثم نعود بعد أن نمضي وقتاً معهم. . .؟

عظيم جداً فأنا منحصرة جداً، وأريد تبديل الأجواء، رائع، ولكن يا أبا جمال، هل نأخذ العائلة بأجمعها. . . . .؟

تعرفين إن التكلفة عالية ولا نمتلك ما يمكن لنا أن نوفر ثمن البطاقات، لا يا أم جمال ففي كل سنة نسافر إلى الشرق نأخذ أحد أولادنا معنا، وفي هذه السنة قررت أن أصحب إبني جمال لأنه يستحق ذلك. فهو يعمل مجداً طيلة اليوم، ويحتاج إلى سفر راحة بين أعمامه وأخواله .

صحيح والله إن إبنك يعيش ظروفاً متأزمة، فالجميع حوله قد ذهب في إجازة سفر ما عداه، وإنه يقول إنه يريد السفرالى (لاس فيجاس) لقضاء وقت من الإستجمام، سنذهب معاً أنا وأنت وجمال وسنزور ونقضي أسعد الأوقات هنالك وعليك أن تهيئ لوازم السفر، وأنا ذاهب لأشتري بطاقات الطائرة.

يعود جمال إلى البيت، وتخبره أمه بعزم العائلة على السفر إلى الشرق الأوسط، وأن السفرة قد لا تطول أكثر من أسبوعين، ففرح لذلك وطلب من أبيه أن يوفر له ألف دولار لشراء ما يحتاجه من هدايا لأصدقائه.

يغادر الأب والأم وجمال في اليوم الموعود على طائرة حطت بهم في الشرق الأوسط، حيث توجه الجميع إلى دار العم الذي استقبلهم بما يليق بهم، واستقبل ابن أخيه جمال الذي صرف جهداً غير قليل في تربيته وتعليمه القرآن، والأخذ بيده نحو العلم والمعرفة، فاحتضنه احتضان الإبن ورحب به أيما ترحيب.

في اليوم الثاني انفرد الأب مع أخيه ليفتح له قلبه ويطلعه على همومه، وعلى مشاكله في موضوع تربية أولاده، ثم أخبره بموضوع جمال وأنه يعمل الآن في بار من بارات الخمور، وأن وضعه الديني، والأخلاقي والسلوكي لا يتلائم مع التربية التي كان يأملها، لذلك جاء به إلى هنا علّه يعيش أجواء التدين، وأجواء الابتعاد عن عالم الرذيلة في الغرب، وإنه قرر له البقاء فترة غير محدودة لحين إصلاح ما أفسده الغرب.

رحب الرجل الطيب بالعرض، وتعهد بأن يبذل قصارى جهده في سبيل تحقيق الهدف المنشود، وعندما علم جمال بأمر قرار بقائه في الشرق الاوسط ثارت ثائرته وبدأ بالصياح والعربدة والنفور، ولكن العم الطيب أخبره بأنه سوف يهتم به، ويهتم بزواجه من إحدى بناته، ثم أخبره بأنه سيرافقه في العودة إلى الغرب، ومع أن جمال قد لوّثته أجواء الإنحرافات، ولكنه عندما يقف أمام عمه يشعر بأنه لا يملك القدرة للرد عليه والذي كان له الفضل في تربيته وتوجيهه عندما كان صغيراً.

قَبل جمال البقاء مكرهاً بعد أن قدّم الأب والعم كل التطمينات في الاهتمام به وبدراسته وتوجيهه، وفعلاً أقدم العم على أول خطوة في سبيل تربيته وهي أن ألبسه خاتم الزواج باليد اليمنى[1].

ويدخل جمال حلقات الدراسات الدينية ليلاً، ثم في الصباح التحق

---

(1) وهي كناية على أن الرجل له خطيبته، كما ألبس ابنته نفس الخاتم مع التريث في عقد صيغة الزواج، وهو أمر متبع في بعض البلدان العربية، وذلك لكي يفكر كلا الطرفين في التهيؤ لمرحلة الزواج.

بإحدى المدارس ليكمل السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية تحت رعاية عمه، وأبناء عمه وأصدقاؤه حيث شعر جمال بالارتياح لوجود هذه الأجواء الهادئة البعيدة عن الصخب، صخب الغرب وضوضائه.

لم يمر الشهر الأول والثاني، ثم الثالث إلّا وبدأ جمال يستعيد ذكريات الغرب وأصدقاؤه والسيارات الفارهة، وأجواء البارات الملأى بالحرية والانعتاق، وإشباع الرغبات، وكان الأب يتصل بإبنه مرة واحدة كل أسبوع لكي يثبته ويشجعه على الاستمرار، ولكن جمال كان يخفي شيئاً ما في عقله ومشاعره، بدأ ذلك عندما سار في طريق التمرد، وطريق التكاسل في حضور المدرسة، وحلقات الدرس متذرعاً بالمرض أحياناً وبالضجر أحياناً أخرى، وتستمر الحالة شهراً آخر على ذلك المنوال مع محاولات من العم متعددة في طريق استقامته وصبره، لكن الأمور لم تكن كما كان العم والأب يطمحان.

ينسل جمال في أحد أيام الأسبوع لتصل به قدماه إلى القنصلية الأمريكية حيث أخبر موظفيها بأنه مواطن أمريكي وقد أضاع جواز سفره، وهو يرغب بالعودة إلى وطنه، وهكذا أصدرت له القنصلية ورقة دخول البلد، بعدها توجه إلى إحدى شركات الطيران واشترى له مقعداً على طائرة متوجهة من الشرق الأوسط إلى (أوستن) عبر أوروبا كل ذلك حدث، ولم يكن العم والأب ولا أصدقاؤه على علم بما يجري.

يستقل جمال طائرته ويصل إلى أوستن في نفس يوم الاقلاع حيث استأجر سيارة أجرة قادته إلى البيت، فما هي إلّا مفاجئه كبرى أن يكون جمال بين ظهراني العائلة في أمريكا ثانية، حيث استغربت العائلة بأجمعها وصوله، فقامت الأم باكية وهي تقبل يد إبنها ورأسه وأطرافه شاكرة الله على وصوله، ويعود الأب المسكين فيجد جمال أمامه وقد ملأ طوله وضخامة بدنه مساحة بيته، حيا جمال والده، فرد الأب بألم ما بعده ألم وسأله مباشرة: عملتها يا جمال، رد عليه جمال بكل وضوح، هذا هو جيلنا وأنتم لا زلتم لم تفهموا حاجات الشباب.

قال الاب: ماذا تعني يا ولدي......؟ هل ارسلتك إلى الجحيم...؟ هل ارسلتك إلى الفقر، هل أرسلتك إلى حيث الحرمان...؟ لقد أرسلتك حيث دنياك وآخرتك، كنت عند عمك الذي أعطاك من الأبوة والرعاية وحسن السيرة ما شهد به الجميع.

أتدري يا جمال لِمّ قررت لك الإبتعاد هنالك في الشرق الاوسط....؟ إن الإنحرافات التي لاحظتها في سلوكك لا أرى لها إلّا أن تعيش أجواء الهدوء، وأجواء الايمان، فلم أجد وسيلة أخرى يمكن لها أن تلعب دوراً في هدايتك واستقامتك إلّا هذه.

جمال: ولكن ثق يا أبي ان تفكيرك هذا قد سد كل أبواب العودة إلى الدين، والعودة إلى دراسة العلوم الدينية أو الإلتزام، إنني أشعر بأنها خطوة خططت، ومحاولة من وراء ظهري، فأنا إنسان وأنا أختار طريقي، وأختار مستقبلي، وأن الأب ليس له سلطة على ولده إلّا التوجيه، أما إذا تعدى ذلك فإنّ هنالك قانون حكومي يمكن له أن يوقف ذلك الاب.

صمت الأب برهة وهو يبحث عن جواب شافٍ ليقول لولده الذي بدأت نبرات صوته تتغير نحو المواجهة، ونحو الشدة، وتمنى أن الأرض ابتلعته قبل أن تبتلع ولده الذي بدأ يشعر بأنه يمر بمرحلة صعبة جداً وعصيبة في أيامها ومواجهتها مع ولده جمال.

يرجع جمال إلى المدرسة العامة ليكمل دراسته صباحاً، وعصراً حيث يذهب إلى أصدقاؤه القدماء، وحيث حانات الفجور، والخمور ليعمل حارساً هناك الي حين الساعة الثامنة صباحاً.

أما الأب فقد أصابة الإرهاق والتعب، والألم وهو يرى الانحراف يتسرب إلى بيته وإلى عائلته، وأن الأعداء أعداء الله قد حلّوا بين ظهرانيه وهو لا يملك من يردهم أو كيف يردهم[1].

(1) Pamela Bremner et.al. Young people, alcohol and in A study of young people and their relationship with alcohol.

وهكذا راجع الأب صديقه القديم مستشيراً إياه على فيما يجب عليه أن يتصرف أمام ظروف جديدة ومعقدة كهذه. أخبره الرجل الصديق صاحب الخبرة أن التربية، والتوجيه إذا لم تبدأ من العائلة -الأب والأم- فليس هنالك من يقوم بها، مهما كان ذلك القريب عماً أو جداً أو خالاً، فإنّ كل المحاولات الأخرى لا يمكن لها أن تعمل عملها في تغيير مستوى تفكيره ونظرته إلى الله، وإلى الخوف منه والاقتراب من توجيهاته.

إن الايمان هو زرع، ولا يمكن للزرع أن ينمو إلّا إذا كان هنالك من يزرعه ويسقيه ويحتضنه، ويقوي سيقانه، والفلاح هو الشخص الوحيد الذي يقوم بمهمة الحفاظ على زرعه، لأنه الأعرف بقيمته، فما لم يقم ذلك الفلاح بواجبه فإنّ الزرع يتحول إلى هشيم تذروه الرياح[1].

عقّب الرجل الخبير قائلاً: أنت يا أخي دريد لم تهتم بالأولاد منذ الصغر، وأعني -بكلمة لم تهتم- أنك لم تحاول زرع عناصر الخير وإنما تركت الأمر للمصادفة في أن يتعلم أولادك طرق الخير ويتجنبوا طرق الشر، من خلال مشاهداتهم في الحياة، أي بمعنى آخر فإنّ التربية هي عملية إيجابية (Active) وليست سلبية، فلا تنتظر من الأولاد أن يبادروا إلى طلب التربية، وطلب المبادئ الفاضلة ابتداءاً، وإنما على الأب أن يُعرّف أولاده بتلك المبادئ، وأن يزرعها في أعماق نفوسهم، وأن يبحث عن أفضل السبل لزرعها، لأن عقول البشر متفاوتة مثل طبيعة تضاريس الأرض منها السهل ومنها الصعب، ومنها المعاند، وهكذا، كما أن لكل أرض من تلك النماذج

---

(1) وأضاف الرجل الناصح قائلاً: إن الولد هو (حرث الدنيا) والوالد هو المسؤول الأول عن زرع بذور الخير في تفكيره، وزرع بذور الخير تلك في عقل الابن، ولا تأتي تلك فقط من خلال الكلام، وإنما من خلال الممارسة التي يقوم بها الأبوان في حياتهما، وعلاقتهما وتعاملها مع أحدهما الآخر ومع الناس، فالخطأ الذي يرتكبه الأب أو الأم في حياتهما ينطبع في عقل الأولاد ويستقر في حجيرات الدماغ الخلفيّة وتظهر متى ما أوتيت الفرصة المناسبة لذلك، لهذا تجد الكثير من الأولاد يحملون تناقضاً سلوكياً في حياتهم بسبب عدم قدرتهم في السيطرة على ما يؤمنون به حالياً، وبين ما بُنيّ في عقولهم في الزمن الماضي بسبب تصرفات الأبوين.

طريقة للزرع فيها، كذلك هو عقل الأطفال يحتاج من الأب أن يدرك أي الطرق هي أنجح لزرع مبادئ الخير، ثم أضاف الصديق الطيب قائلاً: فجمال عندما كان صغيراً وفي سن مبكرة من الإدراك لم تكن تعتقد يا أخي دريد بأن هذا الطفل الهادئ الوادع ذا الوجه الملائكي بصفائه وبراءته سيتعامل مع الشر وعناصره، وإنما كل اعتقادك أن الحق هو وعناصره ستكون العوامل الوحيدة التي تجد طريقها إلى عقله، بينما الشر سيرفضه فطرياً[1].

أما إذا نظرنا لهذا الأمر من زاوية أخرى لوجدنا أن الأبناء إذا كانوا قد تشبعوا بمفاهيم الفضيلة، ومفاهيم الخير، ومفاهيم الإسلام فإنهم سوف يتعاملون مع هذا الامر -أعني مفاهيم الغرب- وكأنه أمر مرفوض داخلياً، ولا يمكن النقاش فيه والتفكير به مجدداً، وعندئذ يعيش الولد وهو طاهر التفكير، أو بعبارة أخرى ان الولد هو امتداد طبيعي لسلوك الأب، حتى وإن كان الأب لا يقصد في حياته العامة، والتربوية في توجيه أولاده[2].

---

(1) هذا هو الخطأ الجسيم الذي يقع فيه معظم الآباء، ولذلك فهم يتهاونون في زرع مبادئ الخير باعتقادهم إنها ستجد طريقها بصورة طبيعية الى عقولهم، وما أن يكبر الطفل ويبدأ مرحلة الإدراك وبسبب ظروف المجتمع والمظاهر العامة والتلفزيون والمدرسة والاصدقاء، يضعف الطفل عن التميز ما بين الفضيلة والرذيلة، لأن الرذيلة في مجتمع الغرب صارت هي السائدة، بينما الفضيلة مهزومة وليس لها وجود فعلي فيما بين الناس، وهذا ما يدفع الأولاد الى التعايش مع الرذيلة على أنها فضيلة. فمثلاً تحولت قضية صداقة البنات من قبل الأولاد الى قضية طبيعية في الغرب، لأن الكثير من الناس يمارس عملية الصداقة تلك، وكأنها صارت قضية أساسية من قضايا حياة الشاب. فلا يمكن للأب أو الأم الاعتراض عليها، وهي ميل طبيعي لا يمكن للبيت أن يقف بوجهها مهما أوتي من قوة. أنظر البحث العلمي المنشور في التطرق الى ذلك:
Best Practices for Parent Education and Support Programs. Anne Samuelson.

(2) وهذا معناه بصورة أوسع أن الأولاد سوف يتعاملون مع مظاهر الغرب بكل إنحرافاتها بطريقة عفوية، وهي طريقة الشارع العام الذي يرغب ويميل الى الراحة والمتعة والتحلل من الالتزامات والانعتاق من ظروف التجديد، والأخلاق والتوجه نحو ما تصبو إليه فطرة الإنسان الشهوانية في التشبع من ملذات الحياة، فإذا لم يحدد الأب موقفه تجاه تلك الأمور وبصورة واضحة وعلنيّة وبشكل متكرر فإنّ الأولاد سوف يجدون في أنفسهم بأنهم قد غرقوا في المستنقع الغربي من دون شعور منهم، كذلك حالة الآباء الذين وجدوا أنفسهم في ظروف مفروضة عليهم من قبل الآباء وضغط المجتمع. انظر المصدر السابق:
Acomperetion of Cultures, Rosenthal et. al.

دريد الأب كان يستمع إلى صديقه وهو يتحسس جيداً ظروف نشأة أولاده، والأخطاء التي ارتكبها بدون معرفة وإدراك مدى خطورتها، وكان يجيب محدثه الصديق بإيماءات تدل على موافقته لما يقوله مع تقطيب في وجهه. يمكن لك أن تستشعر الألم والحسرة من خلاله.

يرجع الرجل الطيب دريد إلى بيته يقود سيارته وهو غارق في وضع إبنه وعائلته، ومصير أبنائه الآخرين الذين لم تصل إليهم نار الانحراف لحد تلك اللحظة، وتوقف في محطة تعبئة البنزين فوجد أناساً يروحون ويغادرون وهم لا يعبئون بالحياة أو مشاكلها، ولا يعبئون بما يخبئ الدهر لهم ولعوائلهم، والتقى هنالك بشخص عربي يملك تلك المحطة ويديرها مع ابنته المراهقة، وهي تضحك وتتمازح مع حفنه من الشباب الذين تحلّقوا حولها ضاحكين ومستهزئين بمن يمر عليهم، بينما الأب غارقاً في تصفيف الأشياء على الرفوف، وإظهارها بمظهر جيد لكسب الزبائن، سلّم عليه دريد رد التحية صديقه وهو يركض ما بين الرفوف وبين آلة استلام النقود، وهو يدير له رأسه بسرعة قائلاً: مرحباً عزيزي، أراك بخير، باي... باي ... تراجع دريد إلى ورائه وعرف أن الحديث مع هكذا أشخاص غير مثمر وغير مجدٍ، ركب سيارته راجعاً إلى البيت، وفي الطريق قفزت إلى رأسه فكرة، إبتسم لها أولاً، ثم قطّب حاجبيه قائلاً في نفسه لا....لا ....لا... ثم حدّث نفسه ثانية.

ثم أجاب على ذلك قائلاً: لا أعتقد ذلك صحيحاً......

كانت الفكرة جهنمية، وغريبة على تفكير الشخصية العربية والاسلامية. وهي فكرة برزت من خلال ظروف القهر والألم والعذاب والتي تُفاجئ البشر في حالات الضعف وفي حالات الشعور بالانهزام[1] ثم تساءل مع نفسه

---

(1) تلك الفكرة هي السؤال التالي: لماذا أعيش حالات العذاب، وحالات الألم والصراع النفسي أمام حادثة أو قضية يعيشها الناس بأجمعهم،و يتعايشون معها بشكل هادئ وكأن القضية ليست قضيتهم.......؟ فانحراف الأولاد في الغرب صار حالة تكاد تكون طبيعية في معظم العوائل، ولو أردنا أن نكون أكثر دقة في هذه المسألة فإنّ المراهق الذي يعيش في الغرب لا بد له وأن يمر بظروف الإنحراف، حتى ولو لمرة واحدة في حياته.

قائلاً: فمن يعلم ربما أن انحراف جمال الآن هو حالة مؤقتة يعيشها معظم المراهقين، وهي أقرب إلى الظرف الطبيعي منه إلى الانحراف...؟

وإذا كانت حالة طبيعية، هل تحتاج إلى كل تلك الآلام والصراعات...؟

أجاب دريد على نفسه بشكل وكأن الشيطان قد نطق على لسانه، أجاب نفسه ب(لا)، إن ظروف جمال ووضعه لا تحتاج إلى تلك الآلام والآهات..... إنها حالة طبيعية في الكثير من البيوت والعوائل، إنها لا تخرج عن نطاق المتعارف أو نطاق الموازنة الاجتماعية، ولهذا فإنّ التعامل معها يجب أن يسلك طريقاً هادئاً غير متشنج أو منفعل.

وصل دريد إلى البيت وهو يبتسم لنفسه وكأنه يقول في نفسه: (لقد وجدتها)، وتحلّق حوله أفراد عائلته ليجدوا أباهم ولأول مرة ولأكثر من سنتين وهو يبتسم معهم، ويتداول أطراف الحديث، بينما دخل ابنه جمال إلى البيت صائحاً بأمه أن تعد له وجبة العشاء، فهو على موعد مع حفلة غناء تقام في المكان الذي يعمل به، وستكون هنالك مسابقة لانتخاب ملكة جمال مدينة أوستن، وأن أعضاء غرفة تجارة المدينة سيكونون هنالك، وأن عليه أن يعد نفسه لارتداء زي خاصاً لهذه المناسبة.

نظر الرجل إلى إبنه وهو لا يدري ما يقول، وكأنه يعيش بين عهدين. كأن شخصيته انفصمت وانقسمت، فقلبه وعقله يبكي داخلياً، بينما أحاسيسه، وعواطفه، وانفعالاته ضاحكه محاولة إخفاء حقيقة ما يدور في عمق تكوينه.

صار الرجل يفكر بشكل آخر، ذلك الشكل الآخر هو أن يحافظ على إبنه بما هو.... لا أن يدفعه إلى ارتكاب ما هو أبشع مما هو عليه الان، ولكن السؤال ما هو ذلك الشيء الأكثر إنحرافاً....؟ وهل هنالك إنحراف وهنالك أكثر إنحرافاً ...؟ أم أن الانحراف واحد....؟ والمشكلة واحدة، وما دام الإنسان قد وضع رجله في طريق الشيطان فإنّ الشيطان لن يفارقه، ولن يتركه لأنه صار من حزبه ومن أتباعه.

وهنا ومن هذه النقطة بدأ الأب يعيد ترتيب أوراق تفكيره. فبالأمس كان حريصاً على أن لا يقع ابنه في مطبات الإنحراف، أما الآن فإنه يرى أن مطب الانحراف ذلك أصبح طريقاً واقعياً، فعليه أن لا يزيد من هوّة ذلك المطب، فقد تقبّل الوضع الحالي، وبدأ يتعايش معه على أن قضيته أصبحت تفرض نفسها، وعليه إذن أن يتعامل معها بأسلوب وتفكير يختلف عما تعامل معها بالامس. . . . . فإبنه جمال وانحرافاته أصبحت قضية مفروضة عليه، فالأم والأولاد والبيت والأصدقاء تعاملوا مع ذلك الانحراف بأسلوب بعيد عن المبالاة، فلماذا إذن هو يتعامل معها بغرابة وتشنج ورفض. . .؟ فالآخرون يعيشون هادئي البال، بينما هو الوحيد الذي يتعذب ليلاً ونهاراً وهو الوحيد الذي يصارع نفسه، وآلامه بكل مداخلاتها.

إذن لقد حان الوقت للمعايشه مع الإنحراف، وبدت قضية البُنوّة تفرض نفسها بصورة أكثر قوة، وأكثر تاثيراً على نفس الأب دريد أكثر من القضية المبدأية، وقضية الانحراف عن طريق الإسلام وطريق السلوك القويم.

يمضي الأسبوع الثالث ويزور الأب صديقه القريب، ليقول له بأنه درس الموضوع، موضوع إبنه جمال ولم ير في سلوكه ما يثير الاستغراب أو التشنج، وأنه وجد في ذلك قضية طبيعية في الغرب، لأنها مستحكمة في كل الشباب المسلمين والعرب الذين يعيشون هنا، فلماذا إذن أحاسب إبني على ما لم يتسبب به من خلق ظروف الإنحراف، وأعيش في ألم وصراع معه ولعلي أفقده وأفقد رابطة الأبوة والبنوة التي تجمعنا.

لم يعلق الرجل الطيب على صديقه وإنما فَهِم منه المشكلة برمتها، وفَهِم خطورة الفهم الخاطئ لمصطلح الانحراف، وفهم أيضاً خطورة الفهم المعكوس للابوّة والبنوّة. وكل ما قال له: عليك يا دريد أن تعي الأمور وتزنها بميزان آخر غير الميزان الذي تستعمله، بل عليك أن تختار ذلك المعيار، وأن لا يكون مصدره أنت، لأنك مستحكم برابطة أقوى من رابطة المبدأ تفرض نفسها عليك باتجاه ما يناغي عواطف الأبوة.

تشخيص المشكلة :

- المراهق عندما ينمو ويفتح عينيه على حياة الغرب، فإنّ هنالك صعوبة في الانعتاق من مفاهيم المدرسة، والشارع، والأصدقاء، لذلك فإنه يبدأ ببناء أفكاره، وتصوراته من خلال ما يحيط به من أجواء[1].
- الأب الذي يعيش مع ابنه في دور المراهقة لا يكفي له أن يحيطه بأفكار الأبوّة والعائلة، كما هو موجود في بلداننا الشرقية، بل عليه أن يجد أكثر من تلك الرابطة، لأن الأبناء في أعمارهم المتقدمة لا يدركون عمق وأهمية التفكير بالصورة التي يفهمها الآباء[2].
- غالباً ما تميل الأمهات -الشرقيات خصوصاً- إلى الوقوف إلى جنب الأبناء بدافع عاطفة الأمومة الجامحة، ثم التغافل عن التغير السلوكي الذي يطرأ على تصرفات الأبناء بسبب الابتعاد عن المشاكل فيما بينهما وبين أبنائها[3].
- الإتكالية في التربية عملية غير صحية، بل أن التربية عملية لا تختلف عن أي التزام أو واجب ديني يفرضه الباري عز وجل على البشر، فلا يسقط هذا الواجب عن أحدنا إذا قام به غيرنا، بل أن الإنسان مسؤول عن كل واجب فرضه الله عليه في الحياة، فحينما يعجز الإنسان عن تربية أولاده في ظروف معينة، يحاول أن ينقل معركة التربية إلى أرض أخرى أو مشهد آخر كما حدث لدريد الأب عندما أعتقد أن بلدان الشرق الاوسط قد تساعده في تربية ابنه، وهذه نوع من الإتكالية التربوية.

---

(1) The Influence of Media on Teenagers, Nenad Jevtic.

(2) A Parent's Guide to Understanding Teenagers.

(3) Grown Impact of Investments in Female Education On Gender Equality. Anju Malhotra et. al.

* التربية لا تتحدد بعمر معين، ولا بتأريخ، وإنما تبدأ منذ أن يبدأ الوعي التكاملي لدى الأبناء بالظهور. وهو في حدود السنة السادسة أو السابعة من العمر، وهذا معناه أن الآباء يجب أن يبدأوا برنامجهم التربوي منذ ذلك التاريخ، وبأسلوب معتمد على الوضع الاجتماعي والوضع العائلي وطبيعة شخصية الطفل، فالتعامل مع الطفل الذي ولد في (أوستن) وترعرع في (مصر) ثم هاجر إلى الغرب، فلكل حالة من تلك الحالات وضع خاص على الأب أن يدركه. . . . في قصتنا الماضية لم تؤخذ كل تلك العوامل بنظر الحسبان، وإنما كان الأب دريد يتعامل مع ابنه الكبير وكأن العائلة لا تزال تعيش في الشرق.
* الركون إلى من له باع وخبرة في مجال التربية قضية حيوية وأساسية للعائلة العربية والإسلامية في عالم الغرب، وهذا يعني أن يعترف الكثير من الآباء بأن التربية مجال لا يمكن لكل إنسان أن يقرر وحده تقدير مداخلاتها وتفرعاتها، وعلى الآباء أيضاً أن يدركوا أن التربية ليست قضية قابلة لعنصر الخطأ والصواب، وإنما هي قضية إبداعية تنفصل إيديولوجياً وعملياً عن مفهوم الأبوة أو الأمومة، فإذا أحب الأب أو الأم إبنهما فهذا لا يعني بالضرورة أنهما قادران على توجيهه تربوياً، لأن الحب الغريزي شيء والتربية شيء آخر[1].
* حينما تسير الأمور التوجيهية، والتربوية لعائلة ما نحو الجانب السلبي، فإنّ إفرازات هذه السلبيات يجب أن نتعامل معها بشكل عقلائي هادئ بعيداً عن التشنج والانفعال، وهذا لا يعني أن العقلائية هي التهاون، وإنما العقلائية هي دراسة العلل والنتائج، ففي قضيتنا كنا قد شاهدنا كيف أن الأحداث والآلام التي أصابت الأب

---

(1) Eman Tiba, and Dr. Antoinette Miranda: Self-Concept in Muslim Adolescent Girls: Hijab and the School Experience.

دريد، ثم انتقلت إلى البقية من أفراد عائلته بسبب إبنهم الكبير جمال، وسلوكه، وهذا أثّر سلبياً على سلوك الأب مع أصدقاؤه ومع عائلته ومع إبنه مما أدّت به إلى أن يتخذ الأب خطوات غير مدروسة بحثاً عن الأمان والاستقرار.

- حينما تُشخّص مشكلة ما في عالم التربية، أو في أي مجال علمي آخر يجب أن يكون التشخيص مستنداً إلى قاعدة ثابتة، أو قانون مؤكد، لا أن تكون التشخيصات مستندة على انفعالات وعواطف أو رغبات، لأن الرغبة والعاطفة متغيرة، بينما القانون ثابت والمبدأ راسخ، فمثلاً في الفترة الأولى حينما شعر الأب دريد بأن إبنه يسير نحو طريق الخطأ، اتخذ خطواته في سفره إلى الشرق، أو غيرها من المحاولات مستنداً في ذلك على تصورات، وأقول: تصورات، لأنه عندما واجه المأزق ووجد أنه لا حل له إلّا الركون إلى قبول المشكلة تبدّل موقفه، وبدأ يتعايش مع إنحرافات إبنه وكأنها طبيعية، قد يمكن لدريد أن يبقى على تشخيصه لإنحراف إبنه، ولكنه في نفس الوقت عليه بأن يعترف أن الانحراف هذا لا يملك أمامه سبيلاً لعلاجه، بينما هو لم يمارس هذه الحدود، وإنما غيّر في ذهنه حقيقة أن انحراف إبنه طبيعي، مستنداً على شيوع ظاهرة الانحراف بين أبناء الجالية العربية الإسلامية.

العـــلاج :

- نكرّر المسألة التي ذكرناها آنفاً، وهي أن التربية يجب أن تبدأ من سن مبكرة من عمر الأولاد، وأن يشعر الآباء بأن انحرافات أولادهم قضية حتمية إذا لم يبادروا إلى وضع برنامج تربوي يبدأ منذ نعومة أظفار الأطفال[1].

(1) Too Young to Leave the Nest? The Effects of School Starting Age. Sandra Black, et. al.

- أن لا يتساهل الآباء في أي قضية انحرافية في سلوك الأطفال مهما كانت صغيرة، ومهما كانت مبكرة، وهذا معناه أن يبادر الآباء لعلاج ما يرونه خاطئاً وبشكل علمي وهادئ مستنداً إلى واقع رصين.
- أن يبحث الآباء عن أسباب الانحراف ويشخّصونها بدقة، وبطريقة علمية، وأن يمتلكوا الشجاعة لحلها، والمبادرة لعلاجها، فإذا كانت الإنحرافات نابعة من ضعف الطفل أمام ضخامة المجتمع الهائل، فعليه أن يبادر إلى إيجاد طريقةٍ ما تعمل على تقليل الإحتكاك ما بين الطفل وبين المجتمع بصورة أو بأخرى، وإذا كان السبب هو سبب شخصي فإنّ الأب مسؤول أن يوفر لطفله جواً يشعر به بالطمأنينة والراحة، وهكذا... فالكثير من الآباء مثلاً يعلمون أن للتلفزيون أثراً كبيراً على سلوك أبنائهم، ولكنهم لا يمتلكون الشجاعة في وضع طريقه للتعامل مع هذا الجهاز، نقول طريقة، وذلك حسب إبداع العائلة في هذا الأمر... وكذلك الكثير من العوائل ترى أن علاقة أولادهم مع أقرانهم من الأجانب فيها معطيات سلبية على سلوك أولادهم، ولكنهم يتغاضون عن ذلك متذرعين بحجج كثيرة تجنباً لعدم إزعاج أولادهم وإبعادهم عما يرغبون.
- إرسال الأولاد إلى الشرق الأوسط قضية حساسة جداً تحتاج إلى دراسة علمية وتعاون كامل من قبل الأبناء، وقد أثبتت التجارب التي عاشرناها أنها لم تحقق النجاح المطلوب[1].

(1) خصوصاً حينما يرجع الطفل الى الشرق وحده وهو في طور المراهقة، بدون اصطحاب العائلة له، فقد يرى هذا الطفل أنه قد حرم من التمتع بملذات الغرب، وحرم من معاشرة الأبوين، وحرم من كل ما يوفره الغرب للطفل من متع وراحة. وهذا ما يؤدي به الى الإنقلاب المعاكس ضد كل شي يمتّ للشرق بصلةٍ، أو ضد توجهات العائلة وتوجهات أعرافها. فإذا اصطحب الأب إبنه وعاش مع عائلته في الشرق لفترة قد لا تقل عن سنتين أو ثلاث الى أن يجتاز الطفل مرحلة المراهقة، وهو يعيش في كنف والديه، فإنّ ذلك يؤدي ما هو مطلوب، بلحاظ التربية والتوجيه، أما إذا أرغم الطفل على الرجوع وحده وعاش في الشرق بينما بقيّة أسرته وأبواه لا زالوا في الغرب، فإنّ المحاولة ستفشل حسب ملاحظات التجربة.

- ربما من رحمة السماء على العائلة العربية التي تعيش في الغرب هي أن تجد من الاصدقاء من له باع وخبرة في مجال التربية والتوجيه، فإذا توفرت تلك الشخصية فعلى العائلة تلك عدم التفريط بها لأنها شخصية نادرة في مجتمع الغرب، وعلى الأب أن يكون دائم الالتصاق بهذه النماذج من الرجال لأنها تملك تأثيراً كبيراً على مسيرة الإنسان في الغرب، وفي قصتنا السابقة نرى أن الأب دريد وفي معظم الأحيان يحاول أن يضع أفكاره فوق أفكار صديقه، مع أنه لا يتوانى في الاعتراف بقدرة صديقه في دقة الملاحظة، ولكن مع ذلك فإنه لم يتحمل أن يكون منقاداً لآرائه.

- الجانب العاطفي وطغيانه على تفكير الأب له جوانب سلبية قاتلة، كما أن له جوانب أيجابية، الإيجابية إذا أحسن التوجيه، فالأب دريد لم يتمكن من الوقوف في وجه عاصفة عواطفه الأبوية تجاه إبنه جمال، فهو الإبن الأكبر ويجد فيه شخصيته ومستقبله وامتداده، لهذا حينما عجز عن تغيير تفكير إبنه لجأ إلى الاقتناع بما هو قائم، لجأ في تقنين عاطفته تجاه أولاده، في الواقع يجب أن يبدأ الأب في تقنين عاطفته تجاه أولاده منذ الأيام الأولى لإبوّته، وذلك في أن يستعمل القوة العاطفية باتجاه الخير، وباتجاه التربية، وأن تكون العاطفة آلة إيجابية تعطي للولد الدفع في الاستمرار نحو التنشأة الصحيحة، وعلى الأب أن يسأل نفسه دائماً عما هو صانع، لو أن العاطفة تعارضت مع المبادئ التي يؤمن بها ؟ وعليه أن يمتلك تلك العاطفة بما له من قوة، وأن لا تكون عاطفته فارغة إنفعالية، بل عاطفة بنّاءة نحو الخير والعطاء[1].

(1) Positive Discipline: A Guide for Parents, University of Minnesota. Kimberly Grede et.al.

- في حالات انحراف الأبناء -لو حدثت- (وقى الله الجميع من ذلك) يكون الأسلوب الوحيد المؤثر هو أسلوب الحوار والحديث، لأن الأساليب الأخرى لا تجدي نفعاً، فالقانون، والشارع والجو العام كلها تتعاطف مع الابن، وترفض أي وصاية من الأب على ابنه، لذلك فإنّ الأبناء يدركون ذلك جيداً، ويعرفون بأن الأب ليس له القدرة على إجبارهم في اتباع طريقة ما، لهذا فإنّ الأب لا يملك من القوة إلّا قوة الحجة على إبنه، ولكي يملك الأب ذلك يجب عليه أن يحيط نفسه علماً بالكثير من وضع الغرب وحاجات الشباب، ووضع البلد، وخصوصاً جانب الإعلام لكي يتمكن من الإجابة على تساؤلات ابنه أو ابنته، وأن يحاول الأب دائماً أن يبدي تعاطفه مع ابنه، لا أن يقف منه موقف المتشنج أو المتألم، لأن ذلك قد يدفع بابنه إلى سلوك أكثر اعوجاجاً وانحرافاً، كما أنه لمن المهم أن يعلم الأب الجانب النفسي لابنه جيداً، فإذا كان الإبن من النوع الذي يؤلمه غضب والديه عليه، فإنّ الأب سوف يستعمل هذا الأسلوب بشكل هادئ بحيث يؤدي ذلك إلى أن يرجع الطفل إلى وضعه العادي وهكذا.
- أن يمتنع الآباء في اتخاذ أسلوب المواجهة مع أبنائهم في حالات الإنحراف، وتتحول هذه الظاهرة إلى جزء من المشكلة التي تزداد انحرافات الأبناء على ضوئها، فالجهات الحكومية الغربية تمتلك من القدرة ومن السلطة على الأبناء أكثر من سلطة الآباء أنفسهم، فإذا شعرت تلك الجهات بأن الأبناء يتعرضون لضغوط نفسية، أو غيرها فإنها تعطي صلاحيات لمؤسسات بعضها كنسيّة أو بعضها تربوية، لأخذ الأطفال من بيوت آبائهم والإشراف على توجيههم وتربيتهم في بيوت خاصة لا يحق للأب زيارتهم إلّا أسبوعياً للاطمئنان على صحتهم، ولهذا نقول لكل الآباء إن معركتهم مع أبنائهم خاسرة،

ويجب وبكل الوسائل تجنبها، وأن يكون بدلاً منه أسلوب الحوار الهادئ. وهو السلاح الوحيد الذي يمكنه في التأثير على مسيرة الابن[1].

(1) إن لجوء الأهل مباشرة إلى الضرب دون التدرّج في الوسائل التربوية من الأخف إلى الأشد - على حسب الحالة - عائدٌ إلى الإعتقاد السائد أن الضرب له نتائج سريعة لتعديل السلوك بينما الحقيقة هي أنه الأسلوب الأسهل لانتهاجه في ظل الضغوطات والمسؤوليات المُلقاة على عاتق الأهل فلا يكلّفوا أنفسهم عناء التوجيه والصبر على الأولاد والتفتيش عن الباعث الذي أدّى إلى الخطأ لعلاج المشكلة الحقيقية في السلوك.
Child care practices anteceding three patterns of preschool behavior. Genetic Psychology Monographs, Baumrind, D. 75, 43-88.

التجربه الرابعة



ماذا عساي أن أعمل؟

ماذا عسايَّ أن أعمل؟

هاجر (مسعود) وعائلته في أواسط الثمانينيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عندما قرر أن يبحث عن الطموح الذي يشبع قدراته الفكرية والعملية في بناء مستقبل تجاري باهر في أرض كل ما فيها هو العمل والإنتاج وجمع الأموال.

لم يكن مسعود آنذاك يحمل في ذهنه تصوراً واضحاً عن الولايات المتحدة، ولا عن المدينة العملاقة (سنسناتي)[1] إحدى أهم مدن ولاية (أوهايو) في الوسط الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية.

جاء إلى تلك المدينة حاملاً تصوراً بناه له أحد أصدقاؤه في رفاهية المعيشة واتساع الأفق ونجاح فرص الحياة، ولم يكن مسعود قد فارق دولته الخليجية وهو في وضع بائس[2].

وقد وجد مواطنوا بعض دول المنطقة المجاورة للخليج في امتداد تلك المياه الزرقاء الدافئة أماناً لهم من سطوة الحكام الذين كان القتل ديدنهم

---

(1) سنسناتي هي أحد أكبر مدن ولاية أوهايو الأمريكية وهي تعتبر مركز صناعي وتجاري كبير في وسط غربي الولايات المتحدة (www.cincinnati-oh.gov).

(2) فارق بلده الثاني الخليجي هرباً من الوضع السياسي المعقد الذي عاشته دول الخليج إبان الحرب العراقية الإيرانية وتعقيداتها، الحرب التي غيّرت الكثير من مفاهيم المعيشة، ومفاهيم المدنيّة في مجمل المنطقة العربية عموماً والخليجية خصوصاً، وفي دوامة من الشد والجذب ألقت بظلالها على تفكير الإنسان الخليجي الذي لم يكن قبل ذلك اليوم قد استوعب قسوة الخوف والتشريد والسجون والمعتقلات، فتلك الشعوب تميل إلى الطيبة وإلى الوداعة والأمان والإلتزام بقيم العشيرة، وقيم المجتمع المغلق الذي وجد له بيئة يعيش فيها من خلال تاريخ ينسجم ووضع البلد.

وإزهاق الأرواح زادهم اليومي، فوجدوا في تقاليد العرب التي لا زالت تعيش بعض أيامها دول الخليج مأمناً يأمنون به، بعد أن قرروا أن لا يكونوا أداة رخيصة بيد الحكام الذين كان همهم الوحيد هو شراء الضمائر.

حل مسعود في إحدى تلك الدول، وهو يتحرق في أن يجد له ولعائلته مكاناً أميناً لإظهار قدراته التجارية التي بدأت تتميّز ما بين أقرانه من تجار المنطقة، ويمن الله عليه بالخير العميم والرزق الوفير، بحيث أن طموحه جعل الكثير من الخبراء الأمريكان في ذلك البلد أن ينصحوه في أن يعطي لنفسه الفرصة في ممارسة قدراته على أرض الولايات المتحدة التي يحمي فيها القانون صاحب المال أكثر مما يحمي الإنسان العادي، لأن المال عصب الحياة وشريان الدولة، ويقتنع مسعود بذلك ويحط رحالهُ في مدينة (سنسناتي) التي استقبله بترحاب باهت لأنها لم تجد فيه بعد ما يحمل جيبه من دولارات خضراء، فالوقت في أمريكا لمن هو فاقع الخضرة ممتلئ بالحمرة أنفه ووجنتاه، وهو لم يكن بعد كذلك.

أول وصول الرجل بمساعدة أصدقاؤه افتتح معملاً للاتصالات اللاسلكية، فوجد نجاحاً باهراً مما دفعه إلى الثقة العالية بنفسه وبقدرته، وتمكن بفترة قياسية وهو الأجنبي في بلد غريب أن يبني صرحاً مادياً مشيداً، وتستدعيه شركته في الخليج بين الفينة والأخرى للإستشارة، فيسافر إلى هنالك، ثم يرجع إلى الولايات المتحد لمواصلة عمله.

وفي أحد سفراته إلى الشرق الأوسط قرر أن يتزوج. وذلك بعد أن ألحّ عليه أبواه في ذلك، وتمت عملية الزواج من امرأة شابة جميلة تنتمي لعائلة لها عمق في الفقه الإسلامي وفي التراث، فوجد فيها ضالته التي ستعينه على مقاومة الجفاف الروحي الغربي الذي بدأ يلقي بظله على تصرفاته وعمله وعلاقاته.

جاءت الزوجة مع زوجها إلى الولايات المتحدة[1]، وعاشت معه في

---

(1) Muslims & Islam in thr United States, Fact Sheet.

بيت فخم، فيه كل وسائل الراحة على بحيرة جميلة محفوفة بالأشجار والغابات. ويرتبط مسعود بزوجته ويحبها حباً كبيراً، وتحبه بما يليق بذلك، كان يرى فيها الإنسانة التي يحب أن يضحي بكل شي في سبيلها وفي سبيل سعادتها.

وبمرور الزمن ترزق العائلة بطفلين جميلين يملآن البيت سعادة، ولكن الأم بدأت تشعر بالوحدة، كذلك مسعود، واتفقا على أن يساعدا أفراد أسرتيهما على الهجرة، لإعانتهما على ثقل الغُربة، وكان أبوا مسعود من المشجعين لذلك، فأتم معاملات هجرتهما فوصلا إلى أمريكا وأقاما في بيت ابنهما الكبير[1].

وتتطور الأيام وتكبر البنات، وتدخلا عمر المدرسة، فيقرر مسعود الرجوع إلى الشرق الأوسط لحماية ابنتيه من مخاطر الغرب الخطرة على دينه وعلى تفكيره، ولكن الأم رفضت ذلك متحججة بحجج كثيرة منها: أن الانحراف الخلقي لا يتحدد بمكان، وإنما يتحدد بممارسة، وأن انحراف إبنتيها قد يمكن أن يتحقق بدرجة أكبر في الشرق الأوسط، وفي منطقة الخليج منه في أمريكا، فيما إذا توفرت العوامل لذلك.

ويدخل أبو مسعود في الأمر كإنسان محايد، ويقف إلى جانب إبنه في أهميته لتربية الأولاد في مجتمع معقد وفاسد، وفي جو مشبع بالانحراف، ويشجعه الأب في الذهاب إلى الشرق الأوسط لحين وصول أعمار ابنتيه درجة من النضوج الفكري والاجتماعي، ولم تتحمل الأم كل ذلك، بل بدأت في المواجهة العنيفة مع مسعود وأبويه مدعيةً أن ابنتيهما يحبان البقاء في أمريكا، وتريد أن يتمتعا بحقوقهما في العيش والاستمتاع بواقع الانفتاح الحضاري والمادي، لأنها قضية مصيرية لمستقبلهما الدراسي ومستقبل عائلتهما.

---

(1) عدد المسلمين في امريكا بين 2-7 مليون معظمهم من الجيل الأول من المهاجرين 65%، كما أن نسبة 61% هم من المواليد من الجيل الأول، 67% من المسلمين متجنسين بالجنسية الامريكية: (Muslims in America- a Statistical Portrai).

وبعد صراعات طويلة قاسية استمرت سنة أو أكثر، قررت الأم الرحيل والرجوع إلى وطنها تاركة ابنتيها وزوجها في (سنسناتي) بينما وصلت هي إلى الشرق الأوسط بحجة أن طاقتها قد انتهت في إقناع زوجها لينفلت من توجيهات أبويه، وأن سعادتها مرتبطة بوجود أبويه قريباً منهما.

وحاول مسعود تغيير رأيها وإرجاعها إلى البيت، ولكنها أصرت طالبة الطلاق، وفعلاً، وبعد ضغوط كثيرة اضطر مسعود تطليق زوجته التي غادرته وتركت على ظهره حملين هما ابنتاه، وتركتهما تحت رحمة اللجوء إلى أبويه الكبيرين في رعاية ابنتيه، وهكذا عاشت هاتان الزهرتان حياة معقّدة ملؤها الألم والعراك والفراق، وهنا وصلت الأمور إلى درجة سيئة جداً، فالأولاد الذين ينشأون في هكذا ظروف وفي الجو الغربي الأمريكي غالباً ما يكونون عرضة للإنحراف، وخصوصاً أنهما في عمر الروضة التي ستطل بهما على المدرسة الابتدائية وتبني جزءاً من تفكيرهما نحو الحياة ونحو الدين ونحو المجتمع.

تزداد الأمور سوءاً برفض أبي مسعود رعاية إبنتيه طيلة اليوم فسنهما، الذي يتجاوز الخامسة والستين لا يساعدهما على القيام بأعباء بنتين صغيرتين لا زالتا تحتاجان إلى رعاية دائمة.

يضطر الأب مسعود أن يفتح قناة الحوار مع زوجته علّها تعود إلى بيتها وتعود إلى رعاية بنتيها، ولكن أبا مسعود رفض ذلك بلحاظ أن الأم التي تترك أولادها بهذه الصورة من القسوة، ليست هي الأم الجديرة بممارسة دورها في البيت، وفي القيام بأعباء الأمومة وأعباء الزوجية، والمشكلة الأخرى التي بدأت تظهر آنذاك هي أن مسعود وبسبب ظروفه القاسية بدأ يحمل وجهين في التعامل مع الأحداث[1]، وفهم أبوا مسعود مشكلة إبنهما، وعرفا بأنه يعيش

(1) فعندما يجتمع إلى أبويه يطمئنهما بأنه سوف لن يتراجع عن قرار طلاق زوجته، بينما كان يضمر في داخله عكس ذلك، وعندما ينفرد بنفسه كان قراره هو فتح قنوات الحوار مع زوجته، مؤكداً لها بأنه سوف يتراجع عن قرار طلاقها، ومؤكداً لها بأنها سوف تجد ما يسرها عندما تعود إلى البيت.

جواً من التناقض أمام مشكلة زوجته وأبنائه، وهذا ما دفعهما إلى أن يبتعدا عن صلب المشكلة، ويدعا إبنهما يتحرك بما يحلو له مع توجيه بسيط أحياناً.

في إحدى أيام الصيف الحارة التقى والدا مسعود إبنهما في متجر يتسوق منه العرب في المدينة، وهو مُحمّل بكل ما يحتاجه البيت من تسوق مع ابتسامة واسعة مرسومة على وجهه، فأدركت الأم ما وراء ذلك من معنى، وأمسكته من ذراعه قائله: مسعود هل أعدت زوجتك......؟ ضحك مسعود قائلاً مستحيل يا أمي، مستحيل أبداً أبداً وغادرهما مسرعاً.

قالت الأم متحمسة للأب: إنه فعلها، وفي عصر ذلك اليوم أعد مسعود كل شيء لاستقبال عروسته الجديدة فالبيت مملوء بالزينة وسيارة (الليموزين) واقفة أمام مدرج المطار وحُلّة الاستقبال التي لبسها مع ربطة عنق جميلة كست جسمه لتضيف على محياه علائم المتزوج الجديد، ولم تكن الزوجة الجديدة جديدة بالمعنى الواضح، وإنما كانت هي زوجته نفسها بعد أن قرر إعادتها بشروطها هي، شروط التحكم بالبيت، وشروط تربية بناتها، وشروط مقاطعة توجيهات أبويه،و شروط البقاء في الغرب ومدرسة الغرب وهكذا، وتعود بالجميع سيارة (الليموزين) إلى بيت العرس مستقبلها استقبال الأبطال، بينما شعرت المرأة بأنها نالت ما نالت من زوجها الذي عرفت نقطة ضعفه الكبرى في إملاء شروطها عليه.

تتغير حياة العائلة برمتها، ويتوجه الاثنان الزوج والزوجة إلى قضاء أوقات ممتعة بالسفرات والمطاعم والحفلات، مع أن الزوجة كانت تضع حجاباً على رأسها باعتباره نوعاً من المحافظة والتقليد الذي التزمت به في حياتها، أما مسعود فإنه تغيّر تفكيره نحو مجمل الأعراف والتقاليد الإسلامية تجنباً لمشكلة أخرى قد تبدأها زوجته في المستقبل إن أرادت ذلك، لهذا كان مسعود يتجنب الحوار معها، لأن ذلك قد يؤدي بالأمور إلى الانفجار الذي لا تحمد عقباه، ويعيش الزوجان في أجواء مشحونة دائمة، الزوج يقضي قسماً كبيراً من وقته خارج البيت في أعماله التجارية، بينما تقضي زوجته وقتها ما

بين صديقاتها وفي الأسواق وفي السفر، في الوقت الذي ينمو الأولاد في جو تغيب فيه عوامل التوجيه وعوامل الارتباط بالعائلة.

في إحدى الليالي تستيقظ الأم من نومها مرعوبة، ويسألها مسعود ماذا عساها أن تفعل فتطلب منه الرحيل من أمريكا، والعودة بكل أفراد العائلة إلى الشرق الأوسط، صمت مسعود هنيئة محاولاً التظاهر بالاستنكار والرفض، ولكنه في داخله ينتظر هذه اللحظة الخطيرة،و استيقظ الجميع من نومهم مسعود، وزوجته وابنتاه ودار الحديث التالي :

زوجة مسعود: مسعود أنا أريد أن أعود إلى الشرق الأوسط حالاً لقد شعرت بالضجر والملل في أجواء الغرب.

- و لكن لماذا. . . . . .؟ قال مسعود.
- بعيدة عن أهلي. أجابت الزوجة.
- أهلك الآن هم أنا وأولادك.
- لا . . . . أنا أريد ان أكون بعيدة عن والديك.
- والديّ في بيتهما وليس هنالك من احتكاك فيما بيننا.
- إنهما أصل المشكلة، وأنك مهتم بهما أكثر من اهتمامك بي.
- أبداً فانا مسؤول عنك وعن أولادك، أما والدايّ فإنني أزورهما كحق من حقوق الأبوة.
- نعم ولكن قلبك مع أهلك، أما أحاسيسك وشهواتك فهي معي.
- لا يا عزيزتي إن حب الزوجة شيء، وحب الأولاد شي، وحب الأب شيء، وحب المجتمع شيء آخر، إن الأمور يجب أن توضع في موازين مختلفة.

الأم متوجهة إلى ابنتاها :

- ما رأيكما أن نعود إلى الشرق الأوسط . . . .؟ وقبل أن تتفوها بكلمة صاحت بهما سأرحل وحدي يا. . . . () إذا رفضتما.

الأب محاولاً تهدئة الأمور، إجلسي، إجلسي سنفكر بالأمر جيداً سندرس إمكانية العودة.

- لا . . . أبداً، إما الآن، وإما فانا غاربة عن وجهكم.

تذكر مسعود آلام غياب زوجته التي هي الآن حامل في شهرها الخامس، وأن انقسام العائلة، ومشاكل الصراع ستكون قاسية جداً، ثم فكر ملياً في جديّة خطورة الأمر، ووجد أن لا مناص له إلّا الرحيل المؤقت على أقل التقادير.

عرض بيته إلى البيع، وباعه بثمن زهيد، ثم باع مصلحته التجارية إلى شريكه بثمن أزهد، وودع أبويه وعاد مع عائلته إلى الخليج في مدة قياسية، وهنالك قرر أن يبني عائلته على أساس جديد في أجواء جديدة لا كالتي يمر بها الآن.

تلد زوجته طفلة صغيرة، سرعان ما اكتشف بأنها مصابة بأحد صمامات القلب (Congenital heart defect or congenital heart anomaly)، ويجب أن تبقى تحت رعاية مركزة حتى يستوضح الأمر، وبينما هما كذلك إذ حملت زوجته بطفل آخر جاء إلى الدنيا بفارق العمر يزيد سنة أو أكثر عن ابنته المريضة.

فوجد مسعود نفسه في مهمة صعبة خصوصاً مع طفلته المريضة التي يجب أن تكون تحت رعاية المستشفى دوماً حتى بلوغها الثالثة عشر من عمرها. عندها قرر أطباء الخليج أنهم لا يتمكنون من الاستمرار في علاجها، بل عليه أن يذهب بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في مستشفى خاص في ولاية (منسوتا) وهنالك سوف يتحدد مصير علاجها أو عدمه، وتحزم العائلة حقائبها ثانية، ولكن هذه المرة بأربعة أولاد، ويبدأ مسعود ببناء مصلحة تجارية جديدة في تلك المدينة الباردة،آملين أن يجدوا لإبنتهم علاجاً شافياً، ولكن الأطباء لم يتمكنوا من ذلك، وإنما طالبوا العائلة بالبقاء قريبين من المستشفى حتى يتقدم العمر بالطفلة، وعند ذلك يمكن البت في أمر علاجها.

وفي منتصف ليلة شتاء قارصة تستيقظ الأم مولولة وقد اشتد غضبها وهي

تتهم زوجها بتهم متعددة ومختلفة، وفي قمة غضبها تهاجمه وهو لا زال في الفراش ماسكة عنقه بيدها وبصورة هستيريه،و متهمة إياه بتهم متنوعة، وبالمقابل مسكها مسعود من يديها دافعاً إياها بعيدة عنه[1].

عند الصباح يتوجه مسعود إلى عمله في متجره تاركاً زوجته وأولاده في البيت، وفي الساعة الثانية عشر ظهراً وصل رجال البوليس إلى دائرة مسعود سائلين عن إسمه، وحينما أخبرهم بشخصيته طالبوه بالرضوخ للاعتقال، وفعلاً اعتقل مسعود بعد وضع القيد في يديه خلف ظهره، وأخذوه إلى حيث السجن الذي أودع فيه انتظاراً لمحاكمته[2] ويقبع الرجل في السجن أياماً إلى حين تدخل أصدقاؤه بتكفله وخروجه خارج السجن لحين عودته إلى المحكمة، وعند خروجه من السجن بدأ يفتش عن أولاده، ولم يهتد إلى وجود عائلته وإقامتها، وبدأت المساعي من قبل مختصين من الجالية الإسلامية لمعرفة أمر الأطفال ولكن دون جدوى.

ذهب السيد مسعود إلى محامي، وهو مختص بقضية (الإجرام) لأن قضيته قضية متعلقة بالقتل، إذن هي إجرامية[3]، وفي نفس الوقت أخبر

(1) The Social Causes of Husband-Wife Violence.

(2) والظاهر أن الزوجة عندما خرج زوجها مسعود إلى العمل ذهبت إلى طبيب العائلة الذي تعوّدت على زيارته، وأخبرته أن زوجها قد ضربها البارحة ضرباً مبرحاً على يديها وأسنانها، ثم خنقها لكي يقتلها، ثم كشفت عن مناطق الألم في جسمها وهي مناطق الشجار فيما بينهما عندما يمسك أحدهما الآخر حيث تبدو زرقاء بعد مدة قصيرة، وتأكد الطبيب أن الزوجة فعلاً مضروبة، لأن الآثار ظاهرة على جسمها، وهي آثار التدافع فيما بينهما، وعلى الأثر اتصل الطبيب برجال الشرطة الذين وصلوا إلى عيادة الطبيب مصطحبين معهم أدوات التصوير وغيرها من وسائل الفحص، ثم توجهت الزوجة والأولاد إلى مركز البوليس لإجراء تقرير شامل عن الحادث، وكانت من جملة الأمور التي قالتها الزوجة للبوليس : إن زوجها هددها بالقتل، وهذا معناه أن الزوج يجب أن لا يعرف مكان الزوجة والأولاد حيث أخذها البوليس إلى مكان خاص آمن توضع فيه النساء اللاتي يضربن من قبل أزواجهن، أو اللاتي يخشين من القتل، وتعتبر الجهات الرسمية هذه القضية في منتهى الخطورة لأنها تحمل تهديداً بالقتل.

(3) محامي الإجرام غالي الثمن باهظ التكاليف الساعة الواحدة من عمله تكلفتها ما يقارب 300 دولار أمريكي.

المحامي السيد مسعود أن قضيته تتطلب محامي آخر مختص بشؤون العائلة والأولاد. فهنالك إذن محكمتان ستعقد وتنظر القضية، إحداهما محكمة إجرام،و الأخرى محكمة عائلة.

تمضي الأيام ويجمع كلا الطرفين مسعود وزوجته أحدهما أدلة على الآخر، الزوجة مستميتة في أن تودع زوجها قعر السجون، والزوج مستميت في التخلص من مشاكل السجن، والاعتقال والهروب بجلده من هذه الورطة الكبيرة.[1].

عُيّن للزوجة محامين من قبل تلك المؤسسات التي بدأت تذرف دموع التماسيح عليها، وصارت المعركة معركة كبيرة بين مسعود وزوجته، مسعود من جهة وزوجته ومؤسسات الجالية العربية ومنظمات الأمومة والطفولة[2] وغيرها بالإضافة إلى المدعي العام الحكومي والقضاء من جانب آخر. وكانت الزوجة ترمي من كل عملها شيئين أولهما: هو السجن لزوجها لمدد مختلفة، والثانية حرمانه من أطفاله وحصولها على حق الرعاية (Custody) كاملة.... أي بمعنى آخر لا يملك الأب أي حق على أطفاله أكثر من رؤيتهم حسب ما تقرر الأم[3].

وتتباكى منظمات حماية الأمومة والطفولة في الولاية بدموع التماسيح، وتتمكن المرأة من أن تنتزع بيتاً لها وأولادها من الحكومة لتسكن فيه، ولكن المشكلة التي بدأت تواجه الزوج هي أن ذلك البيت يقع في منطقة خطرة، فكل جيران الحارة هم من العاطلين عن العمل ومن المتسكعين، وبعض

---

(1) وإلى جانب الزوجة تدخلت مؤسسات كثيرة تهتم بقضايا النساء، وقضايا ضرب الزوجة منها حكومية، ومنها أهلية وغالباً هذه المؤسسات تكون مؤيدة للمرأة، بمعنى آخر أن دخولهم معركة الصراع إلى جانب المرأة قضية مفروغ منها، أما إذا ثبت لتلك المؤسسات أن المشكلة ليست من الزوج، وإنما من الزوجة التي يدافعون، عنها فإنهم يتخذون من الأطفال ذريعة للإيقاع بالزوج

(2) http://www.now.org National Organization for Women.

(3) Fighting for Child Custody When Domestic Violence Is at Issue: Survey of State Laws. Amy Levin et.al.

المجرمين وغيرهم من شرائح المجتمع التي تتحايل على الحكومة للحصول على مأوى لها وليوفر لهم فرصة سانحة للسكن مع مساعدات حكومية شبه سخية، بينما يلجأ معظم سكنتها إلى المخدرات لقضاء أوقاتهم، وهذه الظاهرة عادية في أجواء الغرب، وفي المجتمع الرأسمالي الذي يحمل الكثير من الثغرات التي تستفيد منها طبقات شرائح من المجتمع.

تتحول ساعات ليل الأب ونهاره إلى آلام ومآسٍ خوفاً على عائلته من أن ينالهم أحد بسوء، فابنتاه الكبيرتان أصبحتا مراهقتين، والمدرسة التي تذهبان إليها مدرسة مليئة بأولاد أولئك الأشقياء الذين في معظمهم لا يملك إلّا أب واحد للأسرة، وغالباً ما تكون الأم، أي أنها عوائل محطمة مشتتة مملوءة بالمخدرات والإجرام[1].

يعرض السيد مسعود على محاميه مشروعاً لتوفير سكن لعائلته ولزوجته التي أوصلته إلى هذا المصير على نفقته الخاصة، ومن خلال المحكمة، ولكن الأم رفضت ذلك متذرعة أن ذلك سوف يعرّضهم إلى خطر القتل من قبله، ولهذا اقتضت المحكمة منع أي اقتراب من قبل الزوج من البيت لمسافة تقل عن 500 متر، وإلّا فإنّ المرأة لها الحق في الاتصال بالبوليس لاعتقال الزوج ثانية، يا لها من مصيبة كبيرة.

بعد مرور خمسة أشهر عقدت أول محكمة عائلية ليقر على ضوئها فيما إذا كان السيد مسعود له حق في أولاده أم لا...؟ وأن الأم سيكون لها الحق الكامل في تربيتهم...؟ وبعد مداولات متعددة ومتنوعة أصدر القاضي قراراً في امتلاك السيد مسعود جزء من الحضانة على الأطفال وأنه يتمكن من رؤية أطفاله يوماً واحداً فقط من كل أسبوع في مكان عام، وفي اللقاء الأول مع أطفاله ظهر أن ابنتيه الكبيرتين لا ترغبان في الاستمرار في علاقتهما مع أبيهما، لأنه السبب الرئيس في وصولهم إلى هذا الوضع من المأساة، وأن تصرفاته مع والدتهم كانت السبب المباشر في كل ما قامت أمهم به، وبمرور

---

(1) Low-Income Housing Development and Crime, Matthew Freedman.

الوقت فإنّ هؤلاء الأولاد سوف يفقدون أي تعلق أو حُب تجاه أبيهم.

تعقد الجلسة الثانية من المحكمة (محكمة العائلة) ويقرر الحاكم ثانية أن الحضانة (Custody) نصفيّة لكلا الزوجين، وأن للزوج الحق في أن يأخذ أولاده معه إلى بيته إذا أراد مرتين في الأسبوع، ثم حذر الحاكم الأم من محاولاتها التأثير على عقول الأطفال في كره أبيهم والتحذير لها في أنه سيودعها السجن إذا شعر الحاكم بذلك، وامتثلت المرأة للأمر فصارت مجبرة على أن تسمح لأولادها في المبيت عند أبيهم وأن يتصلوا به تلفونياً متى شاؤوا.

تستمر الحالة، والزوجة تزداد ضراوة، وهي تراهن على يوم المحكمة الإجرامية، ومستندة على وعود المنظمات النسائية الأمريكية في أنهن سيقمن بكل المحاولات لتجريده من الأولاد وإيداعه السجن، وأنها سوف تحصل على ما لم تحلم به وهو سجن زوجها وتدمير حياته نهائياً.

تعقد المحكمة الإجرامية جلساتها صباحاً في إحدى أيام نوفمبر القارص البرد، ثم يُستدعي طبيب العائلة الذي كان قد أقرّ أن الزوجة مضروبة فعلاً، ثم تقدمت الزوجة للشهادة وروت قصتها التي هي معظمها من نسج الخيال، كيف أن زوجها ضربها وأراد أن يقتلها وينتقم من أولادها، كما تقدم المدعي وقال إفادته أن موضوع ضرب الزوجات والاستهانة بكرامتهن أصبحت قضية عادية في عالم اليوم، وفي الكثير من البيوت، وأن على القضاء الوقوف حازماً أمام هذه المشاكل، ثم طالب المحكمة بسجن الزوج خمس سنوات غير قابلة للنقض، كما طالبت جمعيات ما يسمى بحقوق المرأة، وحقوق الطفولة بإنزال عقوبة قاسية للزوج لردعه، ليكون عبرة لكل الأزواج الآخرين، وهكذا تستمر الحالة، وتستمر المعركة القضائية ساعات طويلة إلى أن قرر القاضي دراسة مشروع إصدار الحكم الأسبوع المقبل على الزوج.

يمضي أسبوع وتأتي اللحظات الحاسمة في قرار القاضي الذي أصدر حكمه في تجريم الزوج واعتباره من المجرمين، وإلصاق هذه التهمة بتأريخه

لدى الدوائر الحكومية، ولكن في نفس الوقت إيقاف سجنه بسبب أن العائلة سوف تبقى بلا معيل، لذلك ألزمه بالصرف على العائلة لمدة 15 سنة لحين وصول أصغر طفلة في العائلة إلى سن الجامعة، ثم منع القاضي الزوج من الاقتراب من محل سكن الزوجة لمسافة مائة متر أو ما شابه، ويخرج الزوج خائباً منكسراً، وتخرج الزوجة خائبة مولولة وهي تسب زوجها أمام محاميي الطرفين بسبب فشلها في تحقيق حلمها وهو إلقاء زوجها في قعر السجون، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل توعدت الزوجة بأنها سوف تنتقم إنتقاماً آخراً إذا فشلت في هذه المرحلة[1].

أما الأولاد فإنهم عاشوا في مراحل صعبة من إدراك معنى ما يدور بين أبويهم، مع أن البنتين الكبيرتين وهما في سن المراهقة لم تتخذا موقفاً محدداً تجاه ما يجري من أحداث درامية في داخل محيط العائلة، وإنما ألقيت اللوم على كلا الطرفين، وخصوصاً الأب الذي اتهمتاه بأنه لولا فقدان حكمته في معاملة أمهما لم تصل الأمور إلى هذه النتيجة.

يعيش الأب في ألم وحسرة، وهو يواجه مشكلة كبيرة جداً في ابتعاده عن أطفاله وعدم إمكانية رعايتهم، وهو الرجل الذي كان يحلم في أن يرى أطفاله الكبار المتفوقين في المراحل الدراسية في الاستمرار بالتفوق، والنمو وتحقيق حلم الشهادة العليا في الدراسات الجامعية[2] وقد نصح أصدقاء الزوج في أن يترك الولايات المتحدة ويعود إلى الشرق الأوسط[3].

---

(1) Wife Beating: The Silent. Jane O'Relilly.

(2) والمشكلة الكبيرة الأخرى التي واجهها الأب هو عدم انصياع زوجته إلى أي وساطة من أي طرف من أطراف عائلتها، وأطراف صداقتهم، فقد حاول الزوج العمل على حث أخت زوجته في حل المشكلة، وثني عزيمتها عن الاستمرار في التحاكم إلى القضاء الغربي، كما طلب أيضاً من أمها ومن أخيها ومن لهم علاقة قربى أو صداقة بها في أن يمد يداً في إصلاح ذات البين، وأن تكون المطالبة بالحقوق من خلال محيط العائلة لا محيط القضاء الغربي وتعقيداته، ولكن تلك المساعي لم تحقق إلّا الفشل في هذا الأمر، وقررت الزوجة أن تستعمل كامل قوتها وان تستفيد من وضع القانون الغربي إلى جانبها في الانتقام من زوجها وتحطيمه نهائياً

(3) ويتخلص من مشاكل المحاكم ومشاكل المواجهات القضائية، لأن المعركة هنا مع =

أما من الناحية غير الموضوعية وغير الواقعية فإنّ القوى المتنفذة والمسيطرة العملاقة، سواء أكانت السياسية أم التجارية فإنها ترى من مصلحتها عدم إستقرار الوضع العائلي للمجتمع الأمريكي، لأن ذلك يعكس حالة تستفيد منها تلك القوى السياسية، والتجارية على شتى المستويات، ومن هنا نرى أن تلك القوى تعمل جاهدة على مساندة جمعيات النساء، ومؤسسات المطالبة بحقوق المرأة، والدعوة إلى حريتها بما تملك تلك الكلمة من معنى[1].

وبسبب هذه الحالات الغريبة التي تضيق هذه الأوراق عن شرحها قررت شريحة واسعة من شرائح المجتمع الغربي أن تمتنع عن الزواج (الرسمي) ويعيش الرجل والمرأة كأصدقاء(Common laws) في بيت واحد أو بيتين

= الزوجة معركة خاسرة، الزوج متهم حتى تثبت براءته، فالحكومة الأمريكية والقضاء والشرطة عندما يواجهون حالة نزاع ما بين الزوج والزوجة، فإنّ أصابع الاتهام توجه بادئ ذي بدء نحو الزوج بدون أن يطلع أطراف القضاء على حيثيات الأمر وتفاصيله، وحتى لو قرر القضاء عكس ذلك، أي قرار أن الجانب المسبب للمشكلة هي الزوجة، وليس الزوج، فإنّ القضاء عموماً يقف صامتاً أمام توجيه أصابع الاتهام لها لاعتبارات بعضها واقعية وبعضها غير واقعية، الواقعية منها هو الحالة النفسية، والخلقية للمرأة كأم وكإنسان ضعيف لا يمكن أن ينشأ الأولاد بغياب أمّهم مهما كان وضعها النفسي أو الشخصي، لهذا فإنّ القضاء في بعض الأحيان لا يصدر حكماً على زوجة خصوصاً إذا كانت أماً لأطفال، وإنما يقتصر على توبيخها أو إخضاعها لعلاجات نفسية، واجتماعية، ولهذا فإنّ معركة القضاء ما بين الزوج والزوجة في عالم الغرب يخرج الرجل منها وهو الخاسر الأكبر. على الأقل يخسر أولاده وبيته، وتخرج المرأة وهي لم تخسر شيئاً على أسوء الإحتمالات.

(1) فمثلاً تمكنت تلك الجمعيات الرسمية النسائية من الحصول على حق التعري في الجزء العلوي من الجسم، وهما منطقة الصدر فمن حق للمرأة أن تكشف كامل جسمها ماعدا المناطق الحساسة، وأن تذهب أينما تذهب في تلك الحالة كجزء من جسمها، وحقها في الحياة باعتبار أن جسم المرأة هو حق مشروع لها في أن تستره أو أن تكشفه، كما تمكنت جمعيات المرأة في الغرب في أن تنتزع قانوناً في زواج المرأة من المرأة، وأن ترث المرأة شريكتها في الحياة أملاكها والتمتع بحقوق الزوجية كاملة فضلاً عن حالات الحمل، وحالات الحضانة وحالات إنجاب الأطفال. تجد ذلك في المصدر التالي:
The Social and Legal Arguments for Allowing Women to Go Topless in Public, Advocates of female toplessness say current laws enforce damaging views of women's bodies.

منفصلين، ثم ينجبوا أولاداً في أي وقت من الأوقات بعيداً عن تعقيدات المحاكم وإجراءاتها[1].

أمام هذه المسالة المعقّدة لم يتمكن السيد مسعود من مغادرة أمريكا والرجوع إلى الشرق الأوسط،لعدة عوامل أولها: احتمال ضياع الأطفال في المجتمع الأمريكي، خصوصاً وأن زوجته الآن قد ركنت إلى القانون الغربي حيث وقفت إلى جانبها منظمات النساء ومؤسسات الدفاع عن حقوق المرأة[2]. والعامل الثاني الذي منعه من مغادرة أمريكا هو انه كان يطمح لإزالة حكم الإجرام الذي أصدرته المحكمة بحقه، وذلك باللجوء إلى محكمة الإستئناف[3].

وهكذا قرر السيد مسعود مواصلة معركته القضائية ومحاولة تبرئة ساحته من تهمة الإجرام التي ألصقت به من قبل زوجته، وهذا ما دفع به إلى توكيل محام متخصص في شؤون الاستئناف ودفع له مبلغاً ضخماً من المال.

في هذه الأثناء كان مسعود يلتقي أولاده مرة في الأسبوع يأخذهم معه

---

(1) وقد أجريت دراسة سنة 1999 في إحدى الولايات الأمريكية حول موضوع نسبة المتزوجين فظهر أن نسبة الزواج قد انخفضت بنسبة تصل إلى الربع عنها في السنين الخمس الماضية. هذا إذا أضفنا إلى معلوماتنا أن نسبة الطلاقات في الولايات المتحدة الأمريكية هي طلاق واحد من كل ثلاث حالات زواج هذا على النطاق الرسمي، أما على النطاق غير الرسمي فحدث ولا حرج، حيث العلاقات الزوجية تتغير بشكل سريع، وتزداد بزياداتها أعداد الأطفال غير الشرعيين في المجتمع.

(2) وهي مؤسسات لا تعرف القيم والآداب الإسلامية مكاناً لها في حياتها، حتى وإن كانت تلك المؤسسات ذات طابع عربي أو إسم إسلامي، وناتج العلاقة مع تلك المنظمات ينعكس بصورة حتمية على أولاد السيد مسعود.

(3) التي قرر مسعود في رفع الدعوى إليها للنظر في قضيته ثانية، وكان يرى أهمية ذلك في أن اسمه يجب أن لا يقترن بالإجرام، لأن ذلك سوف يؤثر على مجمل حياته سواء في الغرب أو الشرق، ففي الغرب سيبقى سجله أمام البنوك وأمام دوائر الدولة، ودوائر الهجرة، والسفر وغيرها وسوف يمتنع الجميع من التعامل معه،أما في الشرق فإنه وإن عاد راجعاً إلى بلده فإنّ زوجته ستلاحقه وستنقل لسلطات بلده قرار المحاكم الأمريكية وهذا سيكون له دور سلبي وكبير على علاقاته مع حكومة هذا البلد أو ذاك.

إلى بيته بأعتباره جزءاً من قرار قضائي يلزم الأم على السماح بذلك[1].

بقي مسعود على اتصال بأولاده منتظراً موعد الانتهاء من معاملات المحاكم وغيرها، وكان يأتي في كل يوم جمعة ليلاً ينتظرهم في أسفل العمارة التي يسكنون بها ليصاحب أولاده إلى بيته خلال عطلة نهاية الأسبوع، حيث يمنع القانون وصوله إلى باب الشقة التي تقيم بها عائلته.

بينما كان السيد مسعود سائراً في إحدى سفراته التجارية اتصل به ضابط الشرطة من ولاية (منسوتا) على تلفونه النقال طالباً منه تسليم نفسه إلى أقرب مركز للشرطة لأن السلطات القضائية قد أصدرت أمراً بإلقاء القبض عليه، لم يتحمل مسعود الخبر حيث سأل الضابط عن سبب ذلك فأخبره بأن زوجته قد اتصلت بهم مدعيةً بأنك قد دخلت الشقة عنوة ثم ضربتها وهددتها بالقتل، وهددتها بتهريب الأطفال إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التهم كافية لإلقاء القبض عليك.

يا إلهي ما هذه المشكلة...؟ تمتم السيد مسعود مع نفسه: كيف التخلص من ذلك...؟ إن القضية صارت أكثر مما هو متوقع، فالمطاردة لم تنته والكذب لا حدود له، وآذان الجهات القضائية الأمريكية على استعداد كامل لتقبل الشكاوي والاعتقالات وغيرها.

وترجّى السيد مسعود الضابط المسؤول عن اعتقاله في أن يمهله ليلة واحدة لكي يعود إلى المدينة، ثم يأتي إلى دائرته ليسلم نفسه فوافق الضابط

---

(1) وفي أعقاب هذه القضية فكر الزوج في أن يحمي أطفاله من الضياع الذي ينتظرهم، وهم يسكنون في منطقة تكثر فيها الجرائم وتزداد فيها الاعتداءات، بالإضافة إلى الخطورة التي تنتظر بناته وهن يغادرن البيت ذهاباً ومجيئاً إلى المدرسة، وعليه قرر أن ينقلهم إلى بيت في منطقة جيدة يمكن لأبنائه مواصلة الدراسة في مدرسة أفضل مما هم عليه الآن، وهكذا تم نقل عائلته وزوجته إلى بيت جديد، وتحمل هو كل مصاريف الإيجار وغيرها، بعد ذلك قرر ما هو أفضل من ذلك وهو شراء شقة لكي يسكن فيها أبنائه، مع مرافقة زوجته لهم، وهكذا تمت صفقة الشراء، وكان رأي محامي مسعود أن هذه الخطوة قد تكون عاملاً محفزاً للزوجة في ترك الاستمرار في رفع الشكاوي على زوجها.

معطياً إياه 24 ساعة على تسليم نفسه، وإلّا فإنّ الاعتقال المفاجئ قد يداهمه، لأن أمر إلقاء القبض عليه قد عُمم على جميع أفراد الشرطة ونقاط الحدود وغيرها.

يعود مسعود مسرعاً إلى بلدته، ثم الاتصال بالمحامي لإعلامه بالأمر. عندها اتصل المحامي بمركز الشرطة الذي أخبره بأن زوجته قد جاءت إلى المركز مدعيّة بأن زوجها يعد العدة لقتلها والهروب بأطفاله خارج أمريكا[1]، وبعد مداولات اتفق المحامي، وضابط الشرطة أن يُسلّم مسعود نفسه إلى القضاء يوم الأثنين صباحاً في بداية الأسبوع لتجنب مبيته في السجن.

كان يوم الأثنين من أيام البرد القارص، يتصل السيد مسعود بسيارة أجرة تأخذه إلى مركز البوليس ليُسلّم نفسه إلى ضابط الشرطة الذي كان في انتظاره لتكملة إجراءات إيداعه في السجن وإحضاره أمام محكمة خاصة للنظر في أمر قبول كفالة إطلاق سراحه أم لا، وهكذا يعود السيد مسعود ثانية إلى السجن، وفي اليوم الثاني الثلاثاء تتطلب الإجراءات القضائية حضوره أمام قاضي الكفالة حيث وقف أمام القاضي سجيناً تعلو محياه علامات الإنكسار والذل والإنهزام أمام قوانين صارمة مجحفة تأخذ الإنسان على تهمة لم يرتكبها أو يعلم بها.

تتأزّم المشكلة وتتضاعف في احتمالات عدم إطلاق سراحه، لأنها المرة الثانية التي تتوجه له أصابع الإتهام، وأن تهمة محكمته الأولى قد أثبتت عليه فعلاً أنه ضرب زوجته بقسوة وخشونة، وكان المحامي متخوفاً من امتناع القاضي هذه المرة بالسماح له بإطلاق سراحه، وقبول كفالة من يتقدم بذلك، وهنا تلعب الظروف دورها، وتأتي المساعدة الربانية لإنقاذ الأبرياء حيث قرر القاضي السماح للسيد مسعود بمغادرة السجن مع كفالة بسيطة على شرط أن

(1) في هذه الحالة -غالباً- على محامي المتهم أن يصدق كلام الشرطة، لأن ذلك في معظم الأحيان يهيئه لتقبل الأسوأ من خلال هذه الأمور، لأن أمر التهديد ربما يكون وارداً، وأنه فعلاً قد حدث، ولذا عليه أن يهيئ نفسه بدرجة عالية للدفاع عن موكله.

يودع جواز سفره إلى الشرطة لإيقاف مخططه في تهريب الأطفال إلى الشرق الأوسط كما تدعي زوجته.

تشخيص المشكلة والعلاج:

أولاً: العلاقات الزوجية يجب أن تندرج تحت نظام ثابت ومفاهيم مدروسة، أي بمعنى آخر لا يمكن لأي شراكة بين أي طرفين أن تكون فارغة من اتفاقية قانونية، سواء أكانت تلك الاتفاقية مكتوبة أم غير مكتوبة.

ففي عالم الزواج في واقعنا الإسلامي والعربي هنالك أعراف سارت عليه أجيالنا السابقة وتبعها جزء من أجيالنا الحالية، حيث صار الاتفاق ما بين الأزواج ضمنياً، أي أنه اتفاق غير مكتوب جزء منه انطلاقاً من أصول الفكر الإسلامي، وقسم انطلاقاً من الأعراف الاجتماعية. ومع أننا نقر الأول ولكن ليس بالضرورة أن نقر الجانب الثاني كلياً، فالزوجة في الظرف العام في أوطاننا العربية والإسلامية لها حدود، كما للزوج أيضاً ذلك، ويتعايش الإثنان ضمن هذه الحدود، حيث تتمحور قوة البيت بتمحور الزوجين في دائرة الفكر الإسلامي الذي يعطي لكلا الطرفين جانباً من الحرية والواجبات، كما تضعف العلاقة الزوجية عندما يضعف ذلك الانجذاب نحو الأصول الفكرية، وتصبح العادات السائدة الاجتماعية هي القانون في علاقات البيت...[1].

---

(1) ولنضرب مثلاً لذلك، في الفكر الإسلامي تُعطى القيمومة في البيت للرجل، وهذا الشيء ليس معناه الأفضلية، وإنما معناه أن القرار النهائي بيده، باعتباره الطرف الذي هيئته طبيعته لتلك المسؤولية، بينما أعطى الإسلام حقوق الأمومة بكاملها للأم. من قبيل الحمل والرضاعة وتسمية الطفل، وحضانة الطفل وغيرها من الأمور، لأن طبيعة المرأة تسمح لها بالقيام بهذا الدور، ولكن ليس معناه أن تتحول تلك المسؤوليات إلى سلطات مطلقة، وإنما هي من قبيل التكليفات مثلها مثل مدير دائرة العمل الذي لا يمكن للدائرة أن تعمل بكفاءة من دون وجود شخص ما يسمى مدير دائرة، وقد فهم البعض هذه النقطة كقضية أرادوا من خلالها النفاذ منها، واتهام الإسلام بالانتقاص من قدرات المرأة، وفي الواقع ليس هو أكثر من أمر إداري وليس أمراً تفضيلياً، حيث أن طبيعة المرأة وتكوينها، وطبيعة الرجل وتكوينه يدعوها إلى التوافق بشكلٍ ما لكي يعمل كل من خلال قدراته، وقد أثبتت التجارب صحة ذلك الرأي =

في قصتنا هذه لم تكن علاقة مسعود مع زوجته قائمة على أساس، ولا على مبدأ، وإنما منطلقة من ظروف وقتية حيث أن المزاج الشخصي لكليهما كان العامل المتحكم في تسيير شؤونهما، والعامل الشخصي في مجمله عامل فيه الكثير من العقبات والمشاكل يجب تجنبه، والعزوف عنه، والتوجه إلى أساس ثابت نابع من مفاهيم رصينة.

وقد أدّت حالة غياب الاستناد على نظرية فكرية لإنشاء عائلة الزوجين إلى الدخول في صراعات ونزاعات، فسرتها الزوجة على أنها تدخّل من قبل والديّ مسعود، بينما في الواقع هو أن والديّ مسعود ما هما إلّا عنصر يجب الإستفادة منه في تثبيت أركان العائلة، باعتبار أن الغربة تفرض على الإنسان أن يستعين بأقرب الناس إليه من عائلته، ولكن زوجة السيد مسعود وجدت في أبوي زوجها عنصراً من عناصر التحجج، لنشوب الصراع والنزاع، فاتهمته بأنه يميل إلى كفتهما أكثر من ميله إليها[1].

ومع أن حالة الأب والأم لأي من الزوجين في وجودهما بالقرب من العائلة يجب أن يتحول إلى عنصر إيجابي، للحاجة الواقعية لأهمية العائلة في الغرب، ولكن الخطأ الذي وقع فيه الزوج هو أنه بدأ يضع الفروق بين أبويه وبين زوجته، وبدا له أن انجذابه إلى أفكار أبويه باعتبارهما متفقان ويحملان بعداً في التجربة في الحياة أكثر من انجذابه إلى زوجته، حيث أن الكثير من المشاريع والأفكار يناقشها مسعود مع أبويه قبل أن يشارك زوجته فيها، وهذا ولّد في نفس الزوجة حقداً كبيراً على مجمل عائلة السيد مسعود، وعلى شخصه بالذات، لأنها شعرت بعمق الجرح الذي خلفه زوجها في قلبها عندما

= من خلال واقع الغرب الذي أراد أن يلغي الدور الطبيعي في تركيبة كلا الجنسين فسقط في مهاوي ومشاكل لا حصر لها، فتحطمت العائلة أي تحطيم، أما الآن فإنّ المعاهد العالية الاجتماعية في الغرب المهتمة بشؤون المجتمع أدركت أهمية الأخذ بعين الاعتبار جبلّة هذين المخلوقين: الذكر والأنثى، فبدأت بدراسات جديدة لا تبتعد كثيراً عن النظريات الإسلامية في تشكيل العائلة.

(1) Advice to the Daughter-in -Law, Saleeha Bhamjee.

جاء بها إلى الغرب، بينما كان يضمر في نفسه داخلياً الميلَ نحو أبويه أكثر منها[1].

وقد بدأت زوجة السيد مسعود تدرك بأنها إنسانة غير ذات قيمة في حياة زوجها. فهو مشغول بتجارته واهتماماته الخاصة ولا يصاحب زوجته إلّا عندما يحتاجها في السفر أحياناً، وفي مناسبات أخرى. وهذا ولّد في داخلها مشاعر بأنه لا يريد منها إلّا الجانب المادي وجانب اللذة التي يريده الرجال من النساء، وهذا التفكير غالباً إذا ما حلّ في عقليّة امرأة ما فإنه يقودها دائماً إلى الشك في علاقات ما بين زوجها وبين أخريات. وهذا ما هو واقع فعلاً، حيث بدأت تشك في أن زوجها ذو علاقة مع نساء يعملن معه في التجارة، وتأصل ذلك في ذهنها عندما وجدته لطيفاً في معاشرة النساء الأخريات، بينما لا يبدي مثل هذا التعامل الشخصي اللطيف مع زوجته إلّا نادراً وفي مناسبات قليلة[2].

كل ذلك لم يهتم به السيد مسعود. ليس بسبب عدم محبته لزوجته، وإنما ذلك كان تسامحاً وإهمالاً، وقد أدّت هذه الحالة إلى أن تعتقد الزوجة بأن

---

(1) فهنالك بعض النساء لا تتمكن من التفريق بين حب زوجها لأبويه وبين حبه لها، وفي الواقع أن الكثير من نساء الشرق الأوسط يقعن في هذا الغلط. بحيث تتحول قضية أهل الزوج إلى مشكلة مستعصية على الزوجة، بدلاً من أن تكون جانباً تربوياً في حياتها، لأهميتها في تربية ورعاية أولادها، ولكن مشكلة الغيرة والحسد وغيرها من الموروثات الاجتماعية صارت سبباً كبيراً في أن تتحول هذه الزوجة الوادعة إلى إمرأة تكره أبوي زوجها وتبغضهما، أما الحل في هذه المشكلة أحياناً قد يصعب ويستعصي. والأفضل في مجمل هذه الحالات هو عدم إشعار الزوجة بمساحة حب الزوج لأبويه، مع أن الصحيح هو إشعارها وتوضيح أهمية ذلك الحب الذي يصب في محيط العائلة وتماسكها، كما وفي نفس الوقت يجب على الزوج أن ينقل نفس مساحة الحب تلك إلى أب وأم زوجته لأهمية ذلك على مسيرة تربية الأطفال.

(2) وباعتقادي أن المرأة مهما كانت ومهما وصلت، ومهما تقدمت في عمرها وفي مستواها تبقى بحاجة إلى عواطف زوجها ورقة ألفاظه ومعاملته لها، كما تتوقع الزوجة من زوجها أن يجعل لها حيزاً محدوداً من أشيائه وأسراره لها، لكي يشعرها بأهمية قربها منه. التقرير التالي مهم لكل الازواج:
What's Love Got To Do With It? Equality, Equity, Commitment and Women's Marital Quality. Bradford Wilcox, Steven L. Nock.

حياتها ليست ذات جدوى معه. مما تركها عرضةً للأوهام وعرضةً للآلام النفسية. مما اضطرها إلى التفكير في التخلص منه لأنه السبب الرئيس في شقائها.

ثانياً: من الأخطاء الجسيمة التي وقعت المرأة فيها هو: تركها لأولادها، ومغادرة زوجها إلى الشرق الأوسط، إذ كانت تظن بأن هذا الأسلوب سوف يلقي بثقله وضغطه على الزوج. مما يؤدي به إلى الاستسلام أمام مطالبها[1]. وقد عانى الجميع من جرّاء ترك الأم أولادها مع الأب وانتقالها إلى الشرق الأوسط، راغمةً السيد مسعود على الرضوخ للأمر الواقع. وهذه مشكلة أخرى وقع فيها السيد مسعود الذي كان عليه أن يحسب حساب عدم أهليّة زوجته للقيام بأعباء الزوجة في هذه الظروف خصوصاً، وأنها الأم الشرقية المسلمة المحجبة التي تركت أطفالها بعيداً عنها ولم يرق قلبها لهما ضاربةً عرض الحائط مدى تعلق الأطفال في مرحلة الصبا بأمهم، والتي كان على الزوج أن لا يسعى مكرراً لإنجاب الأولاد في هذه الظروف، ولكن ذلك لم يحدث حيث استقبل السيد مسعود زوجته استقبال الأبطال وكأنه هو المخطئ وهي المصيبة. هذا بالإضافة إلى إنجاب طفلين آخرين بالإضافة إلى طفليه السابقين، وقد أدى ذلك إلى استفحال حالة الغرور لدى الزوجة ضد زوجها في أمور التسلط وفرض الإرادة.

ثالثاً: أما السيد مسعود فإنّ خطأه لا ينحصر بجهة واحدة، وإنما هنالك ممارسات كان يعتقد بها -بسبب تربيته العائلية- أنها صحيحة التطبيق مع زوجته، فمثلاً كان يميل في طبعه إلى السريّة في أموره التجارية، وعلاقته مع

---

(1) وهذا الأسلوب يستعمل كثيراً في الشرق الأوسط، وخصوصاً في الأوساط الاجتماعية الضيقة، بينما هو من أخطر الأساليب في بث روح الفرقة ما بين أفراد العائلة الواحدة. إنه لمن الأجدر أن يصارح أحد الزوجين الآخر في موضوع المشكلة التي يعانيها أحدهما تجاه الآخر، لا أن يحسب كل منهما نقاطه على الآخر، ليضع نفسه أمام خيار اتخاذ مؤقت متطرف، في الغرب فإنّ لذلك القرار تبعات يجب مراعاتها في القانون:
What you should know about family law in Ontario, Published by the Ministry of the Attorney General, 2012.

إخوته وأبويه، بحيث أدى ذلك إلى إثارة أكثر من علامة استفهام في ذهن زوجته بشأن صراحة زوجها ووضوحه. فهو مثلاً كثير السفر، وكان سفره مع أنه مندرج تحت عنوان التجارة، ولكنه في ذات الوقت كان يحيطه بسريّة تثير الشكوك من قبل زوجته، كذلك الحال في علاقته مع والديه التي كانت الزوجة لا تفهم من طبيعة تلك العلاقة أي تفاصيل، ولا تفهم فيما إذا كان زوجها على وئام أو خصام مع أبويه، ثم ما هو محل زوجها من تفكير أبويه، هل هو قريب أم بعيد، أم ماذا....؟

كل تلك الأشياء بقيت مفردات غامضة تفسرها الزوجة بما يحلو لها أن تفسرها، ففي أحيان معينة ترى ذلك نوعاً من التكتيك لتسطيحها وأحياناً أخرى تراه حقيقة، ولكنها تتساءل في ذات الوقت عن السبب في عدم معرفة تلك الحقيقة من قبل زوجها، وعندما يُترك الإنسان نفسه عرضةً للأوهام فإنّ الأفكار السيئة والمشوّشة تملك عقله وتتركه فريسة للشكوك والظنون.

رابعاً: على الزوج أن يصارح زوجته بطبيعة العلاقة التي تربطه بأهله، أو بأصدقائه أو بمجتمعه. فإذا كانت العلاقة مع أي طرف من تلك الاطراف متوترة أو طيبة فمن المستحسن أن يبوح بذلك لزوجته، لكي تقف من ذلك الموقف مشاركة أو ناصحة، والسبب في أن يكون الزوج منفتحاً على زوجته بشأن أمور خارجة عن اختصاصها من شأنه أن يملأ حيزاً من تفكير زوجته تجاه اهتمامه بها أولاً، وأن يفتح أمامها طريقاً آخر لكي تكتسب خبرة اجتماعية إضافية، فهنالك الكثير من الأزواج أو حتى الزوجات كثيري التكتم عن علاقاتهم مع عائلة الآباء، الأمهات، الإخوان خوفاً من معرفة طبيعته تلك العلاقة التي قد تثير حفيظة الزوج أو الزوجة، ولكن هذه الهاجس سرعان ما يتحول إلى واقع عندما يكتشف الطرف الآخر أن هنالك علاقة خاصة (إستحسان أم معاداة) لا يعرف بها، أو أنها خارجة عن نطاق توقعاته، وبذلك تثار الحفيظة تجاه الطرف الآخر.

خامساً: كان مسعود يرى أن الزوجة هي عبارة عن كائن له دور محدد

في حياة الزوج منها: الاعتناء بالبيت، ومنها إشباع حاجاته الفطرية، ومنها ملء فراغه في سفراته التي يرغب الرجل في أن يكون المرافق له إمرأة، ومنها هو الإنجاب الذي كان السيد مسعود يميل إلى التعلق بذريته، وهذه النقاط الآنفة مع أنها حاجة واقعية من حاجات الرجل ولكنها ليست هي الأساس لطبيعة العلاقة ما بين الزوج والزوجة.

وحين كان السيد مسعود يعكس تلك الأفكار من خلال علاقته مع زوجته، كانت الزوجة تدرك أن طموح زوجها تجاهها يقتصر على الاستفادة الذاتية منها أولاً، فكانت تعتقد أن البذخ الذي كان يقدمه لها والاهتمام بحاجاتها هي طريقة غير مباشرة لكي تنعكس على حاجاته وملذاته، وقد كانت تطالبه زوجته بأن تعيش الموازنة بين ما يريده هو وبين ما تريده هي، وعندما كان يطلب منها أن تذكر له ما تريده تتذرع بالصمت، لأنها لا تتمكن من تفسير ما يدور في ذهنها، فلسانها يعجز عن توضيح التناقضات في تفكيرها، وكان ذلك مؤلماً للطرفين، فلا هي قادرة على تقديم مطلبها من خلال الحوار، ولا الزوج مدرك ما يعتمل في تفكير الزوجة، وفي هذه الحالات عموماً فإنّ التشنج والعصبية تأخذ دورها في تلبد الأجواء.

الانتقـام:

لم يكن قرار الذهاب إلى السلطات القضائية من قبل الزوجة في المرة الأولى خطوة خارجة عن نطاق الانتقام ضد الزوج، كذلك المرة الثانية لم تكن الشكوى المفبركة وإلقاء القبض على الزوج خارج أيضاً عن إشباع حب الانتقام في نفسية المرأة، وكان السيد مسعود يراقب الأيام تمر ببطء وهو يستقرئ ماذا على الزوجة أن تعمل لإشباع كل ما امتلأت جوانحها من طرق الانتقام، فكان يتوقع منها أن تقول كل شيء، وتعمل في كل شيء. كان يتوقع منها أن تعمل المستحيل لتحطيمه، وبكل وسيلة ومهما كانت شريرة في الوصول إلى غايتها، وفعلاً فعلت كل شيء، ولم يتمكن أحد من الوقوف في

طريقها لا من الأقرباء ولا من الأصدقاء[1].

ولكن الرجل لم يتوقع شيئاً واحداً منها، وكان يستبعده دائماً عندما تكلم مع صديقه السيد (عبدو) الذي كان على اطلاع تام بالأمر، ذلك الشيء هو الحدود الشرعية للحجاب واستعماله سلاحاً في المعركة، وكان السيد عبدو يعمل وسيطاً من طرف واحد لتخفيف حدّة الوطأة على الزوج. وذلك بتهدئته وبث روح الصبر في نفسه، وحثه الدائم على استمرار الاهتمام بأولاده وتربيتهم، وقد فكر السيد عبدو بأن هذا النوع من النساء قد لا تقف حدود الانتقام عند الحدود الشرعية الأدبية أو الأخلاقية، بل يرى أن هذه المرأة إذا لم تتمكن مما تطمح إليه نفسها في شفاء غليلها من زوجها بما هو مضر به مباشرة، فإنها ستعمل كل ما بوسعها للانتقام منه بطرق غير مباشرة، ولم يخف السيد عبدو خيفته بأن الزوجة سوف تخلع حجابها، وهو انتقام من زوجها لمعرفتها أن ذلك سينعكس بصورة سلبية عليه، ولكن مسعود استبعد ذلك قائلاً لصديقه أن زوجته مهما عملت في طريق المحاكم لمواجهتي ولكنها في جانب الحجاب إمرأة ملتزمة لا يمكن لها خيانة أعراف عائلتها وأعراف دينها، ثم أضاف الزوج: أن تربيتها لبناتها واهتمامها بحجابهن لا غبار عليه، وإنه في غاية الاطمئنان على ذلك، فعائلتها تنحدر من أسس دينية ثابتة وشواهد ممارسة أفراد عائلتها والتزامهم طريق العفاف والحجاب لهو أكبر دليل وأقوى شاهد... تمتم السيد عبدو ولم يحر جواباً، فلا يملك أكثر من السكوت.

في الصيف التالي ذهب السيد مسعود للالتقاء بأولاده في مطعم كانوا قد اتفقوا في اللقاء الأسبوعي فيه وإذا بزوجته السابقة وهي في غاية التبرج في ملابسها الضيقة وتصفيف الشعر والماكياج جاءت لاستفزازه، وهي تعلم أن هذا العمل لهو من أكثر الممارسات ألماً على نفس زوجها السابق، وكانت تخفى بين شفتيها ضحكة صفراء فاقعة تدل من خلالها على فرح الانتقام، ولم

(1) Spousal Abuse, Prepared by the Canadian Resource Centre for Victims of Crime.

تكتف المرأة بذلك، وإنما أنزعت ابنتيها الكبيرتين الحجاب وألبستهما آخر الصيحات من ملابس المراهقات، من كشف جزء من البطن وإظهار علو الصدر وغيرها، أخفى الأب ألماً كبيراً في نفسه وحاول السؤال من ابنته الكبيرة والدموع تملأ عينيه فبادرت إبنته الكبيرة صارمة الرد قائلة له: إننا أحرار وهذه جزء من حريتي الشخصية، جلس مع بناته هنيئة وتناول شيئاً من الشاي وهو في غاية التألم، حاول ثانية أن يستفسر من ابنته الكبيرة ولكن الرد الذي جاء مرة أخرى أشد وأوجع من الرد الأول قائلة له: أرجو عدم التدخل في شؤوني.... أرجع أولاده إلى البيت وذهب ليفكر كيف وماذا يعمل......؟[1].

إنها مأساة وانتقام واقعيان، إنه غاية الألم وغاية الحسرة التي لا تقارن بأيام السجن وأيام المحاكم، إنها قضية أعمق من كل شيء، إنها قضية مؤلمة على مدى الحياة، وهو لا يملك شيئاً إلّا كبت غمه وهمه وحزنه، ولم تكتف الزوجة بذلك، بل إنها خططت إلى أن توقع ابنتها الكبيرة في شراك ضحالة المجتمع الغربي لكي تنتقم من الأب، وتنتقم من نفسها أيضاً، وتنتقم من كل شيء، فبدأت تشجع ابنتها الكبيرة على الذهاب إلى أماكن الانحراف مثل السفرات المدرسية والحفلات المدرسية، التي تعتبر أجواؤها من أشد الأجواء في انحراف المراهقين، وكانت توصل ذلك إلى الأب من خلال ابنتها الصغيرة لتثير في نفسه كوامن الألم والأذى.

وفي إحدى لقاءات الأب مع أولاده جاءت ابنته الكبيرة التي وصل عمرها 18 سنة إلى لقاء أبيها مع رفقة شابين مستهترين طويلي القامة تقول البنت عنهما إنهما زميلاها في الدراسة، وقد طلبت منهما أن يرافقاها في زيارة والدها[2] ثم استدارت البنت استدارة خبيثة وحاقدة مودعة أبيها بأنامل

---

(1) Betrayal, Rejection, Revenge, and Forgiveness: An Interpersonal Script Approach. Julie Fitness.

(2) وكانت ابنته التي كان يطمح فيها أن تكون مثالاً للشرف والعفة مستهترةً كاشفةً عن مواقع من جسمها مملوءة بالمساحيق، وهي تمشي مشية المتحدي لأبيها ولقيمها، حيث وقفت =

مملوءة بالأصباغ مستقلة سيارة صديقها... لم يتكلم الأب أبداً وإنما تذكر صديقه عبدو[1].

لم تقتصر الأمور على هذه النقطة من الانحراف بل إن البنت الأخرى ذات 16 سنة بدأت تأخذ منحى أختها الكبيرة في تصرفاتها، وفي البيت، ومع أبيها، ويحاول الأب أن يوقف هذا المد الشيطاني في داخل أسرته، ولكن هيهات، لأن الأمور صعبة جداً في أجواء الغرب، لقد شعر الأب أن الفساد الذي استشرى في عائلته لم يخرج عن نطاق أمواله التي أغدقها عليهم سابقاً وحالياً، التي كان عليه أن يدفعها مرغماً (بأمر من المحكمة) لاستمرار حالة الانحراف التي تمارسه زوجته ومن ثم بناته، إنها مأساة كبيرة تواجهه لا يعرف كيف يتعامل معها لحلها.

وقد اقترح عليه صديقه عبدو أن يقدم خياراً للأم في أن تغادر الولايات

= أمامه قائلة يا أبي أعطني 500 دولار فأنا أحتاجها لشراء (بنطلون) من تقليعة (Boss) خرج تواً للسوق، ثم أضافت أن صديقتها (كيرن) قد أعطاها صديقها مائة دولار وهي تحتاج للباقي لكي تشتري ما يحلو لها، وأضافت لأبيها بأنها طلبت من أمها هذا المبلغ، ولكنها سمحت لها أن تأخذ جزءاً من صديقها وجزءاً منك، ثم أردفت البنت قائلة: بأن أمي تقول إذا لم تعطني المبلغ فإنني سأحصل عليه من أصدقائي في المدرسة.

(1) وتذكر واستعاد شريط تربيته لهذه البنت التي بذل لها من سخاء العواطف ما يعجز القلم عن وصفه، وإعطائها من الأموال واللعب ومن الملابس ما لا يمكن عده وإحصاؤه، وكان من شدة حبه لأبنته الكبيرة بأنه كان متواضعاً لها، رقيقاً ناعماً لا يرد لها طلباً ولا أمراً، وكانت في البيت وكأنها هي السيدة الأولى، وكان أبوها حينما يخاطبها في التلفون كأنه عبد يتكلم مع السيدة مثل (Sweaty) (حبيبتي) (عيوني) (أبويا)، الخ حتى أثارت تلك الكلمات وطبيعة الخطاب من غيرة الأم بحيث صارت ترى أن ابنتها منافسة لها في كسب قلب زوجها (هذا سابقاً) لذلك تولدت في نفس الأم غيرة ملموسة تجاه ابنتها، كذلك البنت لم تُخفِ تبرمها من شعور أمها وكانت تكره ذلك، وترى أن أمهما منافسة لها على الاستئثار بقلب والدها. وهذا ما ولّد أجواء الضغينة بين البنت وأمها جعلتها فريسة لأي فرصة تبعدها عن أجواء أمها وأجواء أبيها، وكانت هذه البنت تتصرف بعقلية غربيّة أنشأها أبوها وأمها عليها، فهي ترى أن أباها مأسور تجاهها بعاطفة الأبوة، لماذا لا تلعب بهذه الورقة إذن لكي تحصل من أمها وأبيها على ما تريد......؟ فإذن ما المانع من أن تأخذ من أمها ما تريد أمام حالة الصراع مع أبيها وهي فوائد تحتاجها المراهقة في هذا البلد......؟ اطلع على التقرير:
Keys to Enhancing Brain Development in Young Children. Sean Brotherson.

المتحدة مع العائلة إلى أي قطر عربي أو إسلامي مقابل الالتزام من قبل السيد مسعود في إعطائها ما تريد، وكل ما تريد، فإذا كانت تحلم ببيت ضخم وكبير أو متجر أو راتب أو شيء في الحياة فهو على أتم الاستعداد لذلك، وكان الزوج يرمى فعلاً إلى تحقيق هذه الأمور مقابل إنقاذ عائلته من طريق الإنحراف، وعندما تلقت الزوجة هذا الأمر من خلال طرف ثالث رفضته رفضاً قاطعاً، وأرسلت خبراً آخر لزوجها بأنها ستذهب إلى البوليس، وتخبرهم بأنه عندما عرض ذلك عليها فهذا معناه أنه يريد قتلها في الشرق الأوسط وهو في محاولة استدراجها إلى هنالك. وهكذا وقفت كل محاولات السعي لإنقاذ هذه العائلة وإنقاذ شرف الأولاد وحفظ ما تبقى من دينهم وأعرافهم.

التجربة الخامسة



مأساة عائلة

مأساة عائلة

تخرج السيد عبد المحسن من إحدى الجامعات الأوربية في بداية السبعينيات ليبدأ حياته العملية بالالتحاق في إحدى شركات المقاولات الكهربائية وقد وفقه الله إلى طريق العمل الجاد الدؤوب الذي رافقه في ذات الوقت ومسيرته الإيمانية الناصعة، فكان رجلاً شديد التعلق بروحانيات الدعاء والقرآن، وكنت عندما يقف إلى الصلاة ترى إنساناً في غاية الخشوع والتأدب أمام الباري عز وجل.

وقد أضافت هذه الممارسة في حياة السيد عبد المحسن دوراً يملأ محياه ويملأ ابتسامته الجميلة التي يستأنس بها من يلتقي به ويتحدث معه، ولم يُفتقد الرجل من مجلس تضلله أجواء الإيمان والقرآن والذكر المتعلق بالباري عز وجل.

تتعقد الأجواء السياسية في ذلك البلد ويخشى على حياته من انتقام السلطة الجائرة حتى صار قرار الهرب من مسقط رأسه ومهد طفولته إلى دولة أوروبية لتكملة دراسته أمراً لا مفر منه، ثم إنقاذ حياته من القتل.

قبل مغادرته تزوج السيد عبد المحسن من امرأة طيبة ذات عائلة جيدة، ولكنها معقّدة في تركيبتها وعلاقتها، وأعني من ذلك هو النزاع المستمر الدائم ما بين إخوتها وأخواتها[1]، وقد شعرت أن زواجها من عبد المحسن المعروف بإيمانه وروحانيته وسماحة ابتسامته ستنعكس إيجابياً في الخروج من

---

(1) الذي من خلال اطلاعي العام كان بسبب الوضع النفسي المتأتي إما من الوراثة أو من حالة الفقر أو من كليهما.

الوضع البيئي الذي عاشت فيه، وتم الزواج ثم الهجرة إلى الدراسة في إحدى الأقطار الأوربية، وتستقر العائلة في ذلك القطر الأوربي، وهكذا ترزق العائلة ببنت كانت لهم سلوة لتزيل عنهما أجواء الغربة ومصاعبها، ويرتبط الأب بابنته ارتباطاً لا حدود له، وهو الإنسان صاحب العواطف الجيّاشة المشبعة بالإيمان والهدوء، فكبرت البنت ويكبر معها الحب الكبير للأب مما يثير حفيظة الأم[1].

تستمر الحياة وترزق العائلة بولدين آخرين أحدهما يكبر الآخر بسنة واحدة، ثم تدخل العائلة في صراع الحياة حيث تهاجر إلى بلد آخر ومنه إلى الشرق الأوسط، ومن ثم سلسلة من المصاعب والآلام إلى أن تحط رحالها في الولايات المتحدة في (ديترويت)[2] ليعيشوا أولاً على المساعدات الحكومية، ومن ثم اكتساب المعيشة عن طريق وظيفة حصل عليها الأب في اختصاصه.

تنمو البنت وتنمو معها عواطف الأب وحنانه حتى وصل الحال بها أن أصبحت بنتاً كثيرة الحركة لا تجد شيئاً إلّا وتكسره، ولا طفلاً إلّا اعتدت عليه مما سبب في ضجر أصدقاء العائلة من سلوكها في ضرب الآخرين وإسماعهم كلمات نابية تعلمتها من المدرسة الابتدائية..... ويقترب عمر الفتاة من التاسعة، حيث تتكلّف بارتداء الحجاب الشرعي على رأي الفقهاء الإسلاميين وفعلاً وصلت نادية الصف الثالث وهي ترتدي الحجاب ولكنها

(1) أحياناً لشعورها بأن زوجها يعطي اهتماماً أكبر لابنته (نادية)، وفعلاً كان الأب رجلاً سخياً تجاه الوردة الطرية، فكان يعطيها كل شيء من حبه وعواطفه وأمواله، حتى أثّر ذلك على زوجته التي بدأت فعلاً تشعر بالغيرة من شدة تعلق الأب بابنته.

(2) هي أكبر مدن ولاية ميشيغان الأمريكية، تأسست عام 1701بواسطة التجار الفرنسيين. تقع عند الحدود الكندية وتجاورها من هنالك مدينة (وندسور)، وتصنف في المرتبة العاشرة بالنسبة لمدن الولايات المتحدة الأمريكية لعام 2000، وقد أصبحت المدينة الحادية عشر من حيث عدد السكان بعد (سان خوسيه) بكاليفورنيا عام 2004، تعرف المدينة بصناعة السيارات، وتسمى أحياناً باسم "Motor City" أي مدينة المحركات أو السيارات بسبب ذلك (ww.michigan.gov).

وبسبب عواطف أبيها تجاهها بقيت على حالها في العراك مع الآخرين، وإصدار الكلمات النابية، وقد سببت هذه الحالة مشاكل في داخل البيت مع إخوانها الذكور[1]، عندئذ فكر الأب والأم في الوصول إلى أنجح الأساليب للأخذ بيد ابنتهم نحو السلوك المستقيم ولكن المحاولات باءت بالفشل، فقررعندئذ الأبوان أن يرسلا ابنتهم إلى مسقط رأسهم في الشرق الأوسط لتعيش مع خالاتها وأعمامها مع صعوبة الأمر وخطورته، خصوصاً وأنها لا تحمل جنسية ذلك البلد وإنما تحمل جنسية البلد الغربي الذي ولدت فيه.

تتوجه نادية إلى سلوك طريق آخر وهو طريق العودة إلى الهدوء والعودة إلى تبني التعاليم الإسلامية والأخلاق الفاضلة، وتبقى البنت ثلاث أو أربع سنوات وهي مرتاحة في سلوكها ودوامها في المدارس الحكومية هناك إلى حين يقرر الأب والأم بأنهما غير قادرين أن يكونا في بُعدٍ عن إبنتهم، وخصوصاً الأب الذي يكن حباً لابنته قل نظيره.

وهكذا تعود البنت إلى الغرب، ولكن بصورة أخرى في حجابها، ولغتها العربية وسماحة خلقها، فيستبشر الأبوان ويستبشر أصدقاء العائلة لما تحقق من تقدم في سلوك نادية، ويزداد تعلق الأب بابنته وتزداد تجاه ذلك غيرة الأم تجاه تلك العلاقة، وتتحول نادية في البيت وكأنها شريكة أو (ضرّة) لأمها، وتتعقد الأمور بصورة بحيث أن الأب والأولاد والأم ونادية في معارك مستمرة.

يصل عمر نادية إلى السبعة عشرة، السن الذي وجد الأب أنها الفرصة المتاحة لتزويج ابنته التي كانت مهيأة لذلك على مستوى تفكير البنت أو تفكير

---

(1) بحيث إن المعارك التي كانت تقودها نادية كانت حصيلتها في معظم الأحيان أبواب الحمام وأبواب غرف النوم بالإضافة إلى الأواني وغيرها. إحصائيات المعارك في أمريكا بين الطلاب تقدر ب 30%. أنظر التقرير التالي الذي يلقي الضوء على نوعية المعارك والصراعات مابين الاعمار المختلفة من الطلاب:

Bullying Statistics / Cyber Bullying Statistics / School Bullying Statistics, Based on 2004 i-SAFE survey of 1,500 students grades 4-8.

الأم، وقد أسس الأب الطيّب مشاعره تلك من رغبته في تزويج ابنته إلى أحد أصدقاؤه القريبين الذين يسعون في تثبيت الخير إلى المجتمع، وتقريب العوائل، والدعوة إلى الإحسان. وسرعان ما يجد ذلك الصديق الإنسان الشاب الذي جاء إلى أمريكا حديثاً[1]، ويسعى صديق العائلة في تقريب وجهات النظر ويفاتح البنت التي طلبت الاجتماع بالخاطب ويتم الاجتماع لتقرر على أساس ذلك قبولها به زوجاً لها.

في الحقيقة فإنّ العريس كان له من الحظوة في الحصول على زوجة مثل نادية، مع أنها كانت من ناحية الجمال دون المستوى... ولكنه أحبها حباً جماً، وصار لها زوجاً مخلصاً محباً، كان يطمح فيها أن تملأ حياته عاطفةً ومحبةً، ويتم الزواج وتنتقل الزوجة إلى حيث زوجها وعمله، وتدخل بيته لتكون الشابة التي تأخذ بمجامع قلب زوجها، وتسير الأمور بصورة جيدة، وطبيعية إلى حين ظهور أولى علامات الاختلاف ما بين الزوجين، فالزوج رجل طيب القلب إلى درجة قد يؤخذ عليه بساطته في التصرفات، أما الزوجة فكانت حادة الطبع سليطة اللسان، ميّالة إلى العنف في الكلام، حيث بدأت هذه الصفات بالظهور عندما انقضت الفترة الأولى الستة أشهر أو السنة وهي الفترة التي لا يظهر كلا الزوجين على حقيقتهما إلّا بعد انقضائها، وهو ما حدث بالفعل فصارت الزوجة في تعاملها مع زوجها الطيب آمرةً وناهية، وبأسلوب شديد أحياناً مما يسبب في تلبّد الأجواء[2].

هنا دخلت الزوجة في طور الحمل، وهي بعد لم تكتمل مرحلة الثانوية

---

(1) شاباً مناسباً لوضع نادية، فهي تحمل شعوراً خليطاً ما بين الشرق والغرب، فقد تعلمت القسم الكثير من أخلاقها في عالم الشرق، حيث عرفت كيف تتعامل عائلياً مع الآخرين والمعارف، وكيف تعيش في ظل عائلة شرقية. وهو ما كان متوفراً في الخاطب الذي تقدم لطلب يدها، فهو شاب من عائلة كبيرة يعيش أحدهم قرب الآخر في الولايات المتحدة، تسودهم عادات الشرق مع قسم من الأعراف الغربية، وهو ما كان مثالياً لنادية التي كانت تطمح في أن يكون شريك حياتها شرقياً أكثر مما هو غربي لحبها للشرق الذي تغلغل في نفسها خلال السنوات القليلة لبقائها هنالك.

(2) 10 Tips to Help Your Teens Stop Swearing. Judy Gruen.

العامة، فالوضع في هكذا زوجة مراهقة صغيرة حامل طالبة في الثانوية العامة، والزوج كادح غاية الكدح لتوفير ما يمكنه إسعاد عائلته وحاجاتها، وكان يواجه اللوم تلو اللوم منها له في برودة أعصابه وضعف شخصيته وطموحه، وكانت الزوجة تواجهه على الدوام بذلك، وتتهمه في أنها تفضل الآخرين عليه من أقرانها في المدرسة الثانوية، في كلام مخلوط ما بين الجد والهزل.

حينما وصلت أخبار بيت الزوجيّة إلى صديق العائلة الذي ساهم في مشروع الزواج، قرر الرجل أن لا يجلس متفرجاً على مشاكل هذه البيت، ثم طالبه الصديق أن يحاول في إقناع العائلة بالانتقال قريباً منه، ليكون توجيهه ونصائحه مواكبة لمسيرة التغيّر في سلوك الطرفين، ولكن الأب رفض وأصر على الرفض لأسباب قد تكون قديمة. منها: هو أن أفراد عائلة الأم والإخوة يرفضون في أن تكون نادية قريبة منهم بسبب حالة العدائيّة وحالة الغضب في شخصيتها، بالإضافة إلى حالة الغيرة عند الأم كذلك بالنسبة للأب فإنّ المسؤولية الكبرى التي كانت على عاتقه من جرّاء سلوك ابنته، كل ذلك دفع الأب أن يقول لا للانتقال قربه، ولكن الزوجين لم ينتظرا طويلاً لأخذ الموافقة من الأبوين وانتقلا فعلاً، حيث وجد الزوج مجالاً للعمل في أحد المحلات، وصارت الزوجة تتردد على بيت الأب حيث رزقت بمولدها الذي ملأ بيت الجد سروراً وحبوراً.

الشيء الملاحظ هنا هو أن الأب لم يقم بأي عمل توجيهي تجاه العائلة الجديدة، وإنما جُلّ ما قام به هو إعطاء الزوج مجموعة من الكتب الأخلاقية والدينية لكي يتعلم بنفسه، ويعلّم زوجته، ولكن ذلك غير فعال كما هو معروف[1]. في هذه الأثناء وبعد الولادة تستمر نادية في دراستها وتتعرض إلى كلام وانتقاد وسخرية أحياناً من زميلاتها في المدرسة الحكومية العامة، واتهامها بأنها حطمت حياتها بزواجها، وأن الزواج يجب أن يكون بعد

(1) فالإنسان في مجال التوجيه يحتاج إلى شخص آخر يمارس معه عملية التغيير لأنها عملية معقدة تتطلب حضوراً دائماً وأسلوباً نفسياً مؤثراً.

الحصول على شهادة الجامعة، وبعد الحصول على عمل، وقد فتحت تلك الأقاويل باباً واسعاً أمام تفكير الزوجة بإعادة النظر بزواجها وجدواه، وبدأت تغيّر حساباتها أمام ضغط الواقع.

هل صحيح زواجها ؟

هل تزوجت الرجل المناسب ؟

هل إنجابها لولدها الوحيد كان خطوة صحيحة ؟

من يتحمل مسؤولية ذلك ؟ الأب ؟ أم هي، أم من ؟

وعندما بدأت رحلة الأسئلة والمواجهة أمام واقع المجتمع الغربي، وواقع سوء علاقتها مع زوجها، وجدت نفسها أن إجابتها عن كل تلك الأسئلة السابقة سيكون جواباً بالنفي، وأن حياتها يجب أن تتغير في كل أوضاعها، وفي ظل علاقتها مع زوجها[1].

أما موقف الأب فكان موقف المتردد الخائب الذي أسرته عواطف علاقته مع ابنته، فلا يرى شيئاً آخر في حياته من خلال تلك العلاقة الحميمة والعواطف الجيّاشة بينه وبين ابنته، ولذلك لم يحرك الأب ساكناً ولم يحاول أن يبادر إلى إصلاح أفكار ابنته، خصوصاً في غضبها وسخطها عليه، وهكذا بدأت نادية في وضع المتمردة على أبويها وعلى زوجها وعلى إخوتها، حيث بدأت رحلة العودة ورحلة التشرذم، فكانت تلوم أباها على تفكيره في تزويجها قائلة له: عندما تزوجت أنا لم أكن آنذاك أفهم شيئاً، وكان عليك أن تمنع ذلك الزواج، ولم يكن جواب الأب إلّا التصديق الكامل والتفاعل الإيجابي مع ابنته التي بدأت نيران الانتقام في داخلها تتخذ أطواراً وصوراً متباينة، فأحياناً يتوجه ذلك الانتقام إلى الأب وأحياناً إلى الزوج وأحياناً أخرى إلى الدين وهكذا[2].

(1) Advance Praise for Pathways to prosperity: Preparing young Americans for the 21th Centry, Harvard Graduate School of Education.

(2) Seeds of Success Seeking solutions for teen mothers and their children. by =

مشكلة الأب هي ميوعته العاطفية تجاه ابنته والتي لم يجد إلّا الزوج هدفاً سهلاً لصب نار الغضب عليه، متهماً إياه بشتى التهم لكي يهرب من المسؤولية. وكانت إحدى تلك التهم هي نقص الثقافة والوعي لدى الزوج في توجيه زوجته، وهذا صحيح في الواقع، ولكن نسي الأب أن توجيه ابنته وتوجيه زوجها يجب أن لا يتوقف منذ اليوم الأول من الاقتران حتى ينضج كلا الطرفين في فهم حياتهما الزوجية.

لم تتوانَ نادية وهي تكيل اللوم والعتاب لأبيها الذي بدأ منهاراً أمام ابنته، وأمام لسانها وشكواها، فلم يكن أمامه إلّا أن يلقي اللوم على صديقه الحميم الذي شاركه في انتقاء هذا الزوج، وقد نسي الأب أن المشكلة الرئيسة هي القصور أو التقصير في التوجيه من قبله إلى أفراد عائلته التي لم يكن في الإمكان تحملها مما دعاه إلى إلقاء تبعات مشاكل ابنته على صديقه الناصح الذي كان يرمي من ذلك حفظ الأسرة وضمانها من الضياع في هذا المجتمع الفاسد[1].

في ظهيرة يوم من أيام الصيف قررت البنت أن تترك وحيدها الصغير بعُهدة أبيه وتخرج إلى جهة غير معلومة، خرج الأب باحثاً عن ابنته فلم يجد لها أثراً في محيط الجالية والأصدقاء، وفي اليوم الثاني اتصلت نادية بأبيها مخبرةً إياه بأنها عند صديقتها فلانة، وأنها سترجع اليوم ليلاً، ذهب الأب لصديقه الحميم لأخذ المشورة منه، ولكن ما عسى ذلك الصديق أن يعمل في ظرف كهذا وبعد -كما يقال خراب البصرة-.....؟ أخبر الصديق الأب وأكد أن عليه أن يسعى للحفاظ على عائلته من الانحراف أن يسلك طريق العقل، وطرق التروي بعيداً عن العواطف والانفعالات، وبعيداً عن العواطف الجياشة التي تربطه بابنته نادية[2].

= TransCanada Corporation, in honour of Sarah Raiss. Teenage Mothers. 2010. United Way, Calgary Area.

(1) Father Absence and its Effects on Daughters, Lisa Mancini and Professor Briggs.

(2) وأخبره أيضاً بأن الأبناء غالباً ولتحقيق رغباتهم (مهما كانت) فإنهم يستعملون =

تستمر الأمور وتعود نادية إلى البيت، وعندما تشاهد زوجها تدفعه بقوة من أمامها، ثم تدفع والدها بعد ذلك، ثم تأمر الإثنين بالخروج من البيت وتركها وحدها إلى حين تستريح، تمتم الأب وهو خارج مطرود من بيت ابنته مع الزوج وهو يقول: بأن نادية تعبانة نفسياً وعليها أن تأخذ قسطاً من الراحة... لذلك فمن حقها الخروج والاستئناس مع صديقاتها بعيداً عن مسؤولية الطفل...!!، وفي اليوم الثاني اتصلت البنت بأبيها فأخبرته بمغادرتها إلى جهة غير معلومة، وفي طريقها إلى ركوب الحافلة متوجهة إلى إحدى الولايات الأمريكية، ولم يكن أمام الأب إلّا الاتصال بصديقه الذي تحرك بسرعة نحو محطة الحافلات الرئيسة لمعرفة الأمر، وهنالك رأى البنت واقفة على أحد التلفونات العمومية وبيدها كتاب من كتب الروايات (Novel) الغربيّة، واجهها ذلك الصديق مباشرة وقال لها: ماذا تعملين هنا...؟ فترددت ثم علاها الاستحياء قائلة:

- إنني في طريقي إلى السفر.
- سألها أي سفر........؟
- سفر إستجمام أجابت.
- و أين ابنكِ....؟
- مع أبيه.
- كيف تتركينه وهو لا زال صغيراً......؟

= تلك العاطفة التي يملكها الأبوان للاقدام على ذلك العمل، لمعرفتهم بأن غضب الأبوين سوف لم يستمر إلّا فترة محدودة، بل إن البعض من الآباء يبرر لأبنائه إقدامهم على طرق الإنحراف، ولم يكن الأب عبد المحسن مدركاً لما يقوله صديقه القريب، وإنما كان متفاعلاً مع حجج ابنته، لا مع حجج العقل والشرع، فمثلاً كان الأب يرى حجة ابنته في تزويجها مبكراً حجة واقعية وصحيحة، وأن ابنته محقة في ذلك، وأن اللوم الكبير يقع عليه شخصياً لا على ابنته، وأن خروجها من البيت ما هو إلّا رد فعل لخطئه وأخطاء زوجها. هذا المنطق وهذا التفكير له من السلبيات ومن التبعات الكثيرة على سلوك الأبناء. وهو مجال كبير للأبناء في تبرير انحرافاتهم وسلوك طريق الشر وهو ما سوف نؤكده في سياق هذه القصة.

طلب منها صديق العائلة أن تصاحبه إلى بيته فامتثلت نادية وذهبا معاً حيث اتصل بالأب والزوج طالباً منهما المجيء إليه، جاء الزوج مع أخ نادية وذهبا معاً إلى البيت مع بعض التوجيهات، في اليوم التالي جاء الأب إلى بيت صديقه وهو محمّل بالمشكلة الرئيسة التي يحب طرحها أمام صديقه لاستيضاح الحل.

بدأ الأب حديثه بوجود مشكلة ملخصها أن ابنته نادية قد تعرفت على شاب من خلال شبكة الانترنيت وهذا الشاب عربي يدرس في إحدى الولايات، فأغراها بالكثير من الوعود والكلام المعسول، وطلب منها رقم التلفون فأعطته إياه، وبدأت منذ ذلك التاريخ علاقة تلفونية معه، وهي تنوي السفر إلى الولاية التي يدرس فيها ذلك الشاب العشيق تاركة والدها وزوجها، الأب في هذه الحالة لم يظهر ولم يُبدِ ألماً بقدر المشكلة، ولم يستنكر العمل الفاحش هذا، وإنما اكتفى بالقول بأن الزوج هو الذي دفع زوجته إلى ذلك[1]. في مثالنا الحالي لم نر من الأب فعلاً مناسباً لحجم الانحراف الذي انتاب ابنته نادية، مع أنه -أي الأب- ذو عمق وتربية روحية، وأن ذلك غالباً ما تراه متجسداً على ممارساته في العبادة وفي الصلوات وفي الأدعية.

لم تحرك الخيانة الزوجية لدى البنت أحاسيس الأب شيئاً، وإنما الفيض العاطفي الذي يحمله تجاه ابنته جعله ينسي أو يتناسى عملها المنحرف الذي يرفضه الذوق والدين[2] ولم يكن أمام صديق العائلة إلّا أن يوبخ الأب على

---

(1) ففي مثل هذه الحالات عندما تتوجه زوجة محصّنة إلى رجل آخر فهو ليس عملاً مخالفاً للدين فقط، وإنما هو مناف لأبسط القواعد الأخلاقية والاجتماعية، حتى في المجتمع الأمريكي، فإنّ هذه السلوكيات والممارسات مرفوضة إجتماعياً ومرفوضة أخلاقياً من جميع الطبقات مهما كانت قريبة أو بعيدة عن الدين، فهو عمل يُنظر إليه من المنظار الاجتماعي في عرف الأمريكان بأنه خيانة.

Anita L. Allen, "Cheating, the Big Mistake," in The New Ethics: A Guided Tour of the Twenty-First Century Moral Landscape (New York: Miramax Books, 2004), 28-57.

(2) وللحق نقول بأن الأب لم يرض بعمل ابنته، وإنما الذي نشير إليه هنا هو ضعف الرفض الداخلي المقابل لإقدام ابنته على سلوك هذا الطريق غير الأخلاقي، الذي ترفضه أعراف العائلة وأعراف الدين.

بروده تجاه ابنته في سلوك طريق الخطأ، وتذكيره بماضيه الإيماني وممارساته الأخلاقية والروحية ومنافاة ذلك لما تفكر ابنته في الإقدام عليه، ولكن الأب لم يأخذ توبيخ صديقه على محمل المؤاخاة والمودة، بل فسره بالمنظار الأسود منظار التقريع واللوم وغيره، وكانت نادية في أثناء الليل تتصل بالقادم الجديد (الخائن) تلفونياً بعد أن رفضت أن يدخل زوجها البيت، حيث بدأ ينام في بيت الأب بعض الليالي محتسباً إلى أن قررت هي طلب الطلاق، كذلك قرر الزوج ذلك بعد أن اكتشف علاقة الخيانة لزوجته من خلال التلفون والانترنيت.

حاول الجميع الحديث والنصيحة مع البنت في أن تتعقّل وتعود إلى رشدها، وإلى وعيها، وأن تنظر مصلحة عائلتها وطفلها، وأن تحرص على دينها وخصوصاً وهي فتاه تحمل شعار الإسلام والعفة والحجاب، ويشهد تأريخها ومسيرة حياتها على معاناة عائلتها أمام حفظ جذور الدين من خلال حقب المصاعب والآلام التي انتابتهم وتمكنوا من فقدان الكثير إلّا الدين الذي بقى هو العنوان الرئيس لسلوك العائلة.

لم ترتدع البنت ولم تتوقف، بل طالبت بأكثر من ذلك، طالبت الأب بأن يأخذ الطفل لكي تتفرغ هي لحياتها ودراستها واهتمامها كما ادعت[1]، لذلك طالبت بالطلاق الآني من زوجها، وإلّا ترفض الرجوع إلى البيت وإلى طفلها، وفعلاً تم الطلاق الشرعي ثم صار الإبن من مسؤولية عائلة الأب، ورجع الزوج المسكين إلى الولاية التي تعيش فيها عائلته[2].

والذي يهمنا هنا من هذا الموضوع هو موقف الأب الذي كان يتسم

---

(1) ولم يكن سراً أن نقول ونوضح أن نادية خططت لحياتها في أن تكون حرة، وعلى معنى الحرية الغربية في الانطلاق والتحلل والابتعاد عن الفضائل وعن المبادئ التي يقرها العقل والدين.

(2) Closer Together, Further Apart: The Effect of Technology and the Internet on Sex, Intimacy and Relationships.. Are Young Women Avoiding Marriage? Love and Sex in the Digital Age. Robert Weiss.

بالضعف وبالبرود، ونسيان مبادئه التي تربى عليها وحاول تربية أولاده عليها أيضاً، كان موقفاً ميالاً إلى البنت أكثر منه إلى الرجل الذي كان يقول دائماً: إنني لا يمكن لي أن أعيش مع زوجة لها ميول عاطفية إلى رجل آخر، إنني ممكن أن أنسي الماضي، وأن أتناسى مآسي الخيانة أمام عهد واضح للتوبة النصوحة، وفي العودة إلى أجواء الدين وأجواء العائلة.

أما حجة الزوجة أمام الناس وأمام رجل الدين الذي طُلب منه إجراء مراسيم الطلاق. هو أن زوجها ضعيف الشخصية ولا يفهم حاجات الزوجة في عالم الغرب، كما تضيف نقطة أخرى لذلك وهي: أنها تطمح في رجل ذي ثقافة وتعليم جامعي. وهذا ليس متوفراً في زوجها، لذلك فهي ترفض الاقتران وتطالب بالطلاق، وإلّا خرجت من البيت. الأب يؤيد ابنته في اعتراضها على نواقص الزوج، ولكنه في ذات الوقت لم يحاول ولم يقنع ابنته في أن ذلك ممكن أن يُكتسب بالعمل الدؤوب من قبلهما كليهما[1].

لم يحاول الأب إقناع ابنته بحججها تجاه الزوج، بل كان يؤكدها، ولكنه في ذات الوقت كان يرفض الطلاق، هذا الأسلوب لم يجد عند البنت إلّا الشعور بموافقة الأب وتأييده لها في حُججها والتي أعتقد بأنها مفتعلة.

أمام هذا الواقع المأساوي تعقّدت الأمور وتأزمت الأحداث، فالطفل يذهب صباحاً إلى الحضانة، وعصراً يرجع إلى بيت جده، والزوجة تذهب إلى

---

(1) ضعف الشخصية مثلاً له أسباب متعددة. بعضها من الداخل من أعماق الإنسان، وإذا سار الإنسان في طريق إصلاح ما أفسده الدهر في شخصيته فإنه ليس من قبيل المستحيل أن يحصل على ما يريد، كذلك النقطة الثانية وهي: أن يتفهم الزوج حاجة الزوجة المراهقة الناشئة في الغرب، وهو موضوع ليس من الصعوبة إدراكه واستيعابه على شخص ناضج عاقل، فإذا لم يتمكن الأب من إيصال ذلك إلى عقلية نسيبه فإنّ المعاهد المتخصصة الاجتماعية ممكن لها أن تقوم بهذا الدور مقابل بعض الدولارات. أما النقطة الثالثة وهو طبيعة عمل المهنة التي ممكن أن تتبدل بتبدل الظروف بعد أن يجد الإنسان فرصاً أخرى أفضل من الأولى. وهذا شيء معروف في عالم التجارة، فالبداية صعبة على الإنسان الذي لا يملك رأس مال تجاري لبداية حياته، ولكن وبمجرد أن يدخل إلى ساحات التجارة فإنّ أبواب الموفقيّة سوف تنفتح على الإنسان في دخول مضاميرها.

المدرسة وتعود متأخرة بحجة علاقاتها مع صديقاتها، وأنها تحتاج إلى راحة نفسية توفرها تلك العلاقات، وكانت الزوجة في معظم الأحيان ترفض بقاء الطفل معها، لأنها تشكو من ثقل المدرسة والواجبات... وهكذا بقيت الزوجة في بيتها منفصلة عن أهلها وتعيش على المساعدات الحكومية.

يطالب الأب من الزوج أن يوفر لإبنه نفقة مالية لمعيشته وشراء حاجاته، ويذعن الزوج لذلك بالقدر الممكن، ولكن الطفل تحول إلى قضية خلافيّة، وقضية مكلفة على بيت الجد، وعلى بيت الزوجة، فالجد والجدة والأخوال يرون أن مسؤولية تربية الطفل ليست من اختصاصهم وأنها يجب أن تعود إلى مسؤولية الأبوين، بينما ترفض الأم ذلك، وتقول لأبيها بأنه المسؤول عن الاهتمام بالطفل لأنه كان السبب في زواجها وإنجاب الطفل وما دام ذلك واقعاً فإنّ الطفل هو طفل الجد، إنه منطق غريب !!

استدعى الأب الزوج لمفاتحته في أمر الطفل، جاء الأب مسرعاً من ولايته ليجلس مع الأب ومع صديق العائلة الذي حاول بطريقته فتح موضوع العودة ثانية، وتقريب وجهات النظر، لأن الزمن كفيل أحياناً بتغيير الإنسان بعد أن يستشعر ماضيه ويفكر بأخطائه وجدواها، ولكن الرجل المسكين بقي على موقفه الصريح والمبدئي. وهو إذا ما أعلنت الزوجة توبتها وتأسفها على ما ارتكبته، وأعلنت عدم عودتها إلى طريق الانحراف، فإنه لا يمانع بالاقتران بها ثانية، ولكن الأب وعائلة الزوجة لم يستدعوا الزوج لهذا الأمر، وإنما استدعوه لكي يقنعوه في أن يأخذ ابنه إلى الولاية التي يعيش فيها، وبسبب بساطة الزوج وعاطفته تجاه ولده استجاب لمطالب أهل زوجته راضياً في أن يأخذ الطفل ليربيه عند زوجات إخوته في تلك الولاية[1].

تقبل الزوج الأمر مضطراً وسافر مع ابنه راجعاً إلى ولايته حيث ترك الطفل عند زوجة أحد إخوته لرعايته وذلك عندما يذهب لعمله صباحاً حيث

---

(1) ولم يفكر هذا الرجل المسكين في أن تربية الولد لا تتم وخصوصاً في أعمار الصغر إلّا من قبل الأم ذاتها، فلا أحد في الوجود له القابلية في تحمل أعباء الطفل وهو صغير غير أمه المباشرة.

يعود مساءاً ليجد نفسه أمام طفل صغير لا يعرف كيف يواسي بكاءه عندما يجنّ الليل ويطلب حضن أمه، جزع الرجل جزعاً كبيراً ولم يكن ذلك الجزع من إبنه، وإنما من عدم قدرته في السيطرة على بكاءه، وتمر ثلاثة أسابيع فيعود الأب ومعه الطفل إلى ولاية عائلة زوجته. بعد أن اتصل بهم تلفونياً وطلب منهم الحديث حول أمر الطفل فأخبره الأب بأن موضوع الطفل لا نقاش فيه، وأن من حق الأم رؤية طفلها، وصل الأب بعد سفر ست ساعات إلى بيت صديقه في (ديترويت) ومن ذلك البيت اتصل تلفونياً ببيت الأب السيد عبد المحسن، فلم يرد عليه أحد، واتصل ببيت زوجته السابقة فلم يرد عليه أحد، وهذا ما أزعجه وآلمه، فقرر الذهاب بنفسه إلى بيت الأب وهكذا فعل، وعندما وصل إلى العمارة التي يسكن فيها أهل زوجته رفضت أم زوجته فتح الباب الخارجية له، ولكنه اقنعها بفتحها فدخل البيت وجلس منتظراً وصول السيد عبد المحسن، وكان أثناء انتظاره، وأثناء حديثه مع أم زوجته بأن الجميع قرر عدم إبقاء الطفل عندهم ولذلك فلا فائدة من الانتظار.

فكر الزوج جيداً، وفكر بالطريقة التي يحقق بها مطلبه أمام هذا الواقع، وأمام عجزه عن الاعتناء بطفله في ولايته، ولذلك دبّر أمراً مخادعاً للتخلص من الورطة، حيث أخبر أم زوجته بأن ملابس الطفل في السيارة وعليه أن يجلبها له لأنه يحتاج إلى تبديل الحفاظة، وعندما خرج ركب سيارته وهب عائداً إلى ولايته تاركاً الطفل عند بيت جده، رجع الجد ليلاً ليرى الطفل أمامه فاستشاط غضباً وحاول الاتصال بالزوج، ولكن الزوج استبدل كل أرقام تلفوناته، وأسدل الستارعلى موضوع ولده وعلى زوجته السابقة.

لم تتوقف مآسي بيت السيد عبد المحسن عند هذا الحد، وإنما استمرت في التصاعد والتراكم والتعقيد ولم تكن أسبابها نابعة من وضع المجتمع الغربي وانحرافاته فقط، وإنما من خلال الوضع العائلي ومن خلال تصرفات الأب[1]. ويستمر وضع عائلة السيد عبد المحسن التي واجهت مشكلة طلاق

---

(1) التي تميل إلى الجانب العاطفي أكثر من ميلها إلى الجانب العقلي، وكما ذكرنا لم =

ابنتهم وما انتهت إليه من آلام ومآسٍ لتتحول إلى وضع الذكور من العائلة، وكما ذكرت للسيد عبد المحسن بالإضافة إلى ابنته الكبيرة ثلاثة أولاد أكبرهم في عمر الخامسة عشرة وقد أتعب الرجل جسده في السهر عليه وتعليمه اللغة العربية، وفتح أبواب الإسلام عليه ليكون رجلاً معطاءاً في عمله وفي دراسته[1]، وهذا ما تميّز به الابن الأكبر (مراد) فكان متحدثاً جيداً ومناقشاً منطقياً في أسلوبه الهادئ في المدرسة وفي أجواء أقرانه ومن يعرفه.

كان الأب أمام وضع ابنه وطموحه فيه أن يرى أن عليه توفير ما يمكن لكي يستمر ابنه في هذا الطريق، طريق التفوق وخصوصاً في المدرسة التي كانت الأم والأب يشعران بأن الطريق الوحيد في مستقبل الشاب في الغرب هو نيله للشهادة المدرسية، وكانوا يعتقدون أيضاً بأن الشهادة هي وسيلة أخرى من وسائل حفظ سلوك الإنسان واستقامته، كذلك كانوا يرون في أن الجانب المالي والاقتصادي لا يتحقق إلّا من خلال الشهادة الجامعية، وبذلك واعتماداً على تلك التصورات (وأسميها تصورات) دفع الأب والأم أولادهما إلى هذا الطريق محاولين التغاضي عن الكثير من ملابسات السلوك والاكتساب الأخلاقي من قبل مجتمع المدرسة ومجتمع الغرب، فمثلاً كان الأبوان يريان

= يكن السيد عبد المحسن الرجل الطيب صاحب الروحيّة الإيمانية يملك في أعماق ذاته ونفسه إلّا الخير والإيمان والتقوى، وكان ذا جوانب عباديّة يغبطه الكثير من الناس ومن المؤمنين عليها، ولكنه في ذات الوقت كان رجلاً عاطفياً تربطه بالعائلة وشائج العاطفة أكثر من وشائج التوجيه والتعقل، فكان يرى أن الابناء يجب أن يتمتعوا بما يشتهون وما يرون، وأن لا نمنع عنهم ما يرغبون ما دامت تلك الأشياء تدور ضمن المباحات، وهكذا وفر لهم كل شيء وبما يرون، وكيف يريدون، ولم يفكر بخطورة الإسراف في مطالب الإنسان وخصوصاً في الغرب، حيث أن الكثير من المباحات في الشريعة الإسلامية قد تكون مدخلاً إلى المحرمات، وبذلك تكون ما حللته الشريعة الغراء في بعض الأحيان على طاولة البحث قبل الإقدام عليها. التقرير التالي الصادر عن معهد البرت شانكر للتربية يقدم تأثير الصرف على الاطفال وتأثيرة تربوياً:
Revisiting the Age-Old Question: Does Money Matter in Education...? Bruce D. Baker.

(1) وهذا النوع من الأبناء الذين يفهمون اللغتين العربية والانكليزية ويفهمون الثقافتين فإنهم في غالب الأحيان يتميزون بقدرة ذهنية تمتاز على الأقران، وعلى الآخرين من الأمريكان بشأن الذكاء والاطلاع وسرعة البديهية.

وجوب أن يتحلى بما هو متعارف في تقليعات الغربيين المراهقين من الملابس وغيرها[1].

وللأمانة نقول: أن العائلة -خصوصاً الأب- كان حريصاً على اصطحاب أولاده معه إلى المناسبات الدينية والإجتماعية، وكان يحرص أيضاً على فتح آفاق التدين أمامهم وزرع روح الإيمان في نفوسهم، كذلك الأم لم تتوانَ في هذا الأمر، ولكن المشكلة هي القوة الاجتماعية الكاسحة للمجتمع الغربي[2].

وهذا ما حدث بالضبط لمراد الابن الأكبر للسيد عبد المحسن الذي اهتم واعتنى بتربية أولاده، ولكنه لم يُربّه، ولم يسلحه بكل ما يحتاج إليه الشاب في مواجهة سهام الغرب، فهو مثلاً حاول أن يُعلم إبنه الجانب الغبادي من الصلاة والأدعية، وقراءة القرآن، ولكنه لم يتمكن من أن يزرع في نفسه فلسفة تلك الممارسات وتأثيرها على النفس، كذلك حاول الأب أن يُعلّم ابنه الاهتمام بحضور المدرسة الإسلامية في عطلة نهاية الأسبوع، ولكنه لم يواصل معه عطاءات تلك المدرسة على نفسية الطفل، في ذات الوقت كان الأب يركز تركيزاً كبيراً على التفوق في الدراسة، ولكنه لم يعلّم ابنه لماذا أن طريق الإكتفاء الاقتصادي هو المدرسة والشهادة، مع أن هذا المفهوم خاطئ، لأن الإكتفاء الاقتصادي ليس هدفاً بحد ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل

---

(1) ولذلك كانت العائلة سخية جداً في صرف الأموال لإشباع حاجات أبنائهم من الذكور في الملابس وعطور الزينة وغيرها، وهو أمر مكلف جداً بالنسبة لهم في وضع تعيش فيه العائلة على شظف العيش ومصاعبه، ولكن كماليات الأولاد تأتي بالنسبة لهم أولاً إعتقاداً منهم أن ذلك سوف يحقق ضمان أولادهم دينياً ودراسياً.

(2) وخصوصاً في المدارس الثانوية وهي أقوى مراتٍ ومرات من التربية البيتية التي لا تستند على جوانب قوية ورصينة ووضوح من الناحية العقائدية والسلوكية، وفي عالم الغرب يكون الإنسان الملتزم في موقع الدفاع تجاه تربية أبنائه، لأن تيّار المدرسة الثانوية تيار هائل في قوته وعنفوانه وقدرته على اكتساح الكثير من المبادئ التي تبنيها أسس البيت. فحياة الشباب في الغرب مملوءة بالانفتاح على الحياة وبهارجها وملذاتها، بحيث يصعب على الشاب المراهق أن يقاوم تلك المغريات التي تبدأ بالعلاقات الناعمة مع الجنس الآخر، ثم الخروج إلى المطاعم والسفرات وأماكن المتعة الكبيرة، ثم أجواء الرياضة وأجواء الفعاليات وغيرها من الأشياء التي تملأ تفكير الشاب المراهق، وتأخذ عليه لُباب أفكاره.

الإستقرار الفكري والإستقرار العائلي[1].

ولو حاولنا أن ننطلق مما قلناه بشأن عائلة عبد المحسن فإننا سننفتح على مثال واضح من أمثلة القصور في إدراك واقع الغرب والاكتفاء بما تعودناه في الشرق لكي نعتقد بجدواه في تربية أطفالنا في الغرب.

غالباً ما كنا نرى تبرّم الأب من وضع ابنه الذي دخل مراحل المراهقة في سلوكه، وفي شكله وفي علاقاته، وكان الأب يرى بمنظار يأخذ اتجاهاً

---

(1) وهكذا نستمر لنرى أن الأب أو الأم إذا لم يكونا مسلحين بوسائل المعرفة وبوسائل مواجهة الغزو الفكري للحضارة الغربية فإنّ ثغرات الانحراف تبقى موجودة، مع أن الكثير من الآباء الملتزمين الذين تلقوا ثقافتهم في مجتمع الشرق الأوسط لم يكونوا على إدراك ومعرفة بالتحديات التي تواجه الأبناء في الغرب وهم في سن المراهقة، فالغالبية من الآباء يعتقدون بأن سبب استقامتهم وهم في عالم الشرق تكون هي نفسها الضمان لاستقامة أبنائهم في الغرب، ولو ضربنا مثلاً بسيطاً وقلنا: أنّ الطفل في الشرق يكتسب سلوكه المستقيم من خلال معايشته لممارسات أبويه من الصلاة والصوم والأخلاق وغيرها، وينشأ الطفل وهو بعد حدثاً في العمر يتعايش مع تلك الممارسات ويكتسبها من دون وعي منه، ثم تبدأ بالثبات والتجذر في أفكاره كلما يتقدم عمره في ذلك البيت، وكلما رأى مصداقيتها في الخارج مثل الشارع والمدرسة والجامع وبيت الأصدقاء والأقارب وغيرها، ولو افترضنا جدلاً أن سلوك الشارع والمدرسة والأقارب في عالم الشرق لا يمارس ما يمارسه الأبوان. فإنّ أفكار البيت في ممارسة التعاليم الإسلامية سوف لا تكون بتلك الدرجة من التثبّت والتجذّر مما هي عليه في المثال الأول، ولو افترضنا جدلاً أيضاً بأن الشارع والمدرسة والأصدقاء والأقارب يمارسون سلوكاً مخالفاً لسلوك البيت في الشرق مثلاً، ولو مُنعت كل الشعائر الإسلامية في الشارع، وأغلقت الجوامع وأشاعت المدرسة سياسة الإفساد فإنّ الطفل سوف ينشأ بحالة متأرجحة ما بين الانحراف وبين الالتزام بأجواء البيت، لذلك فليس بمستغرب في أن تجد أن الحكومات الشرقية التي حاربت الإسلام وممارساته وأزالت المظاهر الإسلامية من الشارع، وتحدّت مناهج التربية الإسلامية نحو التحلل والتغريب، إن ناتج تلك الدولة من شبابها أمر لا يختلف عما هو موجود في الغرب.. وهكذا نستنتج أن على الأبوين أن يدركا بأن وسائل هداية الأولاد وتوجيههم في عالم الشرق لا تكفي وحدها لهدايتهم في عالم الغرب، بل على الآباء أن يعلموا أن المرض الواحد لو انتشر في مجتمع ما فإنّ علاجه بنوع واحد من المضادات الحيوية، ولكن إذا انتشر أكثر من مرض واحد فإنّ معادلة إعطاء جرعة الدواء أو جرعة الوقاية ستكون معقّدة بدرجة أكبر مما هو في الحالة الأولى، وتصبح القضية ليست قضية إعطاء مضاد حيوي لكل مرض، ولكن شكل التركيبة الدوائية ومحتوياتها ودقة تقديمها هي القضية الأكثر حساسية لحماية الصحة العامة.

واحداً وهو خلفيّته التي نشأ هو منها في الوقت الذي لا يتمكن في أن يدرك الخطورة عندما تستعمل وصفة طبية واحدة في أزمان مختلفة وأماكن مختلفة، وهكذا تبدأ معاناة الأب ثانية مع ولده الذي كان يضحي الكثير في سبيل سعادته وراحته[1].

تستمر المعاناة ويبدأ الابن الأكبر مراد بالتأخر ليلاً ثم شرائه آخر تقليعات الملابس ومعاشرة أصدقاء السوء، ثم الامتناع عن حضور الجوامع وزيارات الأصدقاء، حتى يصل الأمر به إلى أنه يعيش في بيت أبيه كسيد، وأبوه وأمه خادمان له يوفران له ما يحتاج وما يرغب، فالأم في علاقتها مع أولادها تتصرف بطريقة رد فعل على تصرف الأب تجاه ابنته، فهي تغدق على الذكور من الأولاد من الحنان والدلاعة والمحبة والخدمة بدرجة لا يمكن تفسيرها أو معرفة أسبابها، مما سبب في خلق فجوة ما بين الأب وبين ابنه، واضطر الأب وبسبب تحالف الإبن مع الأم إلى ترك البيت غاضباً، والإبن يصيح خلفه سوف لن أفتح لك الباب إذا رجعت ثانية.

ثم نعرج ثانيةً على تصرفات الأم في دلاعتها لأولادها من الذكور، وأسباب ذلك الموقف[2]، وأرجو من القاريء أن لا يفهم أنني أعتقد في أن

(1) الذي فتح أمامه ميزانية البيت للصرف على ملابسه ومأكله وكماليّاته ومن دون حدود، كما كان مع ابنته نادية، ولكن الشعور واحد والتطور واحد وهو الاعتقاد بأن الصرف على العائلة بهذه الدرجة سوف يحميهم من عُقدة الفقر التي هي أساس التأخر في الحياة وفي الدين، ولكن الأولاد غالباً لا ينظرون بهذا المنظار، وإنما يرون في أن الآباء حين يبذلون أموالهم في سبيل راحة أبنائهم ما هي إلّا نوع من الواجبات التي ألزموا بها أنفسهم، وأنها مشكلة الآباء لا مشكلة الأبناء. وإذا لم يلتزم الأب بذلك فإنّ تهديد الابن لأبيه حافز بمغادرة المنزل والذهاب في أرض الله الواسعة، وهذا معناه نهاية العالم، وخصوصاً إذا سقط الولد في حضن المخدرات الخطرة، لا بأس بالاطلاع على التقرير الخاص الذي اعدته الجهات المتخصصة:

Teens, drugs & violence, A special report, 2007 Office of national drug control policy.

(2) إن أحد إخوة الأم كان قد أصيب بعاهة في صغره، وكانت الأم آنذاك لكي تخيف أو ترهب أولادها فتقول لهم أن يستقيموا في سلوكهم لكي لا يضربكم أبوكم وتصابون بنفس العاهة، وبقيت هذه المشكلة في عقل الأم حقيقة جليّة بحيث كانت ترفض كل أنواع =

ضرب الأطفال هو الطريقة التأديبية التي يجب أن تُتّبع من قبل الآباء لتوجيههم، وإنما أقول: أن بعض البيوت عندما تسود فيها أجواء العنف يتوقع الطفل بأن الضرب هو أحد وسائل الردع، وما دام ذلك لم يحدث فمعناه أن الاستمرار بالمخالفة مستمر، نعم إذا أدرك الطفل أن الضرب حالة غير طبيعية، وإذا أدرك ذلك بوضوح وأن الطفل الذي يضرب لكي يرتدع عليه أن لا يقبل ذلك، وعليه أن يبدل سلوكه لكي يكون الكلام هو الرادع الوحيد قبل أن يضطر الأبوان إلى درجة أكثر خشونة، ولكن ذلك لم ينطبق على عائلة السيد عبد المحسن وإنما حدث العكس تماماً، فالأولاد الأكبر، ثم الأصغر منه بسنة بدأا ينتفضان على واقع البيت، وواقع الصراع ما بين الأم وبين الأب، بين الأب وبين الذكور من الأولاد. . . بين الأم وبين البنت، كل ذلك جعل الجو واقعاً معقداً وصعباً.

فالمفاهيم الإسلامية التربوية التي تعلّمها الذكور من الأولاد لم يجدها على واقع بيتهم، فالأب في معظم حياته والأم كذلك يعيشون على المساعدات الحكومية مع قدرة الأب على الدخول في معترك التجارة أو الوظيفة، كذلك الحال مع الفهم الواسع للإسلام الذي لا يفهم الأب أو الأم منه إلّا جوانب محددة، هذا بالإضافة إلى ضعف موقف الأب أمام الأم ونزواتها، وفوق كل ذلك سكوت الأب عن تصرفات ابنته في اتخاذها عشيقاً آخر (ولو على المستوى النظري) ولكنها أي البنت لا زالت تحتل نفس منزلة الحب في قلب أبيهم.

اجتمعت كل تلك العوامل في ذهنية الأولاد الكبار 17 أو 18 سنة لتنفجر بشكل لم يتوقع أحد أن تكون بهذه الصورة من الانحراف وخصوصاً

= العقاب للأولاد. وهو ما شجع الذكور من الأولاد على الأمن من العقوبة من قبل الأب، أنا أقول هنا في الوقت الذي كانت النزاعات فيما بين الذكور وبين أختهم الكبيرة تصل إلى مراحل متقدمة من الضرب وكسر الأبواب والصحون وغيرها، وهكذا تربية سوف يستغرب عندها الأبناء إذا وجدوا أنهم في مأمن من عقوبة موجعة، حتى وأن كانت بسيطة.

من قبل الابن الأكبر مراد[1]، أما الابن الآخر 17 سنة (جلال) فقد قبضت عليه السلطات الحكومية متلبساً بتجارة المخدرات[2].

ومما يؤسف له أن الأب لم يدرك ولم يتحسس ولم ينتبه إلى كل ما حدث له ولعائلته الذي قد شارك هو في صنعه وفي حدوثه، إنه يلعن كل شيء إلّا نفسه، ويلعن المجتمع ويلعن صديقه الحميم ويلعن الظروف والجالية، ولكنه يستثني نفسه ويرى في أن تفكيره هو الصحيح وأن الآخرين مخطئون، وهو ما دعاه إلى تحديد علاقاته مع الجالية وصار حساساً من أي كلام أو حديث يرى فيه انتقاداً له أو لعائلته.

تشخيص المشكلة:

- اختيار شريك أو شريكة الحياة الزوجية قضية أساسية للإنسان الذي يرمي إلى هدف أكبر في حياته، وتزداد الأهمية في عالم الغرب عما هو عليه في الشرق، وذلك لأن الزوجين المسلمين في معيشتهما في الغرب يكون الاحتكاك أكبر فيما بينهما بسبب غياب القبيلة أو العشيرة أو العائلة الكبيرة، وهذا معناه أن الاحتكاك الدائم يولّد اطلاع أحدهما على الآخر بصورة أكثر، ولذلك تقل نقاط الاحترام إذا ما كان هنالك اختلاف، وهذا ما وجدناه في قضية عبد المحسن، فقد تكون زوجته من محيط ومن خلفيّة إجتماعية تختلف عما يملك هو من محيط عائلي.
- العاطفة التي يفيض بها الأب الحنون على أولاده ولّدت في نفسه حالة من العمى أو التعامي عن أخطاء أولاده، خصوصاً ابنته نادية،

(1) صار من ذوي العلاقات مع الأخريات الساقطات، فغالباً ما يُرى في عمارة ابنتهم وهو يحتضن إحداهن أمام مرأى ومسمع الآخرين من أصدقائهم.

(2) وبيعها إلى أقرانه من المراهقين العرب المسلمين في مناطق سكناهم وحكمت عليه المحكمة لمدة قصيرة لأنه لم يبلغ السن القانونية للحكم، ولكنه أرسل إلى مدرسة إصلاحية لتوجيهه وتربيته في ترك هذه التجارة الخاسرة.

كذلك الحالة مع الذكور من الأولاد فإنّ العاطفة التي كانت الأم تفيضها عليهم غالباً ما تتحول إلى عامل سلبي في تربيتهم.

- سلوك الإنسان قد تظهر بعض دلائله منذ الصغر، وعلى الآباء أن يكتشفوه. وذلك فإنّ اكتشاف الأب حالة ابنتهم المتمردة كان في محله وإرسالها إلى بلدها العربي كان خطوة ناجحة جداً، ولكن من الخطأ الإتيان بها ثانية إلى الغرب.
- في عالم التربية -العالم غير المحدود- يجب على الآباء أن يسمعوا آراء الآخرين تجاه توجيه أولادهم، ولكن ليس بالضرورة تطبيقه، وأن يدركا أن التربية عالم واسع يحتاج المرء إلى آخرين وناصحين لتقويمه.
- عندما تتعقد حالة العلاقة ما بين الزوجين، على الأب أو الأم للبنت أو للولد أن لا يقفا إلى جانب ابنهم أو ابنتهم، وإنما يعاملان كلا الطرفين وكأنهما أولادهما وهذا لم نلاحظه في تفكير السيد عبد المحسن.
- في تجربة الزواج المبكر يجب على أب أو أم الولد أو البنت أن يستمرا في التوجيه لكلا الزوجين، وبشكل مستمر ويومي، حتى يصلا إلى عمر متقدم مثلاً أواسط العشرينيات وهذا لم نلحظه في تجربة الأب عبد المحسن مع زواج ابنته نادية.
- حالات الضرب والعنف التي كانت تدور في داخل البيت ما بين الأولاد حالة غير طبيعية ولدت في نفس الأولاد -خصوصاً- وضعاً ميالاً إلى الانتفاض والتمرد. وهذا يجب بالضرورة أن لا تكون أسبابه سلوكية، بل قد تكون نفسية بيولوجية كان يجب على الأبوين علاجهما طبياً[1].

---

(1) ففي الولايات المتحدة توفى 1730 في عام 2008 بأسباب تتعلق بالعنف، بمعدل 233 لكل 100000 طفل أمريكي. فحالات الوفاة الناتجة عن العنف ضد الأطفال معروف انه =

- حينما يدرك الأب بخبرته أن هنالك صعوبة في السيطرة على أولاده في التوجيه وهو يعيش عالم الغرب، فإنه كان يجب أن يفكر بخيار الرجوع إلى الشرق، أو أن يجد له بلداً عربياً أو إسلامياً يحفظ به أولاده من الضياع، وللأمانة نقول: إن السيد عبد المحسن كانت هذه الفكرة تراوده منذ زمن، ولكنه كان يرى صعوبة المعيشة في بلدان الشرق إذا لم يتوفر مجال معيشي، وهذا ما جعله ينتظر لحين ما حلت به المشكلة.
- إنه لمن الخطأ أن تكون مواقف الأب تجاه تربية أولاده قاطعة مائة بالمائة، وإنما عليه أن يتخذ بعض المواقف، وأن يسلك طريق الإلتزام الثابت ومن دون تردد، مثل: إتصال وتعرف ابنته على شاب من خلال الانترنيت فكان عليه أن يكون موقفه من نادية واضحاً جداً، وبشكل لا مهادنة فيه من الناحية الفكرية الإسلامية، أما إذا تكلمنا على الناحية الإصلاحية فإنه يجب أن يكون هنالك خطة، فالسيد عبد المحسن لم يظهر فداحة العمل من قبل نادية في تعرّفها على شاب وهي محصنة، حتى في داخل نفسه على أقل التقادير.
- على الأب أن يتفاهم مع زوجته في شؤون التصرف مع أولاده وأن يراعي في ذلك مستقبلهم التربوي أولاً، وأن لا يستسلم لعواطف الأم ورغباتها، لأن ذلك سيكون مدعاة للتفسير الخاطئ من قبل الأولاد، ومع معرفتنا بالسيد عبد المحسن فقد حاول مراراً وتكراراً أن يدخل في مساحة تفاهم مع الزوجة للوصول إلى صيغة مقبولة لتربية الأولاد، ولكن كلا الطرفين كان في وضع متأرجح لتفهم المشكلة.
- إذا حدث انفصال في عائلة ما كما هو حال البنت نادية فإنّ الأب

= لا يمكن حصرها بشكل دقيق، حيث يقدر إن 60 إلى 85% من حالات الوفاة ترجع إلى سوء المعاملة ولا يتم تسجيلها في شهادات الوفاة.

والأم لكلا الزوجين يجب أن لا يقطعوا علاقاتهم مع زوج ابنتهم - كما نحن في هذا المثال- أو مع زوجة ابنهم -كما في أمثلة أخرى- خصوصاً إذا كانت العائلة قد أنجبت أولاداً، وفي مثالنا الحالي كانت قطيعة عبد المحسن مع زوج ابنته قد زادت الطين بلة، وعقّدت العلاقة فيما بين الطرفين، وأبعدت احتمال عودة الزوجين.

- تجارة المخدرات والعمل بها خطرة جداً وحينما يمارسها الشباب فإنه لا بد وأنه كان وقد تعدّى مراحل سابقة مختلفة في الوصول إلى درجة الإتّجار بها، وعلى الأب أن يدرك أو يتدارك الأمر منذ اللحظات الأولى لسلوك ابنه وفي وقت مبكر جداً، بينما نرى في السيد عبد المحسن سلوكاً يدل على تسامحه وعدم اهتمامه، بل عدم معرفته بسلوك عائلته، ولا ندري معلوميّة الأم عن ذلك أو لا[1].
- حالة الفقر والعوز والبقاء على المساعدات الحكومية في المعيشة تخلق في نفوس الأولاد حالة دونيّة مقارنة لما يملكه الآخرون، وهو ما يجعلهم يعيشون في أجواء التمرد على المجتمع وعلى أخلاق البيت، وهنا -وفي مثالنا- بدا لنا واضحاً أن السيد عبد المحسن وطيلة بقائه في الغرب اعتمد في معيشته على مساعدات الدولة، إلّا في بعض السنين التي تمكن من إيجاد عمل له.
- التصلب في الرأي ورفض اقتراحات الآخرين وخصوصاً في مشاكل التربية قد لا نبالغ إن قلنا إنها السيف القاتل لنمو الأجواء المنفتحة التربوية والاسلامية، وهذا لاحظناه في مثالنا في رفض رب الأسرة في الاستماع إلى آراء صديقه وتوجيهاته.

---

(1) Youth Gang Drug Trafficking James C. Howell and Debra K. Gleason. U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention.

العـلاج:

- عواطف الوالدين تجاه أولادهم سلاح ذو حدين يجب على الآباء أن يحددوه نحو هدف التوجيه والإرشاد، وأن تكون العاطفة ليست هدفاً بحد ذاتها، وإنما وسيلة لهدف، ذلك الهدف هو التربية... من يشعر من الآباء بأن عاطفته تجاه أولاده غير متزنة عليه أن لا يستعين بآرائه فقط. لتوجيه أولاده، وإنما يجب عليه الاستعانة بآراء الآخرين أيضاً.

- الأبوان اللذان يغرقان في العاطفة تجاه أولادهم يجب عليهم أن لا يُكثروا من إنجاب الأولاد، لحين ترشيد تلك العاطفة وتملّك العقل بحيث يكون هو الحَكم، وأن العاطفة تقع تحت إمرته.

- الآباء الذي يتحسسون من أولادهم أولى طرق وعلامات التمرد، عليهم أن يجدوا طريقة مثلى خاصة بكل حالة من الحالات، وأن يفكروا جيداً في أن هذه الحالة من العصيان على توجيهات البيت قد تطول وقد تزداد بتقدم عمر الطفل.

- إرسال الأولاد إلى الشرق عملية جيدة، ولكنها تتطلب ظروفاً خاصة قد لا تتوفر دائماً، منها: هو ضمان رعاية الأطفال عاطفياً كما هي موجودة في بيتهم الأصلي، ومنها: الانسجام مع الجو الجديد. ومنها: ضمان التوجيه الأخلاقي والديني.

- أن يميز الأبوان الطفل الأول على الآخرين من الأولاد قضية خطرة، ذكراً كان أم أنثى، لأن الأطفال الآخرين يتأثرون بأكبرهم سناً، فالمتميز هنا يتأتى من إعطائه القيادة التربوية، لا القيادة في الاهتمام فقط.

- إهتمام الأبوان بأصدقاء ابنتهم وابنهم لأن للصديق تأثيراً كبيراً.

- أن لا يأخذ الأبوان جانب ابنهم وابنتهم المتزوجة إذا وجدت هنالك مشكلة مع الزوج، لأن ذلك يعقّد المشكلة ويحدث شرخاً كبيراً في حلها.

- أن لا يترك الأبوان إبنهما حتى بعد الزواج، وأن يستمرا في توجيهه، لأن مرحلة ما بعد الزواج لا تقل خطراً عما هو موجود في فترة العزوبة.
- أن تكون للأبوين حدود في التوجيه، تلك الحدود هي الجوانب الشرعية، فإذا تعدّاها الأبناء فإنّ الموقف يجب أن يكون في غاية الوضوح من قبل الآباء مع التفصيل لسبب التشنج والألم.
- أن يتجنب الأبوان الضرب في البيت إلّا في الحالات الضرورية جداً لأولادهم، لأن ذلك يولّد حالة من حالات العنف فيما بين الأبناء.
- الحب المتوازن ما بين الزوجة وبين الأبناء هو معادلة يجب أن يحرص الرجل أن يطبقها بكل عدالة، لأن ذلك قد يخلق حالة تأزم فيما بين الزوج والأولاد.
- أن لا تقدم العائلة مصلحة الدراسة والتحصيل الأكاديمي على الجانب السلوكي والديني، ومن الخطأ أن يعتقد الآباء بأن الوسيلة الوحيدة لمستقبل أولادهم هي المدرسة. وعندها يرسلون أولادهم إلى المدارس التي تكثر فيها مظاهر الانحراف وهم مضطرون.
- أحذّر جميع الآباء الملتزمين دينياً من إرسال أولادهم إلى المدارس الثانوية، إذا لم يتأكدوا من إمكانيتهم الروحية والفكرية في الخروج من مأرق الانحراف، معنى قولي بالتأكيد هو مدى الجهد الذي صرفه الأبوان في طريق هدايتهم وتوجيههم، فإذا وصل عمر الأولاد إلى المرحلة الثانوية، ووجد نفسه بأنه لم يصرف معهم جهداً في التوجيه، فالأفضل أن يجد أسلوب آخر في تعليمهم العلم الأكاديمي... المدارس الإسلامية حتى وإن كانت ذات مستوى أكاديمي منخفض فإنها أسلم وأضمن لمستقبل الأولاد من المدارس الثانوية الحكومية.

- في مرحلة المراهقة من الخطأ أن يترك الأبوان أولادهم أمام شبكة الانترنت وحدهم من دون وجود رقابة وتوجيه.
- على الأب أن يتحول إلى أب ثانٍ لزوج ابنته، وأن يعامله بطريقة قد تفوق حباً ومودةً لما يعامل به ابنته، ونفس الشيء ينطبق على الجانب المعاكس، أي على الأم أن تعامل زوج ابنتها وكلها شعور بالأمومة تجاهه.
- على الآباء الذين يعيشون في الغرب أن يُتعبوا أنفسهم في طريقة رفع مستواهم الثقافي، التي من خلالها يتمكنون من فهم واقع الغرب ومداخلاته. وهو ما يفسح المجال أمام توجيه أولادهم. وعلينا أن نعلم أن مستوى الثقافة للأب الذي يعيش في الغرب يجب أن يكون في مراحل متقدمة عما هو في الشرق، ومن يجد نفسه مقصراً في ذلك عليه أن يجهد نفسه في هذا الطريق.
- و أخيراً دائماً الاستعانة بالعقلاء والمهتمين بشؤون التربية قضية رابحة للآباء في توجيه أبنائهم.

التجربة السادسة



أنا وابنتاي

أنا وابنتاي

عندما قرر الأستاذ (أمجد) أن يرحل إلى عالم الغرب كان قراره مستنداً على عوامل عديدة أهمها: الشهادات الجامعية التي يحملها، إذ كانت عائلته تتكون من أبناء أربعة وكان قراره مستنداً على مفاهيم الاسترخاء التي يتمتع بها الغرب من الأجواء المنفتحة، ووسائل الراحة.

وكان أمجد قد تجول في بعض من الأقطار الغربية، حتى حلّ به المقام في كندا، عندما وجد أن الأجواء ستكون مناسبة لتحقيق الهدف الذي سافر من أجله.

حل به المقام في إحدى المدن الكبيرة في غرب كندا كان أولاده قد توجهوا حسب ما كان مقرراً لهم في الالتحاق بالمدارس الحكومية، وكذلك ابنتاه الصغيرة بعمر السابعة والكبيرة بعمر السادسة عشرة، ووجد الرجل نفسه في دوامة العمل ودوامة إيجاد لقمة العيش لهذه العائلة الكبيرة. وكان في ذات الوقت ما يشغل باله هو وضع أولاده الأخلاقي والديني، وازدياد حرصه على ذلك، فكان يرافقهم إلى المناسبات الدينية والإسلامية والمدارس في عطل نهاية الأسبوع.

سار الجميع في خطة هادئة بعيدة عن المشاكل. وهو ما كان متوقعاً من عائلة ذات أب حريص مثقف متدين، ولم تكن الجالية لتفتقدهم في مناسبات الجامع وفي الصلوات، فكانوا السبّاقين لإقامة الشعائر ورفع الأذان وغيرها من الممارسات التي يمارسها المسلمون، أما ابنتاه فإنّ الكبيرة بقيت على حجابها والتزامها بالزى الإسلامي مع صعوبة ظروف الغرب، ولكنها على أية حال دخلت المدرسة الثانوية، ثم تخرجت وبقيت على حجابها، ولكن

المشكلة هي أن شكل حجابها تحول بصورة يكاد المرء يرى فيها نوعاً من المودة والشكليات، وكانت زوجة السيد أمجد بسيطة[1].

هكذا نشأت البنت الكبيرة على منوال أمها في نظرتها إلى الحجاب، وإلى المظاهر الاجتماعية التي تسودها ممارسات التباهي والتظاهر والتفاخر، أما البنت الصغيرة فإنّ أمها كانت تكرر دوماً وهي في سن ما قبل التكليف بأنها لا تفرض على ابنتها الحجاب، وإنها حرة في اختيار ذلك أو عدمه، وهكذا تنشأ البنت الصغيرة وتكبر وتدخل في سن التكليف وهي رافضة إرتداء الثوب الإسلامي.

في هذه الأثناء يكبر الأولاد الذكور أيضاً، وتبدأ مراحل المدارس الثانوية وتبدأ معهم علاقاتهم مع الطالبات في تلك المدرسة، وهكذا يصبح بيت السيد أمجد وبمرور الوقت عبارة عن تجمع للشباب والشابات يدخلون ويأكلون ويضحكون ويشاهدون التلفزيون، ويجلس الجميع في ذلك البيت البنات والأولاد ويتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث[2].

يصل الابن الأكبر إلى الجامعة وهنالك يتعرف على فتاة تصبح صديقته في حله وترحاله في البيت وخارج البيت، ويسلك إخوته الصغار نفس المسلك. وهم لا زالوا في مرحلة الثانوية، أما البنت الكبيرة فإنها وبسبب خلفيّتها الإسلامية عندما كانت في الشرق الأوسط لم تكن منساقة مع تصرفات إخوتها في علاقاتها مع الجنس الآخر. فيما نشأت الأخرى الصغيرة على نفس

---

(1) ليست ذات شهادة، وإنما امرأة محجبة ميّالة بشكل ملفت للنظر إلى المظاهر والاختلاط الاجتماعي، وإقامة علاقات مع الأخريات من نساء الجالية طلباً لقضاء الوقت والاستئناس. أنظر التقرير الخاص بالأم المثقفة المتعلمة وتأثيرها على نمو العائلة ومستقبل الاجيال:
Mother's Education and the Intergenerational Transmission of Human Capital: Evidence from College Openings. Janet Currie and Enrico Moretti.

(2) وكانت الأم في هذه الحالة الخادمة التي تطبخ وتنظف وتملأ بطون أولادها وبطون الآخرين بالطعام الجيد اللذيذ الذي كانت تحرص على طهيه لأولادها وأصدقائهم.
The Real Root Causes of Violent Crime: The Breakdown of Marriage, Family, and Community. Patrick F. Fagan.

منوال إخوتها وذلك عندما تفتّحت شخصيتها على واقع الغرب، وواقع المدارس الثانوية وعلى ممارسات إخوتها الكبار.

يتقدم الكثير من الشباب المسلم لطلب يد البنت الكبيرة ولكن الأم غالباً ما كانت غير منسجمة مع الحالة الإسلامية الفكرية القائلة (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبيرا، رواه الترمذي وغيره) وإنما كانت تهتم بالأمور الشكلية، وخصوصاً الجانب المالي، وجانب الشهادة والشهرة والوظيفة، ولذلك فلم تُوفّق البنت في زواج مبكر وهي في مقتبل عمرها.

تمضي الأيام ويفتح الله على الأب باب رزق لإدارة عمل تجاري مربح، وتعمل ابنته الكبيرة معه في دائرته في حقل الكومبيوتر وتطوير الأنظمة، وكلما تزداد الرغبة في الأبهة تزداد معها مظاهر الابتعاد عن الإسلام، حتى وصل الأمر بهذه العائلة إلى درجة من التسيّب وممارسة الموبقات بشكل علني ومن دون رادع إلّا من قبل الإبنة الكبيرة التي بقيت نوعاً ما.

أما الأب فانه انساق مع أجواء عائلته بشكل واضح، وأصبح لا يملك في البيت رأياً في اعتراضه على مظاهر الانحراف الفاضحة، هذا في المرحلة الأولى، ثم تتطور أخيراً إلى درجة من القبول بالأمر الواقع، ثم مساندته وعدم الاعتراض، بل أحياناً الدفاع بشكل خفي عن ما يتم ممارسته في البيت[1].

تستمر حالة السيد أمجد بالتدهور الفكري في نفس الوقت الذي يفتح الله عليه أكثر من باب من أبواب الرزق في عمله في مجال الكومبيوتر،

(1) فصديقات أولاده يأتين إلى البيت وينزوين مع أولاده في غرفهم، وهو لا يرى في ذلك حدثاً يهز بعض مشاعر المبدئية التي كانت متأصلة في نفسه فيما قبل، بل الأدهى من ذلك إنه يبرر ما يقوم به أولاده ويعتبره نوعاً من العصرنة التي يجب على المسلمين أن يدركوها، وكان يقول إن الكبت الجنسي لهو أخطر الأمراض النفسية على وضع أولادنا، لذلك فإنه لمن الضروري أن نزيل هذا الكابوس وذلك بالسماح لأولادنا في إقامة علاقات مع الجنس الآخر.
Boy-Girl Relationships In Islam, Getting Serious About Boy-Girl Relationships in Islam. The Calif Spesks.

وتصبح ابنته الكبيرة هي السيدة الأولى في تسيير شؤون عمله، بينما يتحول هو إلى عامل يتحرك كما تريد وكما تقترح.

الأخطر من ذلك هو قبوله، بل سروره بما وصل حاله إليه إلى الدرجة التي أصبح بها يعمل صباحاً ومساءاً لجمع الأموال وملأ بطون آخرين لا يرون في الحياة إلّا ملذاتهم وعربدتهم التي وفرتها لهم أجواء الغرب المليئة بالموبقات والانحرافات التي ما كانت عائلة السيد أمجد تراها إلّا مظهراً طبيعياً وحقاً لهم يستوجب الإستمرار في الاستزادة بما توفر لهم تلك الأجواء من طرق جديدة على عالم اللذة غير المتناهية[1].

يتقدم أحد صانعي المال خطيباً لابنتهم الكبيرة فلم تتوانَ الأم أو الأب عن ذلك، ولم تعترض البنت أيضاً ظناً من الجميع أن السعادة هي سعادة المال والثروات. وما أكثرها في عالم الغرب، وتتم الخطبة ثم العقد الشرعي ويدعى بعدها إلى حفلة العرس ضمن دائرة معارفه وأصدقاؤه المقربين الذين فوجئوا بأن أولاد السيد أمجد قد جاؤوا بصحبة صديقاتهم وهن نصف عاريات ليحيوا حفلة ماجنة لا تختلف في مظهرها عن مظهر الأجانب في الخلاعة[2].

تحين ساعة التحاق الزوجة بزوجها، يقرر الأب والأم والأولاد أن عليهم أن يلتحقوا بأبيهم في الولاية الأخرى التي تقع على الجانب الشرقي من كندا. حيث يعمل الزوج تاجراً معروفاً في مجال الأنسجة والقماش، وتخيّم على الأم سحابة من الكآبة والألم أمام هذا التغيير الكبير في نسيج العائلة، حيث

(1) فقد كان أصدقاء الأب عندما يزورنه سابقاً يجدون بيتاً مملوءاً بالدعاء والصلاة وعلاقات الإيمان، ويجدون المظهر الذي يملأ النفس اطمئناناً وراحة، أما الآن فعندما يدخل الزائر بيتهم يجد أن كلاً من أفراد عائلته قد طوق عضده عنق عشيقته، وقد نقل البعض من أصدقاء السيد أمجد القدامى الذين كانوا يعيشون معه على نفس الهدف هدف الإسلام وهدف التغيير، وممن سايروا أحداث بناء الشخصية في ظروف الشرق الأوسط قائلين: بأن بيت السيد أمجد تحول هنا إلى بيت ملؤه الفسق. وهكذا صار وهكذا أصبح.

(2) Economic Factors and Relationship Quality Among Young Couples: Comparing Cohabitation and Marriage. National Center for Biotechnology Information..Jessica Halliday Hardie and Amy Lucascorresponding.

يقرر الأولاد والبنت الصغيرة البقاء في مكانهم بينما الأب والأم يلتحقون بإبنتهم الكبيرة لصعوبة قدرتهم على فراقها وحيدة، وقبل أسابيع من يوم المغادرة تطلب البنت الكبيرة من والديها مصاحبتهما للاطلاع على شكل البيت الجديد لزوجها في الولاية الشرقية التي سوف تسكنها مع زوجها، وعندما يصلون هنالك لم تكن مفاجئة العائلة والبنت من مظاهر الفساد في بيت الزوج من قبيل الخمور وغيرها، وإنما فاجئهم أن الزوج لا زال على علاقات مع بنات الهوى، وأنه سوف يقرر بعد الزواج فيما إذا كان سيتخلى عنهنّ أم لا.

وقع الأمر على العائلة وقع الصاعقة وتبين لهم أن الشيء الذي كانوا يركضون خلفه ما هو إلّا سُراب ليس له أثّر عندما يصله الإنسان حاسراً، فالمظاهر والثروة والشهرة هي أدوات ذلك السراب. وهي التي تبدو للناس بريقاً يسلب العقول ويغير النفوس ومن لا يميز بين السراب وبين الحقيقة يقع في هكذا مصائب، فقال الأب لابنته وهو يتأوه ويستعد للرحيل إلى مقاطعته: قرري ما ترينه مناسباً فإذا كان هذا الرجل هو خيارك فعليك البقاء. بكت البنت طويلاً وشعرت أن الطعنة التي سددت لها طعنة نجلاء، وعرفت وأدركت في أن الانحراف الذي ارتضته هي لإخوتها وبيتها قد وصل إليها وهي الآن تكتوي بناره وتحترق بلهبه فأجابت أباها بأنها قررت الطلاق من زوجها.

وفعلاً رجعت العائلة، ثم أرسلوا أوراق الطلاق وبقيت البنت تعاني من مشاكل هذه الصدمة الكبيرة التي أثرت على سلوكها ووضعها، وأصبحت في وضع لا تحسد عليه من ناحية آمال الزواج بشخص آخر[1].

---

(1) فهي الآن ليست باكراً كما كانت، وأن الوضع العام يحسب لكل شيء حسابه، فالواقع الذي تعيشه واقع لا يفتح أمامها فرصاً للزواج من ناحية أنها محجبة. وهذا لا يعني أن الشاب المتقدم يراعي ذلك ويحترمه، ولكنها في ذات الوقت تماشي أعلى درجات الموضة، فيجعلها في وضع متأرجح في أعين الآخرين الذين يرغبون في طلب يدها، كذلك نجد حالة التناقض في داخلها وفي خارجها. فهي من ناحية تنتمي إلى أصول إسلامية من ناحية أبويها، ومن ناحية تأريخها، ولكنها في ذات الوقت لا تمتلك الهوية في مظهرها وفي سلوكها الخارجي وحتى الداخلي، وهذا ما تركها عرضة لنفس المشكلة، مشكلة الزواج الذي في الغالب يكون الخاطب هو الذي يبحث عن زوجة شبيهة له في الخلفيّة الدينية والعائلية، ووجود =

تستمر مأساة العائلة أكثر فأكثر ويصبح الأب ذلك الإنسان الملتزم صاحب التاريخ الناصع في حالة من القلق تجاه علاقاته واتجاه موقعه، فزوجته وأولاده وبناته كلهم يتوجهون نحو الانفتاح الغربي الليبرالي، بعيداً عن الالتزام. لذلك فهم لا يألفون ما يألفه والدهم ولا يرغبون في المجالس التي يستأنس بها من قبيل الجوامع والاجتماعات الدينية.

بمرور الوقت أصبحت المعادلة معادلة الموازنة صعبة جداً بالنسبة له، وبدأ ينحى منحى آخر وهو منحى الأكثرية من أهله وذلك بممارسة ما يرغب أولاده ممارسته، ولهذا هجر الرجل تاريخه وتولى مجتمعاً ظاهره الإسلام والعبادة، وباطنه الغرب بكل تعقيداته[1].

وماذا عن الأولاد؟ لا تختلف حالة الأولاد شيئاً عما نتوقعه. فالتربة الصالحة يخرج منها نبات صالح، وبالعكس إذا فسدت التربة فإنّ الناتج سيكون شوكاً وحنظلاً وهو ما حدث بالضبط. فاللغة العربية غائبة تماماً، والصلاة وممارسة الإسلام وفعاليته أصبحت لا وجود لها في عقول هؤلاء الشباب الذين صاروا ضحايا هذا البيت المتهدم فكرياً. فكلٌ له ملذاته، وكلٌ له طريقته في إشباع شهواته بالطريقة التي نترفع عن أن نذكرها في قصتنا لصعوبة التوضيح.

وللواقع نقول وللحق نشير بأن هؤلاء الفتية لما فيهم من انحرافات،

= حالة التأرجح في هذه البنت يدعوها الى البحث عن ظروف إجتماعية أخرى يقبلها الخاطب، ويقبل وضعها من ناحية الازدواجية في العادات والممارسات الغربية والإسلامية.

(1) فمثلاً أماكن العبادة أو الجوامع التي يرتادها تطبق به المقولة المشهورة (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) بل هي في الواقع أماكن اجتماعية وليست أماكن عبادية بالمعنى المعروف عن الجامع، وهذه الأماكن -أماكن العبادة- المختلطة بالمفاهيم الاجتماعية ازدادت في الآونة الأخيرة في الغرب، وبدأت تستقطب مجاميع كثيرة ممن هم على شاكلة الأب أمجد المذكور في قصتنا هذه، لأن هذه الأماكن لا تُدفع فيها استحقاقات، وإنما هي حرة في الانفتاح وغائبة فيها فريضة الالتزام وفريضة تربية النفس، حيث تعمل هذه الأماكن بدرجة من درجات التخدير للمسلمين ما لا تفعله أي جهة أخرى، بحيث يفرغ الدين والصلاة والعبادات من محتواها وتصبح شبح عبادات.

فإنهم لا زالوا يحملون في أعماق ذواتهم ضميراً ممكن له أن يستيقظ لو اهتم الأب واهتم الآخرون من الجالية بتوجيههم وهدايتهم وهو الشيء الذي نقله بعض المربين عنهم عندما حاولوا الأخذ بيدهم نحو طريق الهداية، وتوصل إلى هذا الاستنتاج، ولكنهم أكدوا أن الوضع سوف لن يستمر حتى ولو لمدة أيام إذا لم يتغير ما في داخل البيت. وهذا أصبح امراً شبه مستحيل، لأنه أصبح قضية لا يمكن التراجع عنها في كل ظواهر الحياة وتعقيداتها.

تشخيص المشكلة

- دوماً وأبداً الأب والأم هما منظار الأولاد..(يولد الإنسان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه) الرسول الكريم ﷺ.. وفي مثالنا الحالي لم يكن الأستاذ أمجد ليفقد صفة الالتزام والتدين، أو التوجيه فهو صاحب قدرة فكرية ودينية مميزة، ولكن الذي بدأ خط الانحراف هو الأم، ومع أن هذا العامل ليس كافياً لحدوث هذا الشرخ، ولكنه أصبح كافياً عندما لم يقف الأب ولم يرفض ما تطالب به زوجته من الانفتاح على بهارج الحياة والملذات، وهنا اجتمع عاملان مهمان هما جهل الأم وانسياق الأب وراء ذلك وعدم رفضه لما تطلبه أو تريده لأسباب خاصة بالأب.
- التربية مثلها كمثل الثروة أو العلم لا يأتي فجأة، وهذا معناه أن التوجيه يجب أن يبدأ منذ نعومة أظفار الأولاد مهما كانت أعمارهم، بل تؤكد بعض النظريات العلمية أن بدايات التربية تبدأ مع الأطفال حتى وأن كانوا في بطون أمهاتهم، وأن مثل تربية الأولاد في أي مرحلة من مراحل الحياة كمثل الغفلة عن المال، لأن المال هو الشيء الذي يُسرق دائماً، وتقع عليه أحلام الشيطان، كذلك التربية والسلوك القويم الذي هو دائماً وأبداً هدف الشيطان وهدف المؤسسات اللاأخلاقية، وفي مثالنا هذا نجد أن الأب كان يرى أن أولاده سوف يكونون محصّنين عن الانحراف، لأنهم نشئوا من أب

ملتزم ومتدين، وطبعاً هذا خطأ جسيم، ونمثل هذا الخطأ بتمثيل المال الذي يكتسبه الإنسان من أبيه وراثياً، أو أن العلم لا يُعطى وراثياً وإنما يؤخذ بالجهد والتعب والممارسة، وفي مثالنا الحالي لم يبدأ الأب عملية التوجيه والتربية منذ أن كانت عود أطفالهم طرية ويافعة.

- الحجاب بالنسبة للبنت التي تعيش في الغرب تكبر أهميته عما هي للبنت في الشرق (هذا لو تصورنا الاختلاف في النظر إلى التشريع الإسلامي)[1].

الوقاية والعلاج:

- ديمومة التدين والأخلاق كديمومة ماكينة السيارة، أو أي ماكينة أخرى ينتفع منها الإنسان. وكل عمل في الحياة أو كل تصرف أو عطاء لا يمكن له أن يبقى كما هو عليه إلّا أن نتواصل معه بعملية الصيانة (Maintenance)، فالسيد أمجد لم يدم صيانة أفكاره، بل عاش الاعتقاد القديم بأن التدين حاجه ثابتة في نفس الإنسان، وهو تصرف خاطئ.
- الاختلاف في المستوى الثقافي والاخلاقي والاجتماعي ما بين الزوج وزوجته له انعكاسات سلبية كبيرة على نمو العائلة، فما على رب الأسرة إلّا المبادرة إلى ردم تلك الهوة الثقافية ما بينه وبينها من خلال تبني برنامج متكامل ثقافي، وفي مثالنا الحالي نجد أن الأم وبسبب ضعف مستواها الثقافي كانت تعتقد بأن علاقات أبنائها هو نوع من التحضر.
- اليأس من التغيير من أكبر ما يواجهه الآباء وخصوصاً عندما يكون الانحراف شاملاً فيما بين الأولاد، وبالضبط إذا ما كانت الأم غافلة

(1) Discrimination Against Muslim Women. Women's right Projects.

عما يدور حولها من مظاهر لا دينية، وعلى الأب كمسؤول عن توجيه العائلة إلى المبادرة في كسر طوق اليأس ضمن خطة مكتملة وبالتفاهم مع الزوجة، في مثالنا هذا وقف الأب ربما يائساً من إمكانية التوجيه، فكان مثلاً عليه إما أن يستعين بمن يساعده في ذلك أو دخول معترك التغيير بنفسه مع زوجته.

- البنت الكبيرة كان دورها سلبياً وهي تشاهد مسيرة الانحراف تنخر في كيان العائلة، وكان عليها أن تشارك في درء المفاسد من البيت حتى وأن كان ذلك معارضاً لتوجهات أمها، وربما كان هنالك رأي آخر في أن البنت لا يحق لها أن تكون في موضع التوجيه والقيادة للذكور، وهي فكرة ربما نابعة من المفاهيم القديمة للأعراف العربية البالية.
- البنت الشابة في الغرب والمحجبة يجب أن تظهر هويتها للمجتمع لأن الهوية التي تحملها هي التي على ضوئها يتوجه شريك حياتها للتقدم لها واختبارها، فالكثير من المحجبات يعتقدن في أن يكون حجابها موديلاً هو ما يفسح أمامها فرص أكبر للمتقدمين للزواج، وهذا خاطئ، لأن الشاب المتقدم وخصوصاً في مثل هذه القضية المهمة فإنه يبحث عن الأصول لا القشورغالباً، فكلما أظهرت الفتاة هويتها بوضوح (تشدد أو تساهل) ازدادت فرص التقدم لخطبتها.
- الأب يجب أن يوازن ما بين الجانب المعيشي المالي وبين الجانب الالتزامي، فليست الحياة هي فقط جمع المال، بل إنه كان عليه أن يتذكر أو أن يبحث عن السبب في هجرته إلى هذه البلاد، التي هي الهروب بدينه وتقاليده، وهذا معناه أن يحافظ على ذلك من خلال تربية أولاده وتوجيههم.
- البنت الصغيرة عندما تُترك فيما بين أخوتها الشباب، فإنّ ذلك ينعكس سلبياً على تربيتها وأخلاقها وهو السبب في أنها توجهت بالطريقة التي أرادتها لها أمها في ترك الحجاب والتلبّس بتقاليد الغرب.

- عنصر توفر المال في الخطيب المتقدم يجب أن يكون آخر ما تفكر به الأسرة المسلمة لأنه عائق خطر، ومنزلق مميت للكثير ممن يفكر بهذا الإتجاه، فالبنت الكبيرة ومشاكلها وتطليقها كان كله بسبب عدم الدقة في وضع أسس الاختيار.
- وأخيراً من المهم للأب أن يصرف وقتاً أكبر مع أولاده بعد العودة من العمل، والتباحث معهم في شؤون المدرسة وشؤون الشارع والأصدقاء وغيرها، ولم يكن السيد أمجد من هذا النوع، وإنما كانت الأم تأخذ معظم وقته في الضيوف وفي الزيارات الاجتماعية.

التجربة السابعة

المصير

المصير

(أم باسم) إمرأة متوسطة العمر كانت تعمل في مدرسة في إحدى البلدان العربية. تزوجت وهي في سن مبكرة رزقت ببنتين وولدين أكبرهم (باسم) الذي هاجر مع أمه وأخواته وإخوته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل التسعينيات، ليستقر هنالك، إذ بدأت العائلة حياة جديدة وفي بلد جديد، الست (سامية) وهي أم باسم كما ينادونها امرأة طيبة، كذلك زوجها (معن) الذي أنهى دراسته في الهندسة الميكانيكية في الشرق وجاء مع من هاجروا إلى الولايات المتحدة لبناء مستقبل جديد كانت أنظمة دولتهم قد حرمتهم من أن يبنوا مستقبلهم في ظل وطنهم.

أعمار الأولاد كانت آنذاك 14 سنة باسم، و13 سنة (جواد) أما البنات (بان) لها من العمر 16 سنة و(مريم) 17 سنة، العائلة بدأت حياتها في ظروف صعبة وكانت أولى محطات تلك الحياة هي المدرسة التي تعودنا نحن في الشرق في أنها المفتاح الذي به نختار خطوات النجاح في حياتنا.

بدأت الحياة في أن يتم اختبار الأولاد لتقرير الصف، أو المرحلة التي يستحق أن يكونوا فيها، فالبنات صرن في المرحلة الأخيرة من المدرسة الثانوية بعد اختبار أجرته المدرسة لهما لتقدير مستوى ما تملكان من قدرات في مواد الدراسة، وكذلك الحال بالنسبة إلى باسم وجواد، ولم تمر السنون إلّا والجميع يدخل مراحل الجامعة، بل تسبقهم البنت الكبرى إلى التخرج. وقد قارب عمرها الخامسة والعشرين وهكذا البقية الباقية من الإخوة والأخوات، تصورت الأم الست سامية بأنها سوف تجد لبناتها مستقبلاً عائلياً مزدهراً مملوءاً بالحياة والسعادة حيث أنها تنتظر من يتقدم لخطبتهن كما هي

الأعراف في مجتمعاتنا الشرقية، ولكن العمر الآن قد وصل إلى مرحلة يعتبر في عداد مجتمعاتنا أن البنت على أعتاب العنوسة فالناس تتزوج ما بين 19-23 سنة، بل أن حيوية البنت هي في تلك الفترة من حياتها، فكانت الست سامية تنتظر ابنتها حتى التخرج، فهي تقول دائماً أن البنت يجب أن تكون قوية حتى تتمكن من التخلص من أغلال الزوج، وقوتها تأتي من شهادتها، ولذلك فإنّ ابنتي لا أزوجها إلّا بعد أن تنهي دراستها، ولكن المشكلة أن البنت الكبرى والبنت الصغرى لم يتقدم لخطبتهما من أبناء الجالية أحد، بل كان معظم الذين حاولوا الحديث بموضوع الزواج هم من جاليات أخرى، ولم يكونوا جادين بالمعنى المعروف في عرف الزواج.

الأب معن رجل طيب واسع العقل ذو دين وأخلاق. كان على الدوام يقول لابنتيه مريم وبان: الزواج هو بداية حياة عمل، وعندما تأتي فرصة العمل فلا تضيعانها لأن الفرص تمر مر السحاب، وما لم يقتطفها الإنسان فإنّ ضياعها غصّة. وقد حرص هذا الأب على التسريع في تزويج أولاده ولكن الأمور كانت تسير بعكس ما يريده، فالأم مع أنها طيبة وعاقلة[1]، البنات غالباً ما يملن إلى رأي أمهن أكثر من ميلهن إلى أبيهن، وخصوصاً إذا كان رأي الأم من النوع الذي يتناغم مع رغبة البنت في حب الإطراء والمدح.

بمرور الوقت حدث ما يشبه الإنتفاخ في تفكير البنتين من جرّاء كثرة المدح والإطراء وصرن لا يستأنسن مجتمعاً إلّا إذا كان من النوع المشابه لما تقوم به أمهما من المدح بهن. وهكذا نشأت العائلة وهي تميل إلى هذا النوع من الحديث[2] وهو ما خلق حالة من حالات الإمساك عن التقدم للزواج

---

(1) كانت تنظر إلى ابنتيها، وكأنهما حوريتان نزلتا من السماء، وأن الباري عز وجل عجز أن يخلق جمالاً كجمالهما أو خلقاً كخلقهما، وكانت هذه الأم تصرح دوماً بأن ابنتيها من أروع ما خلق الله، ثم تعدد هذه الأم صفات البنتين بحديث طويل ومسرف في أخلاق وجمال البنات، بحيث أن الكثير ممن يحيط بهذه العائلة أدرك ما سوف تقوله الأم إذا جلست في مجلس من مجالس الجالية.

(2) الذي غالباً ما نجده منتشراً فيما بين جاليتنا وهو الذي يستبطن في معظمه التظاهر =

منهما. وقد أدى ذلك كرد فعل من قبل العائلة إلى البحث عن مجتمعات أخرى للتواصل، وهكذا فعلوا حيث انفتحت العائلة على جالية أخرى من الجاليات العربية تعيش في نفس الحي الذي يسكنونه[1].

عاشت البنت حياتها سنين وهي تواصل عملية الانتظار لزوج ترضاه أمها، وصار عمرها آنذاك 27 سنة، فصارت خياراتها أضعف، بل أقل من الأول، كذلك الأمر انطبق على حالة البنت الأصغر بان التي عاشت التجربة ذاتها مع كل المتقدمين للخطوبة.

في إحدى المناسبات الدينية التي تجتمع بها العائلة في عطلة الميلاد التقت الأم بشاب لطيف هادئ مهذب تقدم لخطبة البنت الكبيرة فوجدت فيه أنه الشاب والزوج الذي يصلح لإبنتها فوافقت فوراً على تزويجه وكأنّ هذا الشاب تقدم لخطبة الأم وليس لخطبة البنت، فقد أعجبت الأم بشكله وطريقة حديثه وصفاته الأخرى، أما البنت فإنها قبلت لا على أساس الإنسجام وإنما بسبب الاضطرارية في تقدم العمر، وهو ما دفعها للقبول، وبعد أن تمت مراسيم الزواج وعاشا تحت سقف واحد ظهر أن هذا الشاب الذي ينتمي لنفس الجالية له عشيقات أخريات وهو يراودهن بين الحين والآخر، حتى تجرأت به الحالة إلى أن يأتي ببعضهن إلى البيت بحجج واهية ضعيفة منها هو إنني أريد أن أهديهن إلى الإسلام، أو أن هذه قد طردتها عائلتها لأنها اعتنقت الإسلام وعلينا أن نأويها في بيتنا، وما إلى ذلك من الحجج الواهية.

لم يتوقف الأمر عند هذه النقطة، بل إنه أقنع زوجته بأن تصاحبهن وتتحول إلى صديقة لهن في البيت وخارج البيت تسافر معهن أحياناً وتقضي وقتاً معهن إذا سافر زوجها إلى قضاء بعض من أعماله خارج المدينة، أما أم

= والكذب والتفاخر على قاعدة (إمدحني أمدحك)، فالإنسان أحياناً يحب الإطراء كي يشعر بأنه عظيم وكبير وجميل ومهم في الحياة، وكلما ازدادت وسائل الإطراء تقدم أولئك المادحون الذين لا همّ لهم إلّا القدرة على تقديم صور المدح الكاذب للآخرين.

(1) Improving Mother/child Interaction To Promote Better Psychosocial Development in Children. Program of Mental Health. WHO Report.

باسم فإنها كانت غالباً ما تقنع ابنتها بأن عليها استيعاب زوجها، لأنه من عائلة جيدة وهو متمول وثري وحسن المنظر، وأن الشباب معظمهم كانوا هكذا في البداية وأن الإنسان سوف يكتمل عقله فيما بعد الزواج.

وهكذا كانت الأم تشارك الزوج في تأجيل حالة الانفجار المنتظرة داخل العائلة، أما مريم فإنها لم تكن تقبل بهذه الحالة، وإنما في البداية كانت تستمع لرأي أمها في أن الشباب كلهم هم هكذا وما عليها إلّا العمل الدائب على تغيير الزوج وربطه بها بما تتمكن، ولكن الأخبار التي كانت تصل إلى الزوجة أخبار فيها الكثير مما ينغص حالة الزوجة الطيبة مما حداها إلى أن تفتح الموضوع مع أبيها (معن) طالبة منه أن يساعدها في قرارها إما الانفصال أو الالتزام بالخلق العائلي والديني، الأب اجتمع مرات عديدة مع الزوج (صفاء) شارحاً له خطورة هذه القضية في تعدد الخليلات في الوقت الذي كان يملك بيتاً وزوجة، وأخبره بأن هذا النوع من التصرف لم يعرّف إلّا الخيانة[1].

الزوج صفاء كان يدافع عن موقفه بهدوء وتعقل مستعملاً بعض المبررات الشرعية التي غالباً ما يصطنعها الإنسان لنفسه متذرعاً ببعض التقاليد أو

---

(1) الخيانة الزوجية (Adultury) (infidelity) أو (زنا) المحصن هي الفعل الذي يحدث عندما يقبل عضو واحد من الاتحاد الزوجي (مؤسسة زوجية) على الجماع الجنسي مع شخص آخر بصرف النظر عن الاتحاد (زنا المحصن)، الكثير من الثقافات تنظر لهذه العلاقة ليست في إطار الزوجية على انها جريمة، دون الدخول في تفاصيل الخيانة في مثل هذه العلاقة، وعلاوة على ذلك، فإنّ مؤسسة الزواج تُسلط الضوء على مسألة العلاقات الجنسية قبل الزواج، حيث أن بعض الشباب/الشابات يُمارسونه مع الأشخاص، الذين قد يختارون في مرحلة ما من حياتهم الزواج بهم، والانخراط في نشاط جنسي مع شركاء جنسيين، قد تربطهم بهم علاقة زوجية في المستقبل أو لا. وقد تُعتبر في بعض الثقافات على أنه خيانة قبل الزواج (زنا غير المحصن). للعديد من الثقافات الحديثة اليوم مواقف مختلفة حول أخلاقيات هذه التصرفات، فمنهم من يُدينها والبعض الآخر يتفهّم مشاركة الشباب في مثل هذه التصرفات. مع أن القانون الامريكي في 23 ولاية فقط يحرم كل علاقة جنسية خارج إطار الزوجية ويعاقب عليها على شرط شهادة الطرف المتضرر وهي الزوجة.
Encyclopedia Britannica Online, Adultery and Infidelity. Britannica.com. Retrieved December 1, 2013.

الأقوال في الشريعة الإسلامية منها: تعدد الزوجات، ومنها: الدعوة إلى الإسلام ومنها، ومنها. . . . لم يتوصل الأب إلى نتيجة، فقرر هو وابنته أن يطالب الزوج في تطليق ابنته في الوقت الذي كانت آنذاك حاملاً في شهرها الثالث، وهو ما دعاها إلى ترك البيت واللجوء إلى بيت أهلها.

الأم لم ترض بما قام به الأب والبنت، بل كانت تصر على أن الشاب الزوج رجل نبيل ووفيّ لزوجته، وأن العلاقات هذه هي طبيعية في مجتمعات الغرب ما دامت لا تتجاوز الحدود الشرعية، وعليه فإنّ الأم قامت بنفسها مع ابنتها وسافرت إلى الولاية التي يسكن بها الزوج، وأرجعت الزوجة إلى زوجها وسكنت هي معها أكثر من شهرين. كان الزوج خلالها من أفضل الشباب في التمثيل والطاعة والمودة للأم وللزوجة، وكانت الأم تقول لابنتها: ألم أقل لك إنه شاب ناجح جيد، تذكري يا مريم أن الزوجة إذا لم تتمكن من استيعاب زوجها فإنه سوف يترك لعينيه المجال للبحث عن الأخريات، وكان الزوج المتمرس في التمثيل يستغل انشغال البنت مع أمها في البيت للقيام بما يود أن يقوم به مع الأخريات من صديقاته السابقات.

وقد حاولت البنت أن تشرح لإمها أن زوجها ممثل بارع، بل مخطط جيد لاستغلال الأم والبنت في تحقيق شهوته التي تعوّد عليها خلال أكثر من عشر سنين، ولكن الأم كانت تقف إلى جانبه دوماً، وكانت متساهلة في تقدير الوضع الذي يدور في البيت، وكانت تقول لها دوماً: يا ابنتي انتظري إذا جاء المولود ستجدين زوجك لا يرى إلّا أنت، ولا يحب إلّا زوجته وإبنه وبنيه، دعينا ننتظر حتى الولادة ونرى ما سوف يكون[1].

تلد الزوجة طفلة جميلة أسمياها (سامية) لأن الأم رغبت بذلك، وأيّدها الزوج، أما البنت فكان لها رأي آخر لم تبح به، وتنقضي الشهور الأولى بعد الولادة، ولكن لم ينقض شهر العسل الذي كان صفاء يمارسه مع خليلاته، بل بقيت الأمور كما هي عليه واستسلم الجميع لهذا الأمر الأب والأم والزوجة

(1) 20 Most Common Mistakes of the Unfaithful Spouse. Rick Reynolds.

أيضاً، وصار الأمر وكأنه امراً طبيعياً أن تأتي إحدى تلك الخليلات بحجة مساعدة الأم مريم في البيت، أو أن تقضي وقتاً في التنظيف أو في غيرها من الأمور التي تحتاجها كل إمرأة وكل أم، تكبر البنت ويصبح عمرها ثلاث سنين وعندها يقرر الأبوان أن تذهب الطفلة إلى الحضانة لحوالي أربع ساعات في اليوم. في الوقت الذي يكون هو في دائرة عمله.

حضانة البنت تقع في محيط قلب المدينة نوعاً ما، والذهاب إلى هنالك أو الرجوع يستغرق ساعة ذهاباً وساعة إياباً، ولذلك فأحياناً تجد الأم نفسها إنها من الأفضل لها أن تقضي بعض الساعات في التسوق خلال فترة الانتظار لحين وقت أخذ البنت من دار الحضانة، أحياناً تذهب الأم إلى مكان لشرب القهوة أو الشاي لتقضي نصف ساعة أو ما شابه حتى يحين موعد انتهاء فترة مدرسة الحضانة، هذا الجدول اليومي للأم مريم أصبح عبئاً عليها خصوصاً فترات الانتظار التي كان يجب عليها أن تقضيها إما في السوق أو في محل شرب القهوة لحين انتهاء فترات خروج إبنتهم من المدرسة.

في أحد الأيام لم تتمكن الأم من الانتظار بسبب وعكة صحية أصابتها في منتصف النهار حيث كان الجو هنالك قاسياً بارداً، فقررت العودة إلى البيت والاتصال بزوجها لترتيب نقل إبنتهم من المدرسة، ولكن الزوج صفاء هنا اتصل بإحدى تلك الصويحبات وطلب منهن الاهتمام بنقل ابنته إلى البيت بعد أن اتصل بدار الحضانة، كي يخبرهم بالسماح لتلك الصاحبة أن تأخذ ابنته، نقلت البنت بسيارتها سامية البنت إلى البيت، ثم غادرت مسرعة راجعة إلى بيتها، وهكذا استمرت الأمور إلى أن صادف وأن بدأت الأم تقضي وقت فراغها عند الانتظار في محل القهوة مع تلك البنت صاحبة زوجها يجلسان ويتحدثان أحاديث عامة حول الأوضاع الاجتماعية والسياسية، حتى يحين وقت خروج البنت من دار الحضانة، وأحياناً كان بعض أصدقاء تلك البنت الأمريكية أن يتوقفوا في محل القهوة يتحدثون ويجلسون وبدون أن يثير ذلك انتباه مريم بشيء ما.

في إحدى المرات تبادل أحد أولئك الشباب -وكان في متوسط العمر حوالي 38 سنة- الحديث مع مريم وكان رقيقاً معها لطيفاً مهذباً، فهذا المحامي هو جار لتلك البنت الأمريكية (جيني) يصرف خمس أو عشر دقائق يتحدث مع مريم ومع جيني بأحاديث عامة مشتركة، ولكن الشيطان دائماً حاضر وفي كل مكان، فمال قلب مريم إلى ذلك الرجل بدأ بضحكة بسيطة ثم حديث من هنا وحديث من هناك، وكان عندما يتأخر عن الحضور تسأل مريم صديقتها جيني عما إذا كان ذلك المحامي سيحضر أم لا، هذا الرجل المحامي من جانبه وجد في مريم بنت جميلة طويلة القامة خجولة مهذبة شريفة فأحب فيها شخصيتها، ولكن بدون أن يشعرها بذلك فصارت وبمرور الأيام يتقابل الثلاثة في محل القهوة وتبدأ الهمسات الهادئة ما بين مريم وبين المحامي بشكل خفي، وصار من الواضح أن مريم الآن في مصيدة الحب غير الإرادي تجاه ذلك الرجل ذي المنطق المعتدل وذي الشخصية الرزينة التي غالباً ما تقارن مريم بين شخصيته وشخصية زوجها[1].

أما مريم فإنها عندما مال قلبها إلى هذا الرجل عزفت من ميلها العاطفي عن زوجها صفاء، ولكن صفاء لم يكن يبالي بذلك، لأنه إنسان متفرق العواطف ما بين هذه وتلك، ولم يكن من المهم له أن تبادله زوجته في عواطف الزوجية التي نعرفها نحن، وإنما كان همه الكبير أن يرجع إلى البيت فيرى زوجة وهي قد أعدت الطعام، وفي الليل هنالك ما هو مضمون له، أما مريم فإنها بدأت تشعر بأن قلبها ولأول مرة بدأ في التعلق بالرجل، ولكنها لم تدرك أن هذا التعلق هو من أخطر الخطوات التي سوف تحطم شخصية المرأة خصوصاً المحجبة التي تلتزم بالتعاليم الدينية وتعاليم الأعراف الإجتماعية.

وهكذا تطورت إلى العلاقة التلفونية مع بعض الكلمات الإعجابية التي

---

(1) فهذا المحامي في غاية العذوبة والأخلاق والرقة. متفوق في عمله ناجح في علاقاته من عائلة كبيرة محترمة معروفة في المنطقة. لم يوفق في زواجه الأول فقرر العيش منفرداً إلى حين يتضح مستقبل الزوجة الجديدة التي يجب أن تحل في حياته.

تبديها مريم بهذا المحامي، قررت المرأة بأن تتعامل مع الأمور من منطلق الواقع، إما أن تكون زوجة صائنة لنفسها وشرفها لصفاء أو أن تكون لغيره. فالأمور إذا بقيت على هذا المنوال فإنّ العذاب هو القاسم الكبير الذي يلاحق المرأة فضلاً عن ضميرها الداخلي[1].

في إحدى الليالي وبعد العشاء أخبرت مريم زوجها صفاء بأنها تريد أن تتحدث معه في أمر مهم، فامتثل لها مع قبلات انفعالية تمثيلية للظهور بمظهر الجاد، فقالت له: أنها لم تعد تحتمل العيش معه، وأنها تريد الطلاق منه وعندما سألها عما بدى، أخبرته بأن الحب لم يكن له وجود في حياتها، وإنه يعيش في عالم (شهريار) في علاقاته، وأنها تريد أن تجد حياتها بنفسها، في البداية لم يتخذ صفاء الأمر على محمل الجديّة، بل أعتقد بأن مريم في وضع نفسي تريد أن تنفس عما في نفسها من غضب، ولكنه وعندما شعر بجديّة زوجته في ذلك تحول إلى إنسان وحشي، ثم بادر إلى صفعها ورميها في الشارع ولكنه عاود فتح الباب لإيوائها أو طردها غداً إذا لم تتراجع عن قرارها، ذهبت مريم في اليوم التالي لتستشير المحامي زميلها بالأمر فأخبرها (جون) المحامي بالاجراءات القانونية المترتبة عليه، والمترتبة عليها وبصورة موضوعية وحرفيّة بعيداً عن الكذب أو غيره، وهكذا وبعد مرور أسبوع جاءت مريم إلى زوجها وأخبرته بأن قرار الانفصال عنه قرار ثابت، وأن عليه إما أن يغادر البيت أو أنها تغادره.

حاول صفاء وبكل الوسائل والطرق وبما يملك من قدرات ومن توسلات في أن يُثني مريم عن رأيها، ولكن كل ذلك كان بدون جدوى، ذهب صفاء إلى أهلها يسترضيهم ومتوسلاً بأن يغفروا له وأن يقنعوا إبنتهم بتغيير رأيها في الإنفصال والطلاق وأقسم لهم بأغلظ الأيمان بأنه سوف يغير حياته تماماً وسيبقى وفياً وأميناً لها فقط، ولكن مريم كانت قد اتخذت قراراً نهائياً

(1) Steve Harvey, Act Like A Lady - Think Like A Man. What Men Really Think about Love, Relationships, Intimacy, and Commitment. HarperCollins e-books.

بالأمر حيث قالت لأمهما : أمي، أنت كنت صاحبة القضية، وكأنك أنت التي تزوجت صفاء وليس أنا، أنت اخترتيه وأنت حسّنت صورته، ولم تترددي في فرضه عليّ قبلاً، أما الآن فالحياة هي حياتي، وليست حياتك، و لهذا فإنّ قراري هو ما قلته سواء أرضيت أم رفضت، و عجز الجميع عن إقناعها بتغيير رأيها إلى البقاء في محيط الزوجية مع صفاء.

غيّرت مريم مفاتيح الأبواب للشقة ثم سافرت إلى إحدى صديقاتها ولم تترك أي عنوان لوجودها إلّا مع السلطات الحكومية المتخصصة التي أخبرتهم بأنها قررت الانفصال عن زوجها .

رجع الزوج الغبي عشاءاً ليجد أن أبواب الشقة قد تغيرت وأنه الآن مطرود من داره وأن عليه أن يجد له مكاناً يأوي إليه في هذه الليلة القارصة البرودة، وقف أمام باب شقته يتأملها جيداً وفيما إذا كانت هي نفس شقته التي كانت تؤويه مع زوجته وابنته فاكتشف أنها هي شقته في الطابق الخامس الشقة رقم 3، ها هي بعينها، التفت إلى اليمين واليسار وحتى يتحسس من أنه يقظ وليس في منام وإذا بباب المصعد يفتح ويخرج منه مدير البناية ويسلمه رسالة باليد، و يقول له يا سيد صفاء: أتمنى لك وقتاً ممتعاً.

فتح الرسالة فوجدها من زوجته تقول فيها :

عزيزي صفاء......

لم أعرف لماذا تزوجتك قبلاً، ولكنك كنت تعلم أنت لماذا تزوجتني، وعندما تزوجتني لم ترحم شخصيتي الطيبة، وثقتي بالزوج، ولم ترحم عواطفي فمارست مع الأخريات ما هو حقي فأخذته وأعطيته للأخريات، ويا صفاء، لقد كنت إنساناً طيباً معي، ولكنك لم تراع أنوثتي ولم تراع وضعي ونفسيتي، فقتلت الحب الذي في نفسي تجاهك، لم أكن أتمنى أن تكون النهاية هكذا، ولكنها صارت، أرجو لك حياة موفقة فأنا بخير مع ابنتي التي لك الحق في رؤيتها من خلال دائرة الخدمات الاجتماعية مرة واحدة كل أسبوع، أخيراً أرجو لك حياة سعيدة مع حبيباتك ومع الأخريات ممن لا أعرفهن.

غص صفاء في بكاء لم يعهده من قبل، وصار يبحث عن مخبأ له يغطي به وجهه المملوء بالهدوء وجسمه الذي تحول إلى كيان هزيل، إنه يجب أن يغادر المبنى، وليس أمامه من سبيل غير المغادرة وبداية حياة جديدة.

أين يذهب إذن . . .؟ ما الممكن أن يحدث له فيما لو ذهب لدى إحدى صويحباته، ونام هنالك هذه الليلة، ولكن لو حدث ذلك أين سيذهب الليلة التي بعدها. . . .؟ وكيف يعيش حياته التي تعود على زوجته وابنته وما يحيط بهما. . . . . .؟

إنه قرار القضاء في منعه الاقتراب من الدار ومن مدرسة ابنته، لذلك قرر أن يغادر المدينة إلى بيت أهل زوجته بعد أن يطلب إجازة من عمله، حلّ صفاء ذليلاً عند بيت عمه فتلقفته حماته مرحبةً به لاعنةً الساعة التي تعرفت فيها عليه وكيف أنها وافقت على الزواج من ابنتها مريم، كذلك الحال مع الأب معن والاخوة الآخرين. كانوا يعيشون في ذهول من تصرفات ابنتهم، وكذلك من كل أحداث حياة الزوجين التي لم يبادر أحد إلى إصلاحها منذ البداية، خصوصاً وأن العلاقات المشبوهة التي كان صفاء يمارسها لم تكن عاملاً من عوامل الرفض من قبل الأم، ولم تقف الأم موقفا صلباً أمام تلك الممارسات، بل كانت تتفرج على الأحداث وكأنّ شيئاً لم يكن.

وفي اليوم الثاني اتصلت مريم تلفونياً بأمها وقالت لها: إنها في البيت مع ابنتها، وطلبت من الأم أن تأتي إلى بيت عائلتها للتفاهم على الأمور التي رفضتها قبلاً، وقالت أنها اتصلت حتى تعلمهم بمكان وجودها فقط، رفعت مريم أوراق الطلاق إلى المحكمة من زوجها صفاء. وعندما وصلت أوراق الطلاق إلى محامي صفاء لم يسع الزوج الغبي إلّا أن يوقعها موافقاً على ذلك خوفاً من الفضائح التي قد تقدمها مريم إلى المحكمة في علاقات زوجها مع جيني ومع غيرها، وهكذا تمت قضية الطلاق من صفاء رسمياً ودينياً، وصارت مريم إمرأة من دون رجل، وهنا قررت أن تفاتح المحامي جون بالأمر لعلها تحصل على ما خططت له خلال السنة الأخيرة. وكانت لقاءاتها

مستمرة، ولكن من خلال علاقات صداقة وتباحث على طاولة القهوة أو الخروج إلى السوق لا غير، دعت مريم المحامي جون إلى مطعم لتناول العشاء بعد أن كلفت جارتهم الاهتمام بابنتها[1].

وعندما جلسا إلى العشاء وانتهيا. . . . . سألت مريم جون أخيراً إذا كانت علاقتها خلال السنة الماضية قد أثمرت شيئاً ما. . . .؟ وكانت ترمي من ذلك إلى أن تعرف جيداً رأي المحامي جون بها.

قال جون: إنه يحترمها، لأنها أولاً عاقلة وأمينة وغير منكرة لقواعد الدين التي تلتزم هي به، ولكن هل هنالك ما أبعد من تلك النقطة. . .؟ سألته بشكل فهم جون ما تعني بهذا السؤال. . .؟

ففاتحها مباشرة قائلاً لها: مريم، إن علاقتنا كانت مبنية على الإحترام على الأقل من قبلي، ولم أكن أتوقع منك أن تعاشريني، أو أنني على الأقل لم أرغب في ذلك، ولو كنت راغباً في ذلك لكنت أخبرتك قبل هذا الوقت بكثير، إن أكثر ما جذبني هو حجابك ليس إلّا، وهذا الحجاب بالنسبة لي معناه الوفاء للزوجية وهو ما نفتقره في الغرب، وكذلك فعلاقتي بك هو مقدار احترامك لما تؤمنين به، أما أنا فإنني الآن اذهب مع هذه ومع تلك، ولست في وضع يسمح لي في الزواج منك.

فإذا فهمت مني قبلاً بأنني معجب بك فإنني معجب بك كشخصية مع إعجابي المستمر بجمالك، ورشاقتك، وتنسيقك لملابسك وغيرها من الصفات الجميلة التي تحملينها، إنه لمن سعادتي أن أكون مؤهلاً للزواج منك، ولكن لا أعدك بأنني سأكون أميناً دائماً لك، فقد مرّت علي ظروف معقدة صعبة جداً جعلتني الآن أنتقل من حضن إلى آخر، ولكن من دون الشعور بجماليّة المرأة الزوجة.

هل أكون لك زوجاً مخلصاً أميناً، الآن. . .؟ سأكذب عليك في هذه إن

(1) Betrayal, Rejection, Revenge, and Forgiveness: An Interpersonal Script Approach Julie Fitness المصدر السابق

قلت لك نعم، ولكنني أقولها بصراحة ووضوح وبكل احترام: أنني سأكون أوفى لك من كل الأصدقاء الآخرين في الحياة، وسأرجع لك كي أتزوجك فيما إذا وجدت نفسي جديراً بك.

غاص جسمها بالمقعد الذي تجلس عليه ولم تتوقع أن تواجه بهذا الرفض المهذب المؤدب، بل كانت ترى، أو كانت متأكدة من أن جون سوف يطير فرحاً وعشقاً بها[1]. تسربت الدموع من عينيها فامتلأت بها صحون المطعم الذي كانت أضواؤه خافته تزيد من شعور الرومانسية لها ولكل الجالسين، لم تجب بكلمة بل قالت: آسفة، ثم غادرت المكان.

بعد مضي 15سنة على هذه الحادثة لم يُعلم أين ذهبت مريم، وكيف قضت حياتها، ولكن بعد ذلك التاريخ التقى كاتب هذه السطور رجلاً في مطار أمستردام بينما كان المسافرون ينتقلون بين طائراتهم للتوجه إلى مدن أمريكا الشمالية، وبعد الحديث فيما بينهما ظهر أن هذا الرجل هو معن أبو مريم فسأله عن ابنته فقال أنها في ولاية (كاليفورنيا) بعد أن رزقها الله بزوج صالح وثلاثة أبناء، وأن صفاء يعيش مع ابنته سامية بعد أن رجع إلى الشرق وتزوج ابنة عمه ثم عاد ليكمل حياته في ولاية (الينويز).

قلت له: ولكن هل تتذكرني بعدما كنت قد تذكرتك....؟

قال: ليس كثيراً، قلت له: أنا من كنت استشرتموه في زواج مريم من

---

(1) فهي لم تسمع يوماً بشيء غير أشياء الزواج والأنوثة عندما يكون هنالك حديث إعجاب بين رجل وامرأة، فإما أن يكون حديث حب وزواج أو لا يكون شيء، وهذا هو الفهم الشرقي المتأصل التقليدي غير الواقعي للفهم بين الرجل والمرأة. وعلى أساسه توقفت معظم الحوارات بين الرجال والنساء في مجتمعاتنا الإسلامية، لأننا نعتقد بأن الحديث الوحيد والوحيد فقط هو الجنس ولا شيء غير الجنس، هذا التصور الخاطئ والفهم المعوج للعلاقة بين الرجل والمرأة.

Criminalizing Sexuality:Zina Laws as Violence Against Women in Muslim Contexts, Ziba Mir Hosseini, The Global Cappaign to stop killing and stoning women. Women Reclaiming and redefining culture program. Women Living Under Muslim Laws.

صفاء وقد أخبرتكم آنذاك بأنه رجل طيب، ولكنه لا يُؤمن منه الوفاء وقلتم وقتها وخصوصاً أم بإسم زوجتك بأنني ربما أقول عنه ذلك، لأنه لا ينتمي إلى الخط الفكري الذي انتمي إليه وقلت لكم وقتها: لقد ظلمتموني. . . . . ثم أضفت وقلت له: وأتمنى أن لا تظلموا مريم.

صاح الأب: تماماً أتذكر وكلماتك لا زالت ترن في أذني.

تشخيص المشكلة

- أن تحترم الآخرين على ضوء قربهم وبعدهم عن المبادئ الإنسانية والاخلاقية، وكما كانت الأم سامية قد زرعت في نفوس أبنائها بأن المبادئ ليست هي مما يجب الاعتماد عليها في انتقاء الأزواج.
- الأم والأب مهمان جداً في أن يكون لهما الرأي المهم في الزواج، ولكن ليس الرأي الأول والأخير، نفس الشيء ينطبق على تفرد أحد الأبوان بقرار الزواج، كما حدث لسامية الأم التي تفردت في قرارات إنتقاء الزوج وإهمال زوجها في مشاركتها في القرار.
- على الأبناء أن يكونوا صريحين مع آبائهم في اختيار شريك أو شريكة الحياة. وهذا لم يحدث لمريم، فلم يؤخذ رأيها في شريك حياتها، ولم تصرعلى رأيها عندما علمت برأي أمها.
- الانحراف قبل الزواج ليس بالضرورة أن يكون غائباً فيما إذا تزوج الشاب أو الشابة، كما ليس بالضرورة أن لا يكون بعد الزواج، فصفاء كما وجدنا كان رجل ليل ينتقل ما بين هذه وتلك. فالزواج من هذه شخصية لا تخلو من مخاطرة كبرى.
- حذار أن تقيم أي امرأة مسلمة علاقة مهما كانت مسميّاتها مع رجل أجنبي سواء أكان عربياً أم غير عربي مسلماً أم غير مسلم. فكل علاقة من هذه العلاقات يكون للشيطان فيها نصيب كبير يذر قرنه، حتى ما توفرت الظروف، ظهر الباطل. وهنا نرى أن مريم عندما رضيت

لنفسها أن تقبل (جون) من غير مشاعر عاطفية فذلك هو عين الخطأ[1].

- الإصرار على الطلاق بهذه الصورة التي مارستها مريم وهي بطرد الزوج ليس هو ما نشجع عليه، مع أننا نرفض ممارسات الزوج صفاء، ولكن للعلاج أساليب أخرى تتعلق بنوعية الزوجين وهي الاستشارة هنا مهمة لكلا الطرفين.
- عدم استفراد الأم والأب في قرار يخص الأبناء والبنات كما حدث لسامية في الزواج.
- أن لا تترك الأم أولادها يعيشون حالات ما قبل العنوسة أو أن تشعرهم بذلك.
- أن تفكر الأم أو الأب بأولادهم يوماً بيوم في سبيل أن يجدوا طريقهم في الحياة الزوجية.
- أن لا يأمن الآباء على أولادهم ظروف الغرب التي تعلمهم الجرأة في اجتياز بعض حواجز العيب، كما حدث لمريم عندما فاتحت جون بالزواج.
- على الآباء أن يُعلّموا أبنائهم على استحالة الزواج من الغربيين غير المسلمين، بينما نرى في مثالنا هنا أن الأم لم تر في صفات الزوج إلّا الشكل والأموال.

الوقاية والعلاج

- على الوالدين أن يربيا أنفسهما على المبادئ الإسلامية الأصيلة التي عندها يكونان مؤهلين لتوجيه أولادهم، فالتربية ليست من قبيل أن يقال كذا وكذا، وإنما هي علم ومعرفة على الأبوين أن يتعلماها جيداً قبل توجيه أولادهم. وإذا لم يتعلما ذلك فمن الضرورة أن

(1) Marriage According to Five Schools of Islamic Law, volume 5. Maghiniyyah, M. J.

يعهدوا لتربية أبنائهم إلى جهات تربوية.

- الزواج قضية معقدة جداً في عالم الغرب، ليس بالضرورة أن تكون أولوياته في الشرق تنطبق على ما هو عليه في الغرب، ولذلك فعملية التخطيط لتزويج الأبناء في الغرب لها مداخلاتها الخاصة التي قد تختلف تمام الاختلاف عما هو في الشرق والتي ويجب على الأبوين أن يدركا ذلك[1].
- علاج حالات الانفصال والطلاق كما حدث لمريم يجب أن يكون ضمن حدود أخلاقية معينة، لا أن يكون تابعاً إلى أجواء وقتية وانفعالات آنية.
- لا نشجع أبداً حالات الزواج من الأجانب الغربيين حتى وأن كانوا مسلمين بل نشجع جداً أن يكون الزواج ضمن حدود الجالية الواحدة لأهمية التقاء العادات والأعراف التي ربما تكون الأقوى في بناء أسس الزواج. . . . . نعم من الممكن أن تكون الزواجات من الجاليات الإسلامية حتى غير العربية هي إحدى الحلول مع بعض التفاصيل المهمة[2].
- أن تبحث الأم أو الأب عن زوج أو زوجة لأبنائهم هذه قضية جيدة ونشجع عليها. وقد أمر بها ديننا الحنيف، ولكن ذلك يجب أن يكون ضمن التفاهم المتبادل مع الأبناء لا بمعزل عنهم.

---

(1) Crimes and Punishment in Islamic Law: Theory and Practice from the Sixteenth to the Twenty-First Century. Peters, R.

(2) Islam beyond patriarchy through gender inclusive Qur'anic analysis. In Anwar, Z., editor, Wanted: Equality and Justice in the Muslim Family, Wadud, A. pages 95-112.

التجربة الثامنة



هل يُولد الإنسان وهو يَحمل بذور الانحراف في نفسه؟

هل يُولد الإنسان
وهو يَحمل بذور الانحراف ﴿في﴾ نفسه؟

لم يشك أحد من سكان مدينة (نيويورك) العملاقة بأن السيد (صبيح) قد أبدع في عمله الإسلامي وجهوده في بناء الجالية العربية والتجمعات الإسلامية الأخرى، ليس على نطاق نيويورك فحسب، بل على عموم الشمال الأمريكي. فهو رجل مجد في عمله، سواء أكان ذلك في الجانب التجاري أم الجانب الإسلامي. فقد شارك في الكثير من النشاطات الإسلامية التي تجرى في أمريكا، وقدم الكثير من المحاضرات وساعد الجاليات في بناء هويتها.

هذا الرجل معروف لدى أوساط كبيرة من أبناء الجالية، فهو الرجل الذي تأوي إليه العائلات إذا ما داهمتهم المشاكل، أو حَلّت بهم المصاعب من جرّاء ضغوط المجتمع الغربي. فهو يسعى لتزويج أبناء الجالية، ويساعد رجالها في بناء مواردهم المالية والتجارية، ويقف معهم إذا ما حدث احتكاك مع القانون الأمريكي.

لم يكن السيد صبيح يألو جهداً في مساعدة الآخرين. فحيويته وشبابه وقدراته الثقافية والعلمية واللغوية قد سخرها جميعاً لخدمة الأفكار العليا التي يؤمن بها في بناء الحياة وبناء الآخرة، فتراه حاضراً دائماً في المواقف الصعبة مدافعاً عن المبادئ مهما كانت الظروف، ومهما تعقدت المشاكل. فهو صاحب مبدأ، أي أنه كان يحسب الأمور من خلال مبدئينها، لا من خلال المواقف الاجتماعية أو المواقف الموروثة التي غالباً ما تحرك الناس، فيتخذونها مبدءاً لعملهم ولفهمهم في الحياة.

رزق السيد صبيح ببنتين وُلدتا في أمريكا الشمالية. فكان قراره أن لا يترك الزمن يمر من دون أن يغادر هو والأولاد من الغرب حفظاً على تربيتهم

ومبادئهم، ولكن المشكلة التي تواجه السيد صبيح وعائلته هو عدم القدرة على الذهاب إلى أي قطر من الأقطار العربية لعدم امتلاكه اوراقاً تثبت انتماءه إلى وطنٍ ما، موطنه الأصلي رفض أن يزوده بوثائق السفر بسبب معارضته لسياسة ذلك البلد، فقرروا أن يحرموه من جواز سفره، أو من أي ورقة أخرى تعطيه صفة الانتماء... كذلك الحال في الولايات المتحدة[1].

لم يتوانَ السيد صبيح في تربية أولاده على الأسلوب الإسلامي العالي من بداية حياتهم، وعندما فتحوا أعينهم على الحياة، حيث بدأت زوجته بتعليم الأولاد اللغة العربية وبشكل منظم ومركز، بحيث كبر الأولاد وصاروا يقرأون ويكتبون ويتكلمون اللغة العربية بكل طلاقة مع لكنة أجنبية واضحة يمكن لمن له باع جيد في علم اللغة العربية أن يكتشفها.

لم يَخلُ يوم من أيام السنة إلّا ووجدنا السيد صبيح يَعُدّ لأولاده دروساً في الآداب الإسلامية، وفي علوم القرآن وفي المبادئ الإنسانية الأخرى حتى ترعرع أولاده وهم يحملون علوماً مميزة مقارنة بأقرانهم من الشباب والشابات، وقد ركز السيد صبيح معظم وقته على ابنته الكبرى التي كانت تحمل عوامل لرفض تعلم مبادئ الإسلام، ومبادئ الاستقامة منذ نعومة أظفارها وكانت (نرجس) ابنته الكبيرة تحب الأجواء البعيدة عن الالتزام، مع أنها لم تكن في مرحلة من مراحل الإدراك للتمييز بتلك الصورة من الوضوح،

---

(1) فإنّ القوانين الأمريكية غالباً ما تبني معاملاتها على ما يقدمه الشخص من وثائق ثبوتية من قطره الذي جاء منه، إلّا إذا أقدم على طلب سمة اللجوء السياسي أو الإنساني. وهنا لو حاول الإنسان اتخاذ طريق الحصول على سمة اللجوء. فإنّ قبوله متعلق بمدى حميميّة العلاقة السياسية التي تربط الولايات المتحدة ببلده الأم. وهو أمر مختلف جداً عن بقية أقطار العالم التي تقبل اللاجئين السياسيين على أساس الاضطهاد، فالولايات المتحدة الأمريكية ترفض قبول أي لاجئ من أي بلد عربي يرتبط بعلاقة حسنة مع السياسة الأمريكية، وحتى إذا ما تبدلت تلك العلاقة فإنّ قوانين اللجوء الإنساني والسياسي تُنبذ تبعاً للعشق السياسي فيما بين تلك الدولتين.

Muslim Immigrants in the United States. Center for Immigration Studies. Khalid Durn, Daniel Pipes.

ولذلك فقد كان أبوها يهتم بها أكثر من أختها وأخيها اللذين يصغرانها بسنة واحدة من عمرها.

فالوقت الذي كان يقضيه الأب مع ابنته الكبرى ليس بقليل ولكن كلما ازداد الأب في التركيز عليها تميل هي أكثر نحو التمرد والرفض، فمثلاً عندما تجتمع الجالية في المناسبات الإسلامية والمناسبات الاجتماعية نجد نرجس تميل إلى طبقة بنات الجالية اللاتي لا يتحلين بالإلتزام بالحجاب والآداب الإسلامية، وكأنها تبحث عن هذه الطبقة من الناس وبشكل أوتوماتيكي[1]، وليس الأمر ينطبق على المدرسة فحسب، بل حتى في العلاقات الاجتماعية العامة كان الأب يكتشف أن ابنته نرجس تميل إلى طبقة من الصديقات اللاتي تميزن بضعف حجابهن ودينهن وأخلاقهن بعكس أختها وأخيها الذين يهتمون باختيار الصديق أو الصديقة المناسبة للعائلة ولسمعتها وللحجاب وشرفه، وكانت نرجس أيضاً تميل إلى مشاهدة التلفزيون خلسةً من أبيها وأمها لبرامج لا تتناسب مع الأخلاق الإسلامية التي تعودت العائلة عليها، كذلك الحال في صلاتها وفي صيامها، وفي كل جانب من جوانب حياتها، كان الأب والأم يعاني الأمرّين من جرّاء سلوك ابنته الكبرى التي تنجذب بصورة لا شعورية نحو التحلل من الالتزامات الدينية، وعندما يفاتحها والدها ووالدتها في سبب اختيارها لتلك المواقف، لا تمتلك أن تجيب إلّا بالسكوت[2].

من جرّاء ذلك حرص الأبوان على الاهتمام بها بصورة مركزة في مصاحبتها إلى الجوامع وإيجاد أجواء بديلة إسلامية لعلها تألف تلك المشاهد

---

(1) فمثلاً حدثت في صفها بعض المشاكل، واستدعي الأب السيد صبيح للحضور ومناقشة تلك المشاكل، وعندما عاتب الأب إدارة المدرسة على عدم توجيه ابنته بالصورة المطلوبة قالت مديرة المدرسة لماذا اختارت نرجس أن تصادق البنات اللاتي يثرن المشاكل في المدرسة، ولم تصاحب تلك البنات اللاتي يلتزمن بتعاليم الإسلام وتعاليم المدرسة.......؟

(2) فمثلاً عندما تقع في يدها جريدة محلية بدلاً من أن تقرأ أخبار المسلمين أو الجاليات أو المواقف السياسية أو على الأقل حقل المرأة، نراها تبحث عن صفحات الإعلانات ذات الصور المسيئة والمناظر غير الأخلاقية.

المساعدة على زيادة ارتباطها بالدين، وكلما زاد اهتمام والدها بها ازدادت في طلبها في الابتعاد عن الإسلام. ولذلك فقد قرر الأب أن ينقلها من المدارس العامة إلى المدارس الإسلامية الخاصة، وهي في المرحلة العاشرة من المرحلة الثانوية،و هناك أيضاً في المدارس الإسلامية لم تعقد نرجس صداقاتها مع الملتزمات من الطالبات، وإنما اختارت من هن الأسوأ من الطالبات، وعقدت معهن صداقات أثّرت عليها كثيراً وعلى سلوكها، وكان الأب يسألها دائماً عن السبب في ذلك ويحاول جاهداً أن يبث فيها روح الاعتماد على النفس والثقة بما تحمله من عقيدة وأخلاق وعائلة وتربية، ولكن تلك الأمور لم تكن تعنيها بشيء أبداً، وإنما يشعر الإنسان في أن هنالك شيطاناً داخل نفس هذه البنت ولد معها وكبر معها، وهو الذي يتحكم في سلوكها.

كانت نرجس ترى في نفسها أنها قبيحة المنظر[1] وأن الناس ينظرون إليها بعين الاستصغار مع أن الحقيقة بأنها لم تكن كذلك، وإنما سلوكها هو الذي يجعل أفراد المجتمع ينظرون إليها بمنظار عدم الرضا، وليس شكلها وتقاسيمها.

بدأت نرجس تدخل في عالم المراهقة وتكبر معها مشاكلها مع أبويها اللذين بذلا جهداً استثنائياً في توجيهها واستقامتها، وعندما نقلها أبوها إلى المدرسة الإسلامية أصرّت في الرجوع إلى المدارس العامة، والمدارس التي تديرها الدولة هي عبارة عن مكمن وضيع للشيطان والإنحراف، ولكن الأب حاول وقاوم الرغبة وبقي يقاوم رغباتها نحو الانحراف ونحو التغريب والانفلات، ولم يتمكن أحد من أن يهديها إلى سواء السبيل، وليس هنالك

---

(1) للتلفزيون دور نفسي كبير على شعور الإنسان وخصوصاً الاناث بأنهن قبيحات وغير كفوءات بسبب نماذج الممثلات والفنانات المميّزة من الجمال التي يقدمها التلفزيون. أنظر التقرير التالي:

Mediating Communication: What Happens?" in John Downing, Ali Mohammadi and Annabelle Sreberny-Mohamadi (eds) Questioning the Media, Sage, Meyrowitz, Joshua.

من طريق آخر لحماية هذه البنت من سطوة المجتمع المنحرف.

وبعد مداولات كثيرة قررت البنت نرجس أن ترفض الذهاب إلى المدرسة الإسلامية[1] كجزء من عناصر الضغط على الأبوين، ولكن السيد صبيح بقي على موقفه، أما الأم فإنها وقفت إلى جانب البنت وبدأت تعد العدة للمواجهة في إرجاع البنت إلى المدرسة، تأزمت الأمور ما بين الأب والأم إلى أن قررا كلاهما أن يكون خيار الزواج هو الوحيد الذي بقي أمامها. وفي ذلك الوقت كان أحد المتقدمين الشباب قد تقدم طالباً البنت فوافقت على الأمر ربما مكرهة أوغير مكرهة، ولكن كما وجد السيد صبيح أن الموافقة كانت طبيعية ولم يمارس الأبوان أي نوع من أنواع الابتزاز لزواجها.

دخلت البنت في عش الزوجية ولكن الشيطان سواء أكان قبل الزواج، أم بعده لم يفارقها وكأنّ الانحراف هو عنصر يولد مع الإنسان أحياناً فإنّ اكتشفه في البدايات كان عليه أن يحاربه بكل الأسلحة والقوى حتى يقتله، وإلّا استفحل وتضخم وكبر، وهكذا تعود نرجس إلى المدرسة في ولاية أخرى ولكنها الآن فتاة متزوجة محصنة في الوقت الذي بقيت في سلوك غير مرض داخل المدرسة في ملبسها وحجابها وتصرفها فقرر الزوج أن ينتقل من مسكنه إلى جوار أهل نرجس لمساعدته على ضبط تصرفات زوجته، وهكذا جاءت العائلة إلى مدينة نيويورك التي يقيم فيها السيد صبيح، وبدأ الأب ثانية بتوجيه ابنته والتزامها بالقدر الممكن الذي يبذله أب لابنته، فأقدم أولاً إلى شراء مصلحة تجارية للعائلة الكبيرة، ثم مساعدتهم على الدخول في الحياة التجارية لكي تخدم العائلة على المدى البعيد، بعدها كان قرار الجميع إنجاب الأولاد قد يساعد تماسك العائلة، وخصوصاً وأن نرجس سوف تعيش شعوراً مختلفاً في نظرتها إلى الحياة وإلى العائلة، وفعلاً وخلال مدة حملت نرجس ورزقت بولدين عاشت العائلة بعدها بشيء من الاستقرار بعيداً عن الظروف الغربية الفاسدة.

(1) (http://www.islamicity.com/education/schools.shtml). Retrieved January 17, 2014.

يكبر الأولاد ويدخلون عمر المدرسة الإبتدائية وإذا بنرجس تبدأ مغامراتها ثانية، بدأت تخرج إلى أماكن لا يعرفها الزوج تقول هي مع صديقات لها. وعندما بحث الزوج والأب وجدها فعلاً صادقة، ولكن تلك الصديقات غربيات لا يتلائمن مع تاريخ ودين نرجس.

حاول الجميع أن يعيد نرجس إلى وضعها المتلائم مع دينها وعقيدتها وعائلتها[1] ولكنهم فشلوا في الوقت الذي كانت نرجس تسير من سيء إلى أسوأ في حجابها وصلاتها وكلامها، وتحولت إلى شابة أقرب إلى الوحشية في كل تصرفاتها، وكأنّ الشيطان ذرّ قرنيه مجدداً وظهر هذه المرة على حقيقتها بصورة لا تقبل الشك.

لقد وجد الزوج الطيب أن البقاء مع هذه المخلوقة مضيعة للوقت، فقرر الطلاق منها بعد أن استشار الأب والأم، وكان الجميع قد اتفق على أن الطلاق هو الحل الذي ليس له خيار آخر، ولكن الطلاق هنا ترك نرجس في وضع أسوأ وأكثر انحرافاً. وما لبث أن تعرفت نرجس على رجل آخر يكبرها عمراً تزوجته بعد أن طردها أبوها وجزعت من تصرفاتها أمها، فصارت إمرأة مملوءة بالشر والحقد والكراهية، وتحول وجهها فعلاً إلى وجه من أوجه النار، تركها الجميع وأبغضتها الجالية فصارت مكروهة حتى من قبل ولديها، أما الزوج السابق فإنه وجد طريقه في الحياة بعد أن ساعده السيد صبيح في الزواج، واستقر مع عائلة هادئة طيبة تحمل كل معاني الإيمان، وبقيت نرجس مخلوقة مشؤمة من إسمها لتتحول إلى (نحس) أعاذنا الله من هذه النماذج وأعاذ عوائلنا من تلك التجارب القاسية.

تشخيص المشكلة

- المجتمع الغربي غالباً ما يؤثر على روح الإنسان وتفكيره، ولكن أن يؤثرعلى جينات الوراثة فإنه لم يعرف ذلك بعد، فعائلة السيد صبيح

(1) Religion, beliefs and parenting practices A descriptive study Jan Horwath, et.al.

وزوجته وتاريخه معروف لدى القاصي والداني كله خير وعطاء وإيمان. . . . ولقد صدق الباري عز وجل عندما قال: (يخرج الخبيث من الطيب) إنها إحدى طفرات الوراثة التي حدثت في الحياة وهي أن تكون هنالك رغبات لدى الإنسان واستعداد للشر.

- صحيح أن بعض علماء المجتمع يعتقدون بأن الإنسان يولد شريراً، ويولد طيباً، وأن الاستعداد يولد معه، ولكن الله سبحانه عز وجل يقول أن الإنسان مخير في حياته أمام الحياة ومداخلاتها، فهذه البنت نرجس لم تعط لنفسها مجالاً في أن تفتح عقلها على عنصر الخير، بل أغلقت كل تفكيرها على الشيطان، وصارت ترى الأمور من جانب الشر .
- وصحيح أن الخير كان يمكن أن يجد طريقاً إليها، ولكن عنصر الشر أقوى بكثير، وربما كان شكلها وتصور نفسها بأنها قبيحة إحدى مسببات هذا النوع من السلوك، مع أن زوجها كان يقول لها، بل كان يعتقد بأنها أجمل مخلوقة وأنه سعيد بها جداً وسعيد بجمالها.
- ولكن الظاهر أن نرجس كانت تعيش نقصاً عميقاً في داخل ذاتها بأنها قبيحة جداً[1] وأن رضاء زوجها عن شكلها ليس الشيء الذي يطمئنها بأنها جميلة، وأن المجتمع لا يراها كما يراها زوجها، فقد تأصّل عنصر فقدان الثقة في داخلها وتحول إلى شيء متحكم لا يمكن الخلاص منه، ومما أكد ذلك هو عزوف المجتمع عنها، ورفض إدامة العلاقة معها ولم تفهم هي مغزاه بل كانت هي تنسب ذلك إلى العلاقة مع شكلها وجمالها، مع أن الكل وخصوصاً الأب والأم كانوا يؤكدون على أنها جميلة وهو الواقع، وكانوا يقولون لها: أن القبح والجمال متعلق بالسلوك، فمتى ما تحسن سلوكها وزالت بذاءة الكلمات التي تنطق بها وغرابة سلوكها وعدم رعاية

(1) وجدت دراسة بأن 77% من الفتيات في بريطانيا وامريكا يرين أنفسهن أنهن قبيحات.

جوانب الأخلاق في تصرفاتها، صار الآخرون ينجذبون لها ويرون فيها من الجمال والحسن .

- كما أن هنالك عنصراً رئيساً ربما أدى دوراً كبيراً في تلوث نفسية نرجس، ذلك هو موقف أمها التي كانت متساهلة جداً معها وكانت تعتقد بأن التساهل في مثل هذه الحالات قد يدعو الإنسان إلى مراجعة حساباته، ولكنه غير منطقي في حالات كثيرة. فقد اهتمت الأم كثيراً بملابس وبشكل أولادها وكانت تعد الساعات الطويلة في اختيار أجمل الملابس، وأن تأخذهم إلى أجمل الأماكن في سبيل اشباع نفوسهم بالمتع الموجودة في الغرب، كما كانت الأم تعتقد بأن المدرسة ليست هي العامل الكبير في زرع بذور الفساد في نفوس أولادها ولذلك لم تكن تهتم بما تبذره المدرسة من بذور الفساد في عقل الأولاد. وهذا ساعد نرجس كثيراً على رفض تعاليم والدها، والتزام طرق والداتها في الإصرار على الذهاب إلى المدارس الحكومية العامة التي كانت بدايات الانحراف قد بدأت من هنالك.
- في نفس الوقت فإنّ الإنسان عندما يعيش عالم الغرب عليه أن يدرك خطورة محيط هذا العالم المملوء بجراثيم الانحراف، والذي لم تدركه نرجس حتى في كبرها وهي في عمر 27 سنة، بل كانت تتعامل مع الغرب بمنطق أن هذا البلد هو بلدها، وهذا الواقع هو واقعها وأنها بنت يومها وليس عليها أن تزيد في ثقافتها أو معلوماتها، أو جانب حصانتها الإسلامية، واعتبرت نفسها شخصاً كأي شخص يعيش في الغرب[1].
- كذلك الحال في موضوع فقدان الثقة التي لازمت نرجس في مشوار حياتها، الذي بدأ عندما نظرت إلى شكلها فوجدته ليس جميلاً مقارنة بما تراه في التلفزيون وفي الشارع، فاعتقدت أن كل شيء فيها هو

---

(1) Meeting the needs of Muslim pupils in state schools Information & Guidance for Schools.Towards Greater Understanding: The Muslim Council of Britain.

دون المستوى العام، وبذلك عاشت مع نفسها معيشة النقص الذي ولدته هي في نفسها، وربما ساعد على ذلك مستوى الذكاء الذي كانت نرجس تتمتع به وهو دون المستوى، وهو عنصر يجعل الإنسان متأخراً في إدراك التمييز ما بين الصحيح وبين الخطأ، يضاف إلى ذلك علاقات نرجس الاجتماعية مع الفتيات الغربيات اللاتي يعتبرن الانفتاح على الرجال عاملاً جيداً. وهو ما أوقعها في عثرات كثيرة جعلتها لا تنظر إلى العائلة والأولاد والزوج، كما يجب أن ينظر لها، بل ركبت رأسها وانساقت خلف أزمات نفسها وانفعالاتها[1].

الوقاية والعلاج

- أن يتجنب الإنسان كل تلك المشاكل عليه أن يبذل المستحيل في تربية أولاده، ولكن هل يتمكن من ذلك في ظروف أمريكا وظروف غياب المدارس والمؤسسات الإسلامية والتلفزيون الإسلامي. . .؟ لا أعتقد ذلك. . . . إن عناصر الوقاية هي العائلة الرصينة المحبوكة القوية التي تتوفر فيها لوازم الخير ومصادر القوة التي تبدأ بصلابة اللحمة التي تربط عنصري العائلة وهما: الزوج والزوجة، فالأولاد دائماً ما يجدون الثغرة التي يطلّون منها في الحصول على ما يريدونه من خلال الاختلافات ما بين الرجل والمرأة، هنا في مثالنا نجد أن الأم كانت الجانب الأضعف في تفهم حالة نرجس، وكانت تعتقد بأن الأب شديد عليها، وأنها يجب عليها أن لا تمنعها عن صخب الغرب وبهرجته لأن ذلك حسب رأي الأم سيساعد نرجس على الالتزام بالنصائح التي كان السيد صبيح يقدمها لأبنائه.
- عندما يكتشف الأب أو الأم أن أحد أولادهما يملك من الميل الانحرافي أكثر من الميل نحو الخير، عليه أن يغادر الغرب إن أمكن في عمر ما قبل دخول الأولاد مرحلة الثانوية، ولقد وجدت ذلك عند

(1) Self-Concept in Muslim Adolescent Girls. Eman Tiba. Ibids

بعض الجاليات العربية والإسلامية في الغرب، حيث أرسل البعض أولادهم إلى عوائلهم في البلدان التي جاؤوا منها وأبعدوا أولادهم عن محيط الانحراف[1].

* من نقاط العلاج: عدم اليأس في التوجيه للأبناء، ولكن المشكلة هنا مع نرجس أنها صارت ترفض كل شيء، أو أي قول يحتوي على الالتزام بالفضائل، بل صارت تحب الشر وكأنه فضيلة، وتكره الفضيلة وكأنها شر. هذا بالإضافة إلى بذاءة ألفاظها التي كانت تزعج الأب وتزعج الآخرين في الاستمرار في توجيهها وهدايتها.
* و ببساطة في مثل هذه الحالات أنا لا أعتقد بأن هناك علاجاً آخر غير العلاج الذي تقدمت به صدر هذه المرحلة. ذلك هو عدم ترك الأولاد فريسة لمجتمع الغرب أن يأكلهم ويحطمهم.
* بقي هنالك أمل آخر ربما هو خارج نطاق المغيرين التربويين. ذلك هو التأكد من بيولوجيا الدماغ[2] والنفس بأنها تعمل بصورة طبيعية لأن الإنسان قد يصاب بأمراض الجهاز العصبي والنفسي كما تصاب اليد وكما يصاب القلب والكبد والعضلات، وهذا معناه أن يكون هنالك استشارة من طبيب يؤكد للسيد صبيح بأن إبنتهم نرجس غير مجروحة داخلياً أو نفسياً، أو أن هنالك أمراضاً وراثية قد انتقلت إليها من أبويها وأنها الآن تمارس هذا العمل من رفض الخير وتبني الشر ما هو إلّا انعكاس لما هو في داخلها من جرح في النفس الذي ربما جاء إما من الوراثة أو من البيئة، والأطباء النفسيون أيضاً يوصون في مثل حالتنا هذه يجب بأن تعرض نرجس على طبيب نفسي متخصص في الأطفال ومنذ الصغر، أي في حدود السنة العاشرة.

(1) Sexual Behavior and Children: Harberview center for sexual Assault & Trauma Stress., Washington. USA.

(2) Counsiling Muslims Handbook of Mental Health Issue and Interventions:Sameera Ahmed and Mona M. Ame.

التجربة التاسعة



ابني شاذ جنسياً...!

ابني شاذ جنسياً...!

اتصل بمركز عملي رجل وسأل الصيدلي عن اليوم الذي نغلق فيه، فقال له إننا نغلق غداً، فهذا قانون اتبعناه منذ سنين، طلب الرجل من الصيدلي أن يتكلم معي شخصياً لعلي أساعده بتلبية طلبه في أن يأتي غداً ليأخذ أدويته، كلمته وكان صديقي منذ زمن طويل(1)، كان ذلك الرجل إسمه (رحيم) له ثلاثة أولاد (علي، إبراهيم، هادي) وابنتان (خديجة وزينب)، هاجر رحيم وعائلته إلى كندا في أوآخر السبعينيات، كان يتكلم العربية بطلاقة لأنه في الأصل عربي المولد، ثم هاجر إلى بلاد عديدة ثم إلى كندا.

آلف رحيم صحبة الجالية الأفريقية، وأصبح بعد ذلك جزءاً منها، يشاركهم مناسباتهم، ونشاطاتهم الدينية، وفي نفس الوقت كان قريباً من الجالية العربية أيضاً، طلب مني أن أؤمّن له الأدوية التي كان يحتاجها نهار السبت قلت له: إن الصيدلية مغلقة في هذا النهار، ولكنني ممكن أن أساعدك وأحضرها لك وانتظرك أمام الصيدلية غداً.

وفي يوم سبت من سنة 2001 حضر الرجل إلى الصيدلية، وكنت وحدي هناك استغل عطلة نهاية الأسبوع لإنهاء بعض الأعمال الكتابيّة، وصل الرجل واعتذر كثيراً لتأخره بسبب زحمة سير سببتها مظاهرة كبيرة في منطقتنا التي

---

(1) وهو من الجالية العربية التي تختلط بالجالية الأفريقية الشرقية، وهم مسلمون أفارقة هاجر آباءهم من الهند والباكستان إلى شرق أفريقيا، ثم في أواخر السبعينيات هاجروا إلى الغرب إلى بريطانيا وكندا، وأسسوا هناك مؤسسات وجمعيات كبيرة، وعملوا بالتجارة والأعمال بكافة أشكالها، وأصبحوا بعد ذلك من الجاليات المتمكنة التي كان لها تأثير كبير في المجتمع الكندي. (www.coej.org).

تعج بالشاذين جنسياً، والتي تقع فيها الصيدلة، والتي تدر أرباحاً جيدة بسبب أدوية أمراض (الايدز) التي كان يصاب بها الشاذون جنسياً، وكانت تلك التظاهرة تجمعاً سنوياً لهم، ويطلقون عليه إسم يوم الفخر أو(Pride Day) إذ يتجمع أولئك الشاذون من كل ولايات ومدن كندا، ويخرجون بتظاهرة كبيرة تجوب شوارع تورنتو.

في هذا اليوم تغلق المدينة أبوابها ويخرج الناس إما للمشاركة أو لمشاهدة البرامج التي يقوم بها أولئك الشاذون[1]. . . . ينطلق الشاذون بمظاهرتهم وهم يرتدون ملابس غريبة، ويتزيّنون بشتى أنواع الزينة من الشعر والوجه والجسم، يرقصون على أنغام موسيقى خاصة، ويتحركون مع بعضهم البعض بطريقة غريبة تكون مثار فضول للمجتمع الكندي الذي يحرص على حضور تلك المناسبة[2].

قال لي صديقي (رحيم) دعنا نشاهد مسيرة يوم الفخر، وقفنا إلى جانب الطريق وصرنا ننظر إلى المواكب التي كانت تمر بكل غرابة من حيث الملابس، والحركات والأشكال، ولكنها لم تكن غريبة على تلك الشريحة من المجتمع الكندي الذي ألفها منذ سنين، وربما أكثر من عشرة أعوام.

لفت نظرنا موكب غريب إذ مرت بجانبنا سيارة مكشوفة تحمل تابوتاً أسود اللون كذلك الذي يستخدمه المسلمون لنقل موتاهم، وقد كتب عليه عبارة (إنا لله وإنا إليه راجعون) ومجموعة من الشباب تتجمع تحمل لافتتين

---

(1) الذين يمثلون في عموم المجتمع الكندي 2% من السكان أي 100 ألف شاذ من كلا الجنسين في كندا، مع أن الرقم كما أقرأه مبالغ فيه كثيراً، وأرى أن النسبة لا تتعدى 0,05% مع إنني لا أملك الإحصائية الدقيقة لذلك (http://en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality).

(2) أحياناً يبدو لنا الشاذ جنسياً إنساناً غريباً في تصرفاته وتفكيره، غريباً بملابسه وطريقة نظرته إلى الحياة، في الوقت الذي يمكن أن تجده إنساناً ناجحاً في عمله وفي حياته، ففي المبنى الذي تقع فيه الصيدلية عيادة طبيب شاذ جنسياً يرافقه صديقه أو كما يسميه هو (زوجته) إلى مكان عمله علنياً، ولا يشعرون أبداً بالخجل، بل يفتخرون بأنفسهم ولا يترددون أن يتبادلوا العناق أو القُبَل أمام الناس وعلى الطريق بشكل عادي.

باللغة العربية والانكليزية وكتب عليها مجموعة الشاذين المسلمين!!! وكانت السيارة تمشي ببطء والشباب من ذوي السحنة العربية السمراء تشبه سحنة شعوب الشرق الأوسط، وفجأة صُعقت لرؤية (إبراهيم) ابن رحيم مع أولئك الشباب، نظر إليّ رحيم وقد خطف لون وجهه الذي بدأ كوجوه الموتى، لم نصدق ما رأيناه[1]، عدت فنظرت إلى إبراهيم، ولكن لم أكن أصدّق ما تراه عيناي، وظننت أنني في حلم، وأنني أتخيّل الأمر كله، ثم التفت إلى رحيم وصحت :أخي رحيم هل هذا ابنك إبراهيم....؟، وهل إبراهيم شاذ جنسياً....؟ وقع السؤال على أبي إبراهيم وقع الصاعقة، ثم أطرق برأسه وتمتم : آه يا أخي، نعم..... نعم إنه إبراهيم وهو من الشاذين الآن.

لم أتمالك نفسي ركضت نحو السيارة التي كانت تمر ببطء شديد، وصحت بإبراهيم وناديته باسمه، هذا أنت يا إبراهيم.....؟ التفت إليّ وقال بكل هدوء: نعم هذا أنا يا عمي، قلت متعجباً: وماذا تفعل مع هؤلاء الناس....؟ ماذا تفعل هنا....؟

أجابني لا شيء ..لا شيء

قلت بسرعة: ماذا تعني بلا شيء...؟ هل أنت من الشاذين جنسياً....؟

نظر إليّ بفخر وقال: نعم أنا كذلك، قلت له والجموع تتدافع: وما الذي أتى بك إلى هنا يا ابني......؟

لم يجبني ....

التفتت إلى حيث رحيم كان واقفاً فرأيت علامات الألم والحسرة ترتسم على محياه، وعيناه الصغيرتان اغرورقتا بالدموع، تركت إبراهيم يكمل مشواره

---

(1) إبراهيم ذلك الفتى الشاب ذو ال23 ربيعاً، وقد عرفته مراهقاً يحضر إلى الجامع لتعلّم اللغة العربية، وأحكام الدين وقراءة القرآن ...؟ كان خجولاً لطيفاً هادئ الطباع متفوقاً في دراسته.

الغريب مع تلك الجموع، وعدت إلى رحيم، أمسكت بيده ودخلنا الصيدلية معاً وأنا لا أقوى على سؤاله عن ذلك الذي رأيته منذ لحظات، لم يطاوعني لساني على الكلام في كل ما حدث، وبعد وقت قصير نظر إليّ رحيم نظرة حزينة يائسة وقال: لقد لاحظت منذ فترة أن هناك تغييرات كبيرة في سلوك إبراهيم، وكنت كلما ذكرت له موضوع الزواج كان ينفر من الموضوع ويغيّر الحديث، ويقول لي: إنه لا يحس بأي انجذاب إلى أي فتاة أو إلى النساء عموماً، وأكمل: لقد لاحظت في سنته الأخيرة في الجامعة أن إبراهيم يذهب إلى بعض الأماكن التي كان يرتادها أولئك الناس، لم يستطع صديقي أن يذكر حتى إسمهم، وأكمل قصته - إذا صح القول- كنت دائماً افتح معه موضوع البنات والزواج وتأسيس عائلة، فكان يذكر لي بصراحة طبيعة ميوله العاطفية نحو جنس مثله، وكنت أعتقد أنه يكذب أو يبالغ بكلامه أو أن حالته النفسية غير مستقرة.

عرضت حالته على أحد الأخصائيين فذكر لي بأن إبراهيم يمكن أن يكون من الشاذين جنسياً، وليس لديه أي ميول جنسي تجاه الإناث. وله الحق في أن يعيش حياته مع أي شخص يرغب به........ يا للهول لقد وقع عليّ الخبر يا صديقي وقع الصاعقة، لم أصدق ما قاله الطبيب بادئ الأمر، حتى بدأت أراقب إبراهيم، وعرفت كيف يتصرف مع أصدقاء له من الشباب، وكيفية العلاقة التي كانت بينهم، وأكمل الطبيب تشخيصه وقال إن أمثال إبراهيم لا نطلق عليهم كما في السابق إسم (الشاذين) بل تغيّر المفهوم، وأصبحوا يعرفون ب(المثليين) أو (مثيلي الجنس) أو (Homosexuals) ....حالتهم هذه حالة بيولوجية طبيعية تظهر عند الشخص في مرحلة من مراحل حياته، وقد تبقى متأصلة في الشخص إذا لم يحاربها أو يتخلص منها بأي طريقة ممكنة[1] إذا ما كان هو يريد ذلك.

---

(1) هي توجه جنسي يتسم بالانجذاب الجنسي أو الشعوري الذي يحمله الشخص تجاه أبناء جنسه، ما من إجماع تام على تعريف المثلية الجنسية، ولكن بشكل عام، من المتفق عليه أنّ المثلي جنسياً هو الذي ينجذب بشكل أساسي إلى أشخاص يماثلونه الجنس، وقد ينجذب =

والشيء الذي يتولد ويتأصل لدى الناس صغاراً أو كباراً، إناثاً أو ذكوراً هو الاكتفاء بصديق واحد يستدرجه إلى ممارسة عادات تشعر الاثنين بشيءٍ من اللذة، ومع مرور الوقت لا يمكن له أن يستغني عنه ويصبح دائماً متعلقاً به.

كنت أنظر إلى صديقي رحيم وهو يروي لي كل ما حصل لدى الطبيب وهو يتحسر على ولده.

إن هذه الظاهرة تنتشر في مدارس الغرب بشكل ملحوظ، وخاصة في المراحل المتوسطة، وذلك بسبب بدء فترة المراهقة، وابتداء اكتشاف المراهق لجسده وفضوله في معرفة مكنونات جسم الآخرين، فيفاتح الشخص المراهق الآخر بالأمر فيما يتعلق بالميول المثليّة ورغبته الحقيقية، وكنا دوماً نحذر الأهل أن ينتبهوا لأولادهم في المدارس الثانوية في هذا العمر، إذ تبدأ الغرائز بالظهور أكثر وأكثر، وتدفع الشباب من نفس الجنس وبسبب عامل الخجل من الجنس الآخر إلى استسهال العلاقة مع الشباب من نفس أعمارهم[1].

عاد رحيم واسترسل بالحديث عن مشكلة إبنه، وقد كان يعتقد أن

= بصورة ضئيلة أو معدومة إلى الجنس الآخر، ولا يعبّر الشخص بالضرورة عن ميوله الجنسية من خلال ممارسة الجنس، وفقاً لأكبر الدراسات في العالم الغربي، الأفراد الذين مارسوا نشاطاً جنسياً مع نفس الجنس خلال حياتهم تتراوح نسبتهم من 2% إلى 10 %، العديد من المثليين يدخلون في علاقات مثلية ملتزمة، وهذه العلاقات تماثل العلاقات المغايرة من حيث الجوانب النفسية الأساسية، وفقط مؤخراً سهلت الشروط السياسية واستمارات التعداد السكاني ظهور المثليين العلني وتعدادهم، العلم والطب لا يعتبران التوجه الجنسي اختياراً، وإنما تفاعلاً معقداً، عوامل بيولوجية وبيئية، رغم أنَّ هناك اعتقاد شائع أن السلوك المثلي شذوذ أو اختلال، أظهرت الأبحاث أنَّ المثلية الجنسية هي إحدى التنوعات الطبيعية الموجود في الجنسية الإنسانية، وهي بذاتها لا تشكل مصدراً للتأثيرات النفسية السلبية على الفرد المثلي، وقد لوحظ ووثق السلوك الجنسي المثلي لدى أنواع حيوانات أخرى أيضاً.
Lesbians, Gay Men, and The Canadian Charter of Rights and Freedoms: Brenda Cossman. Osgoode Hall Law Journal,VOL. 40, NOS. 3 & 4. 1982.

(1) Homosexuality in Islam: Islamic reflections on gay, lesbian, and transgender Muslims. Kugle, S. S. a.-H. (2010).

إبراهيم قد بدأ بعلاقته غير الطبيعية وميوله للشباب مثله في الخامسة عشرة من عمره، في نفس العمر الذي كان يرتاد الجامع لتعلم اللغة العربية وقراءة القرآن، هذا التناقض الذي كان يعيشه، وهذا رأي لا يخلو من الحقيقة، فالشاب في المجتمع الغربي، وفي تلك الأجواء يملك قدرة كبيرة على التلون والتغيير في شخصيته وانعكاساتها الخارجية، كي لا يظهر للمجتمع حقيقة مما يجول داخل نفسه.

ثم طلب رحيم مني أن يتصل بزوجته كي يخبرها بالأمر علّها تخفف عنه مأساته، اتصل بها وأخبرها بهدوء أنه شاهد إبراهيم في مسيرة خاصة بالشاذين جنسياً، ورحت أنا أتصور الحوار الذي دار بينهما وتهيأ لي رد أم إبراهيم على ما قاله زوجها.

قال رحيم: هل تعلمين إنني اليوم رأيت إبراهيم في مسيرة للشاذين. . . .؟، هل تعرفين بالأمر؟

- ماذا تقول. . .؟، وما هي هذه التظاهرة. . .؟
- رد عليها إنها تظاهرة يخرج فيها الشاذون جنسياً في كندا، ومعهم آخرون من بلاد أخرى يطلقون شعارات ويطالبون بحقوق، وإبراهيم كان معهم
- ردت بسرعة: أية حقوق ومطالب. . .؟
- دعينا من ذلك، ولكنني متألم مما آلت إليه حالة إبراهيم، ولا أدري ما العمل . . .؟ هل تعلمين أنه شاذ، ويرتاد أماكن مخصصة للاجتماع مع بعضهم البعض. . . .؟
- لا أبداً. لا تقل ذلك عن ابنك يا رحيم، إن له أصدقاء شاذون لا غير، وأحب هو أن يشاركهم مسيرتهم ما العيب في ذلك. . .؟ اتق الله في ابنك يا رحيم.

انفرجت أساريره قليلاً

ثم قال: صحيح. . .؟ إنه ليس شاذاً. . .؟ أتمنى ذلك، ولكن

كيف.....؟ كان يلبس ملابس مشينة، وكان شبه عار، أنا رأيته يا إمرأة صدقيني. وكأن الأم كانت ترفض كل ما كان يقوله زوجها

ثم قالت: أبداً، إن إبراهيم متدين ولا يمارس الرذيلة أبداً.

قال لها بتعجب: عجيب أمرك يا إمرأة قلت لك رأيته بأم عيني في منظر غريب.

صاحت به: ما بك كثير الشك بأولادك هكذا..؟ وإذا كانوا كما تقول فأنت الذي دفعتهم إلى ذلك كله، فهمت..؟ أنت السبب.

وصاح بها: ماذا تقولين....؟ أنا السبب.....؟ لا أفهم ما الذي تريدين أن تقوليه...؟

ردت عليه وقالت: أتركه وشأنه، لا تؤذيه بأفكارك هذه، ولا تُعقّد حياته، هذا شاب له الحق في الاستئناس في مُتع الحياة، ولا أعتقد أنه يمارس الشذوذ، وإذا كان قد فعلها مرة فلن يفعلها ثانية، وسنزوجه في أقرب وقت.

أجابها: لا أدري ماذا أقول لك يا أم إبراهيم....؟

قالت: لا تقل أي شيء ..أنا في طريقي إلى الجامع نقرأ فيه (ختمة سورة الأنعام) وليس عندي الوقت لمناقشتك، مع السلامة .

تمتم: أشكرك على اهتمامك الكبير بأولادك، اذهبي أينما تريدين، مع السلامة .

باي........

اقفل الخط وهو يشعر بالأسى والحزن.

فقلت له: يا أخي عليك أنت أن تتابع تربية أولادك بنفسك، ومن أهمها تربيتهم دينياً في هذا العالم الغريب.

قال : كيف أتصرف الآن، وأمه ومن خلال ما قالته كأنها تُشجعه، أو

أنها لا تريد أن تعترف بالحقيقة، وهي ليست مستعدة للاعتراف بالحقيقة ولا تريد أن تسمعني أتحدث بالموضوع حتى معها، وعندما يرى إبراهيم موقف أمه هذا فإنه بالتأكيد سوف يستمر بما يفعله، قلت له: عليك أن تفكر ثانية فعندك أولاد آخرون ينتظرون منك أن توجههم نحو الخير والالتزام، وعليك أن تعيد النظر في طريقة تربيتهم وتركيبة عائلتك.

ودعني وشعرت بعمق الألم والأسى في عينيه، ولكنني قررت في نفسي أن أقابل إبراهيم وأفهم منه الموضوع، وأحدثه عن الحرقة التي سببها لأبيه ولي أيضاً[1].

وبعد أسبوع اتصلت بإبراهيم وسألته عما إذا كان ما زال يبحث عن عمل والعطلة على الأبواب، قال لي: نعم، قلت إذاً دعني أراك في دائرتي غداً.

وفي اليوم التالي جاء إبراهيم، وبعد أن انتهيت من عملي قررت أن أصرف أطول وقت ممكن على قاعدة قراءة أفكاره أولاً، وتفهمها قبل أن أبدأ زرع أفكاري في ذهنه.

قلت له: إبراهيم سأجد لك عملاً هنا من الساعة الثانية ظهراً وحتى الساعة السابعة ليلاً. هل هذا يلائمك...؟

- جيد، وسأبدأ منتصف الشهر السابع.
- إبراهيم رأيتك في (مسيرة الفخر) تتذكر؟و سألتك هل تنتمي إلى أولئك الجماعة.....؟
- نعم
- و هل ما زلت معهم....؟

(1) كان إبراهيم يدرس في جامعة (تورنتو) وجاءني في يوم من الأيام للبحث عن عمل في العطلة الصيفية في إحدى الصيدليات التابعة لنفس الشركة، فقلت في نفسي أتصل به على هذا العنوان للحديث معه حول طريقه اللاأخلاقي المنحرف، علّني أساعده في التخلص من هذا المرض.

- نعم أنا ما زلت مع تلك المجموعة .

- و منذ متى. . . .؟. . . . . فكر دقائق. . . .

ثم قال: عندما كنت في السادسة عشرة من عمري كان لي صديق، وكان مقرباً كثيراً مني، وهذا الصديق من الجالية، وأبوه كندي إسمه (ناصر) هل تعرفه. . .؟ سألني. ثم تطورت العلاقة بيننا إلى علاقة حب ثم تركته سنتين، وكان يريد إشباع رغبته مني، وبعدها تعرفت على فتاة وكنت أنوي أن أتزوجها، لكن العلاقة لم تدم طويلا فتركتها، ثم تعرفت على أخرى وكذلك لم تدم علاقتنا طويلاً، ثم طلبت من أمي أن تجد لي من جاليتنا شابة لكي أتزوجها، فقالت لي ليس الآن، بل عندما تجد عملاً مناسباً، وهكذا وقبل سنة شعرت برغبة كبيرة تجاه أحد أصدقائي الذكور ففاتحته بالأمر لم يقبل بادئ الأمر ولكنه عاد واقتنع، فقلت له وكان مسلماً أيضاً هل هذا الأمر محرم في الإسلام. . .؟ هل نستطيع أن نمارس هكذا عمل وأنا أصلي وأصوم. . .؟[1]. فذهبنا إلى أحد الرجال المعروفين في جاليتنا لنسأله عن الأمر ولم ينتبه إلى ما كنا نريد معرفته منه، مع أننا لم نتكلم بالأمر بشكل مباشر وصريح، بل كنا نُلمّح له عن الموضوع، لأننا كنا خجولين من السؤال، فقررنا أن نذهب إلى رجل دين مسيحي لنعرف رأي الدين المسيحي بالأمر

---

(1) ممارسة اللواط في الديانة اليهودية تعتبر (فاحشة) وخطيئة كبيرة عقوبتها القتل،سفر اللاويين، وقد ذكر في العهد القديم عند المسيحين واليهود قصة هلاك قوم لوط ومدينة سدوم وعمورة بسبب شذوذهم الجنسي، كما هو واضح في الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح 19، وقد نصحهم لوط بالتوبة عن خطاياهم والزواج من بناته، فإنّ الكتاب المقدس يدين ويعاقب ممارسي المثلية الجنسية، بعض الطوائف البروتستانتية الأصولية تتخذ مواقف متطرفة ضد المثليين جنسياً، وقد فسرت هذه الطوائف مقاطع من العهد القديم إلى القول بأنه لا بد من معاقبة المثليين جنسيًا بالموت، ولقد صور الإيدز من قبل بعض رجال الدين البروتستانت مثل فريد فيلبس، وجيري فالويل عقابًا من الله ضد المثليين جنسيًا. في الإسلام، لا يوجد مصطلح المثلية أصلاً، ولكن يوجد ما يطلق عليه (الشذوذ الجنسي أو سلوك قوم لوط) محرم بإجماع المسلمين، لورود نصوص في القرآن: في سورة الشعراء أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ واتفق فقهاء المذهب الشيعي على أن اللواط يُعتبر من أشنع المعاصي والذنوب وأشدها حرمةً وقُبحاً وهو من الكبائر التي يهتزُّ لها عرش الله.
http://en.wikipedia.org/wiki/Religion_and_homosexuality.

وأخبرنا ذلك القس أن هذه العلاقة ليست من صلب الدين، وبمعنى آخر بأن الدين لا يتدخل ولا يملك أن يقول إنها حلال أو حرام.

وأضاف إبراهيم: وتوطدت علاقتنا بعد ذلك، ولكن لم تصل إلى حد الفعل الحقيقي، بل كان شعورنا تجاه بعضنا البعض كشعور الرجل تجاه الأنثى أو بالعكس أحياناً وبالتبادل أحياناً، إذ يطغى عليّ شعور الأنثى وأحياناً شعور الرجل، وبالنسبة له كذلك، وقبل أشهر من هذا التاريخ حضرت اجتماعات لرؤساء في هذه المجموعة، وكان فيها ممثل للمسلمين، وسافرنا بعدها إلى المنطقة الغربية في كندا لنشر دعوة إباحة الشذوذ في مقاطعة (بريتش كولومبيا) وكنت مع صديقي في غرفة واحدة في الفندق وراودتنا أنفسنا على الاقتراب من بعضنا البعض، وكان هو مستعد للأمر فقلت له لنؤجل الموضوع وذهبنا بعد ذلك للمشاركة في (مسيرة الفخر) لإظهار تعاطف المسلمين معهم، سكت إبراهيم وتنهد الصعداء وكأنه كان يركض وتوقف للراحة.

قلت له: أشكرك يا إبراهيم على صراحتك وثقتك بي، أنا أثق بأنك صادق وصريح، ولكن دعني أسألك هل تريد أن تكمل حياتك هكذا والاستمرار مع تلك الطائفة من الشاذين. . . .؟ أجبني بكل صراحة.

نظر لي وقال: لا أعلم . . .أحياناً نعم . . . . . وأحياناً لا . . . .لا أدري. . . . أحياناً كثيرة لا أدري ماذا أريد. . .؟

سألته: وهل يضغطون عليك في إثارة الغرائز في هذا الأمر. . . .؟

بالتأكيد. . قالها بتمتمة.

- وهل تشعر بالانجذاب إلى الأنثى أيضاً. . . .؟
- نعم أحياناً كثيرة. .
- و هل تريد أن تتزوج لإشباع رغبتك وشهوتك. . .؟. . . سكت قليلاً ثم سألته: وهل تريد أن أساعدك في التخلص مما تشعر به. . .؟
- نعم يا عمي، سأكون لك من الشاكرين.

- إذن كما أفهم منك أنك في داخلك ترفض هذه العلاقة. . ..؟
- لا أدري بين بين، أشعر أحياناً أنه عالم يبدو جميلاً وصديقي أخبرني أنه عالم رائع، وكنت أحياناً تواقاً للدخول فيه واستكشاف اللذة التي يقولون عنها، وأنها أحلي من العلاقة مع الجنس الآخر، أما في داخلي أحس بالعكس. . .أحسها وسخة ومنحطة (كان يقولها بصدق).

اتصلت بعد ذلك بصديق لي يعمل في مركز بحوث الأدوية فحصلت لإبراهيم عملاً في ذلك المركز، ومن محاسن هذا العمل هو إشغال كل وقت ذلك الشاب بالبحث والتجارب، وغيرها وهو ما يمنعه من أوقات الفراغ القاتلة التي تفسح له المجال في التفكير بالجوانب الجنسية والشهوات، أرسلت إبراهيم إليه وطلبت منه أن يأتي كل نهار جمعة للتواصل والحديث في أي شيء يريده، شكرني الشاب كثيراً على حسن استماعي ووعدني بالمجيء دائماً.

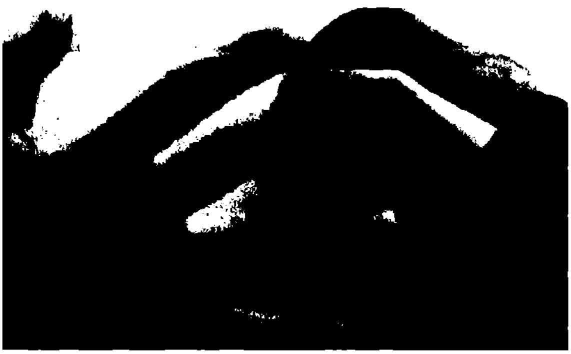
بدأ إبراهيم بالعمل، واجتمعت مع والديه، وقرّعت والدته تقريعاً شديداً، بل هددتها أن أخبر الجالية بسلوكها، وأنها كانت غير واعية بما فيه الكفاية في فسح المجال لإبنها لسلوك هذا الطريق، وطلبت منها أن تجد له زوجة مناسبة، ثم تكلمت مع الأب بنفس الطريقة، ولُمته لوماً كثيراً واتهمته اتهامات عديدة، وقلت لهما بأنهما مجرمان بحق ولدهما، وأنهما هما اللذان أوصلاه إلى حالته تلك، وحولاه إلى شخص بائس، وقلت لهما ما دام أنه لم يتعمق بممارسة الرذيلة إلى الآن فلنساعده، ونعمل على إنقاذه منها.

وفعلاً وبعد أيام قليلة وجدت له أمه زوجة صالحة من بنات الجالية وصارت إجراءات الزواج بشكل هادئ وخلال ستة أشهر تزوج إبراهيم وصرت أزوره دوماً، وكان في غاية الاستقامة والخير والصلاح، وكنت كلما زرته في بيته يسرع لتقبيل يدي عرفاناً بالجميل، فكنت أقول له أنا الذي يجب علي أن أقبل يدك، لأنك منحتني الفرصة لهدايتك إلى الطريق الصحيح السوي.

وبعد تغيير النظام في العراق 2003 قررت مغادرة كندا والعودة إلى

العراق، اتصلت بإبراهيم وأخبرته بقراري بعد أن شعرت في داخل نفسي أنني أكنّ شعوراً أبوياً تجاهه وتجاه زوجته أيضاً، وفهمت منه بأن الشابين يعملان معاً في مجال البحوث الطبية والأدوية ورزقا بعد أشهر بطفل عرفت بعدها أنهما أسمياه على إسمي. وكان آخر لقاء لنا قبل رحيلي دراميا لا يمكن وصف مشاعرنا حينها، وأذكر وقتها أنني سلمت عليهما وشددت على أيديهما وقلت: لولا وجود جذور الهداية في نفسك ولولا إصرارك وإيمانك بالخير لما اهتديت يا بني... فواصل حياتك وعملك وارتباطك بالله لأنه خير الحافظين، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.

التجربة العاشرة



الحياة ما أقساها

الحياة ما أقساها

هاجرت العائلة من منطقه الهلال الخصيب في 1981 إلى أمريكا واستقرت في ولاية واشنطن التي تقع على الزاوية الغربية الشمالية للولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد في مدينة (سياتل)[1] المعروفة بتقدمها العلمي في مجال صنع الطائرات ومجال البرامج في عالم الكمبيوتر، وهذا بالإضافة إلى روعة الطبيعة المشهورة بأشجارها الضخمة التي تملأ الغابات وتملأ المدن، وقد منعت الحكومة الأمريكية شركات البناء من اقتلاعها حفاظاً على صورة الطبيعة الجذابة للولاية.

سكن (عماد) مع عائلته المكونة من زوجته وابنتين وولد في شقة متواضعة في وسط المدينة سياتل، كانت ابنته الكبرى (سلوى) في الثانية عشرة من عمرها، وكانت تلميذة مجتهدة، وجد أبوها لها مكاناً في المدرسة الثانوية بعد أن قدّمت امتحان التأهيل، وقررت إدارة المدرسة قبولها في المرحلة الحادية عشرة.

---

(1) هي أكبر مدن شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية المطلة على المحيط الهادي، فهي مدينة مهمة في غرب أمريكا بالنسبة إلى التجارة مع الدول الأسيوية بالذات، تعتبر الولاية ديمقراطية في الوقت الحالي حيث فاز الرئيس الأمريكي المنتخب باراك اوباما فيها، وسياتل مشهورة لمناخها المعتدل وخضرتها الكثيرة، وبسبب ذلك هي معروفة باسم (مدينة الزمرد)، وبها جامعة واشنطن إحدى أكبر الجامعات الأمريكية العامة، الاقتصاد في سياتل يعتمد على خليط من صناعات القديمة والصناعات الحديثة المتمثلة في تكنولوجيا المعلومات والخدمات والتكنولوجيا النظيفة، يوجد في سياتل العديد من الشركات الكبرى مثل مايكروسوفت، أمازون دات كوم، بوينغ، كوستكو، نينتندو أف أمريكا، ويوجد مقر شركة واشنطن ميتشيوال أكبر مؤسسة ادخار أمريكية والتي أعلنت افلاسها في شهر سبتمبر من عام 2008.
http://en.wikipedia.org/wiki/Seattl.

أما (جمانة) وكانت أصغر من أختها وقُبلت في المدرسة المتوسطة في الصف الثامن، أما الابن الوحيد (فادي) فكان عمره آنذاك خمس سنوات وكان في المرحلة الابتدائية، وقد قُبل في المدرسة القريبة من البيت، أما الأم فكانت امرأة ريفية طيبة النفس هادئة الاخلاق تهتم بشؤون البيت تعمل ليل نهار كي تؤمن راحة عائلتها التي هجّرتها وشرّدتها الظروف السياسية إلى ذلك البلد البعيد عن العالم. . . . وقررت العائلة أن تكون الولايات المتحدة محطة حياتهم بحثاً عن الأمان والاستقرار، بعد أن أمّن لهم كل ذلك الأخ الأصغر لعماد الذي كان يعيش في مدينة (شيكاغو) حيث كان يعمل مهندساً في إحدى الشركات هناك.

عندما وصلت العائلة إلى سياتل بدأ عماد يبحث عن عمل مناسب علّه يتمكن من القيام بأعباء عائلته وتأمين احتياجاتهم من مأكل وملبس ومتطلبات حياتيّة مهمة.

وجد عماد عملاً في متجر للاغذية في وسط المدينة، بينما بدأ الأولاد في دراستهم وأمهم في عملها في البيت، وصار الرجل يعود إلى بيته في حدود الخامسة مساء ليجلس مع عائلته يتحادث معهم، بينما كان الجميع يعيش حالة من حالات الذهول للاختلاف الهائل الذي وجدوه في هذه البلاد الغريبة.

وبعد مرور سنة على عمله استطاع عماد أن يشتري سيارة صغيرة، فقرر أن ينتقل إلى شقه أكبر، لكي يؤمّن لابنته سلوى غرفتها الخاصة وهي على أعتاب المراهقة[1].

---

(1) كما هو الحال في بلداننا العربية والإسلامية فعندما تكبر الفتاة وتصل إلى عمر المراهقة يحاول الأب أو الأم إشعارها باستقلاليتها في البيت وشخصيتها، حيث يكون خطوة الغرفة المستقلة الخاصة مثالاً للنضج الذي ستتحلى به بعد فترة من عمرها. بالإضافة إلى أن السنة النبوية الشريفة قد أكدت على ضرورة اتخاذ هذه الخطوة (فرقوا بينهم في المضاجع) إذا بلغ الطفل مرحلة التمييز وهي المرحلة التي تسبق عمر المراهقة بفترة قصيرة، كذلك أكد هذه الحالة علماء الغرب وعلماء التربية في ضرورة الحفاظ على مشاعر الأولاد في داخل البيت وخطر استكشاف الغرائز في هذه السن الحرجة عند كلا الجنسين. وقد نشرت جريدة =

وهكذا يقرر عماد وفي بداية العام الدراسي في سبتمبر أن يقدم لابنته سلوى غرفتها الجديدة، وذلك بعد أن انتقلوا إلى شقة أكبر في أطراف العاصمة (سياتل) وبعد تأثيثها بأثاث جميل ناعم يليق بفتاة مراهقة وأشياء أخرى تعطي لابنته حرية الشعور بالاستقلالية والذاتية.

يبدأ العام الدراسي الجديد وسلوى قد دخلت في سنواتها الثلاث عشرة وبدأت أنوثتها تظهر واضحة على محياها وتصرفاتها، ولم يشعر الأب ولم يستوعب حجم هذا التغير على ابنته الكبرى سلوى، وكذلك الأم، بل كانا يعيشان في عالم الشرف والمحافظة على نفسهما في ناحية مشاعرهما وبطريقة تفكيرهما وكيف أن المكان الريفي الذي جاءا منه كان يعتبر البنت عندما تبلغ هذا العمر والذي يليه بأنها جوهرة ثمينة يجب الحفاظ عليها بشتى الطرق، كانا يفكران كيف أن الجار والقريب أيضاً عليهما حق المحافظة عليها كما هم أهل الفتاة، وكيف كان الأهل يهتمون بأدق التفاصيل بما يخص ملابسها، حشمتها وطريقة تعاملها مع الجنس الآخر، وطريقة ووقت خروجها وعودتها من وإلى البيت.

كان عماد وزوجته لا يزالان يعيشان في عقلية الشرق والقبيلة والحارة، ولم يخطر في بالهم في يوم من الأيام بأن الإنسان ومهما - كان ذلك الإنسان- هو وليد بيئته، والمجتمع له دور كبير في تكوين مفردات عقل الإنسان وغرائزه وانفعالاته، بل كانا يشعران بأن أولادهم هم نسخة من شخصياتهم، وأن المجتمع لن يتمكن من أن يمحو من عقول أبنائهم روح الشرف والعفة والطهارة وروح العائلة وكيانها، نعم كان عماد وزوجته يعتقدان بأن أولادهم قد يواجهون متاعب في أجواء الغرب ولكنهما - أي الأبوين- لم

= (نيويورك تايمز) في عددها الصادرة 19/ 9/ 1996 أن البحوث التي أجراها المعهد التربوي في واشنطن أن 80% من الأطفال (أولاد وبنات) الذين ارتكبوا جرائم جنسية (اغتصاب أو قتل) قد عاشوا في بيوت لم يحافظ بها أفراد العائلة (أب،أم،أخوة، أخوات) على الحشمة المفترضة في تلك المرحلة الخطرة من مراحل الأولاد والفتيات، وان تلك العوائل كانت (Liberal) متحررة في هذا الجانب.

يعرفا بالتحديد تلك المصاعب وما حجمها، وماذا يدور في المدارس الثانوية والابتدائية، وفي الروضة وما هي طرق التربية التي تفرضها مناهج التدريس الأمريكي، كل ما يعرفانه هو أن هناك خير وهناك شر في هذه الحياة، وبما أنهم ربوا أولادهم فمن الطبيعي أن يسلكوا سلوكاً لا يختلف عن سلوك العائلة، وسلوك البيت، وهذا طبعاً خطأ جسيم (سنقيّمه في نهاية هذه المقالة).

وتبدأ المقدمات مع سلوى عندما جاءت تخبر أبويها بأن إدارة المدرسة قد أرسلت ورقة تطلب من الأبوين التوقيع عليها إذ رغبا في السماح لسلوى بمرافقة صفها في رحلة إلى بحيرة تبعد 70 كم عن (سياتل)[1].... التفت الأب عماد في تلك الأمسية إلى زوجته كأنّه يسألها رأيها بطلب ابنته سلوى، بينما جاءت سلوى لتقدم له ورقه إذن الرحلة، سألها عماد عن الأمر.... فقالت الأم: إن سلوى تريد أن تذهب في رحلة مع صفها والمدرسة بحاجة للإذن منك، هز عماد رأسه وقال: حسناً حسناً إنها تحتاج إلى ترفيه وراحة، وتناول الورقة ووقعها وقدّمها إلى سلوى، وقال لها: هذا هو توقيعي، ولكن يا سلوى إياك من الاقتراب من البحيرة لأنني أخشى عليك من الغرق، ضحكت سلوى ضحكة باهتة ثم أجابته: لا تقلق يا أبي اطمئن لن يحصل لي أي شيء، تأكد من ذلك، أما الأم فلم تبال ولم تعرف ماذا يعني ذلك ولماذا هذه الورقة وأين هي البحيرة، وكأنها كانت تعيش على كوكب آخر. كل همها شغل البيت والتنظيف، كل ما تعرف أن ابنتها البكر ستذهب إلى مكان قررت هي - أي سلوى- أن مُتعتها واستئناسها مع رفيقاتها ورفاقها هناك بعيداً عن أعين الأهل، وتسافر سلوى في رحلتها يوماً كاملاً، عادت سلوى ليلاً في حدود الثامنة مساءاً إلى البيت بينما كانت العائلة تتناول طعام العشاء، فطلبت منها أمها تناول الطعام معهم لكي تخبرهم عن مفاجآت سفرتها، اعتذرت

(1) وهذا شيء متعارف عليه في الغرب، حيث تطلب إدارة المدرسة إذناً خطياً من أولياء أمور الطلاب لأي نشاط تقوم به المدرسة سواء أكانت رحلة مدرسية أم نشاطاً رياضياً أم عملاً اجتماعياً.

سلوى لأنها تعبةٌ جداً وتريد أن تستحم ثم تخلد إلى النوم، ثم دخلت سريعاً إلى غرفتها وكانت تعابير وجهها تنذر بحصول شيء غريب، ظن الأبوان أن التعب كان هو السبب في كل ذلك[1].

تمر الأيام وتزداد أعمال عماد ومشاغله ويصبح شريكاً مع صديقه في المتجر مما جعله يتأخر ليلاً للعودة إلى البيت، وصارت تجارته تدرّ عليه ربحاً جيداً، حيث تحسنت أحوالهم انتقلوا إلى بيت كبير جديد يقع في نفس المنطقة وصار جميع أفراد العائلة مشغولاً كلٌ في اهتماماته ومشاغله،عماد في متجره طيلة النهار، حتى ساعة متأخرة من الليل وحتى أيام السبت والأحد، إلّا ساعات قليلة أحياناً عندما تزورهم بعض العائلات القريبة.

في يوم من الأيام وكان يوماً مشؤوماً لعماد وعائلته رجع إلى بيته مساءاً بعد أن أغلق متجره كانت زوجته قد أحضرت العشاء وجلس إلى الطاولة لتناول الطعام، ولكنه انتبه أن سلوى غير موجودة على العشاء، فسأل عنها فأخبرته زوجته بأنها مع صديقها وهو يساعدها في التحضير والاستعداد للامتحان في نهاية الفصل، ولم يدر في خلد الأب أي سوء وسكت وهو مقتنع بما سمعه من زوجته.

تأخر الوقت وصارت الساعة الحادية عشرة والنصف مساءاً وبينما كان الجميع يستعد للنوم وإذا بالباب يُفتح، ثم تدخل سلوى تتأبط شاباً طويلاً بهي الطلعة قدمته إلى أبيها على أنه صديقها (Boy Friend) جاء ليقضي الليل معها... لم يصدق عماد عينيه، ولم يصدق ما سمعه، لم يصدق عندما رأى وجه ابنته ملطخاً بالماكياج وتفوح منها رائحة عطر قوي، لم يصدق أن هذه ابنته التي كان يراها مثال الخلق والطاعة لأبويها وإطاعة الله ومعرفة أعراف الإسلام وتقاليد العائلة والعشيرة، وإذا بها الآن وقد تحولت إلى نزوة تنطفئ في شرفه وقلبه وحياته.

---

(1) Mother's Education and the Intergenerational Transmission of Human Capital: Evidence from College Openings. Janet Currie. المصدر السابق

استشاط غضباً وبدأ بالصراخ، ثم انهال على وجه ابنته بصفعة قوية، ثم صفع صديقها أيضاً، فخرج الاثنان بسرعة خارج البيت وهما يتوعدان ويهددان. . . .!

لم تمض إلّا فترة قصيرة ربما نصف ساعة حتى طرق الباب، كان رجال البوليس يحيطون بالأب الغاضب ويضعون الحديد في يديه، ويقودونه إلى السيارة أمام نظرات زوجته التائهة وضحكات ابنته سلوى وصديقها، اقتيد الأب إلى السجن، وفي الواحدة صباحاً اتصلت زوجة عماد برجل دين الناحية وهو شيخ جليل محترم، وشرحت له ما جرى لزوجها، وكيف أنه الآن قابع في السجن، قام الشيخ وتوجه إلى بيت عماد كي يواسي العائلة بما أصابها في بلاد كانت وما تزال غريبة لهم، دخل البيت فوجد الجميع في حالة من الحزن والغضب والبكاء، بينما سلوى جالسة في غرفتها بكل هدوء وكأن الأمر لا يعنيها أبداً، ناداها وطلب منها باحترام وهدوء أن تشرح له ما جرى.

فقالت: أنني أعيش في الغرب وأنا شابة شارفت الآن على السادسة عشرة وأعرف جيداً ما أفعله وما هو في مصلحتي، وإننا نعيش في بلد الحرية، وكل إنسان يواجه القانون بمفرده. وشأني هنا كشأن أي شخص آخر من أقراني في المدرسة في علاقاتهم الشخصية التي يرغبون بها، ثم إنني لم أؤذِ أحداً بهذه العلاقة.

فإذا كان أبي لم يتفهم ذلك فإنّ الخطأ خطأه، وليس خطئي، إنه إنسان مسكين يعيش بعقلية الشرق في مفاهيمه، وأفكاره الرجعية، وأنا أجد نفسي حُرة وغير ملزمة بما تحدده مفاهيم الشرق على عقلية الآخرين أمثال أبي وأمثالك، لهذا لا يحق لأحد التدخل في ما أراه مناسباً لي كما لا يحق لي التدخل في حياتكم، صمت الرجل طويلاً ومسح على لحيته ليحاول أن يبحث عن أي جواب أو تعليق، ولكنه لم يتمكن من معرفة بماذا يبدأ حديثه مع هذه الشابة النزقة الوقحة، فقرر الصمت وعدم التحدث إلّا في قضية واحدة وهي إخراج الوالد المسكين عماد من غياهب السجون الرهيبة المليئة بالمجرمين

والقتلة المحترفين ومن تجار المخدرات الكبار[1].

المهم إنقاذ الأب من براثن ذلك السجن الرهيب ولا يمكن ذلك إلّا بالتعاون مع هذه الفتاة الوقحة، فإذا شهدت بالمحكمة بأقوالها أن أباها قد صفعها بدون سبب فهذا يعني أن عليه على الأقل أن يقضي سنوات صعبة في السجن، ولهذا فكر الرجل العالم أن يعطي الأولوية لقضية الإفراج عن الأب المسكين بالتعاون مع سلوى، وليس هناك من مجال للتحدث عن الشرف والدين والأعراف، بقي عماد في السجن ثلاث ليال متتالية وأحضر يوم الاثنين ليمثل أمام القاضي كي يحدد الكفالة المناسبة، ويقرر بعد ذلك إنه سيفرج عنه، أو إذا كان عماد مؤهلاً كي يخرج من السجن، وإلّا فسوف يبقى في السجن إلى حين موعد محكمته الأساسية.

ويتم إحضار عماد ويداه ورجلاه مقيدتان بالحديد في غرفة جانبية خاصة، يفصل بينها وبين القاضي ألواح من الزجاج، وبدأ على وجهه علامات التعب والألم، ويتم فك السلاسل كي يقف إلى جانب المحامي الذي عيّنه (الأمام أو الشيخ) ثم بدأت المساءلة فيما إذا كان الرجل يستحق الإفراج عنه بكفالة، تقدم أولاً المدعي الحكومي ليروي الحادثة ولتثبيت التهمة محاولاً إلغاء أي قرار يستدعي الإفراج عنه بكفالة، وقد وجهت له ثلاث تهم رئيسية أولاً: الاعتداء على الآخرين يعني ابنته، وثانياً: التهديد بالقتل، وثالثاً: عدم احترام حقوق البنوة..[2].

وطبعاً هذه التهم الثلاث كل واحدة منها كافية أن ترسل عماد إلى السجن سنة واحدة فإذا أثبتت كلها يعني ثلاث سنوات.

ثم قال المدعي بأن السيد عماد قد يهرب من البلد إذا أفرجت عنه المحكمة بكفالة فهو شرقي عربي، ومن بلد لا يرتبط مع الولايات المتحدة

(1) Children in Immigrant Families Looking to American's Future: Donald J. Hernandez, et. al.

(2) Parent's Guide to New York State Child Neglect and Abuse Laws, New York City Children's Services.

الأمريكية بقوانين تبادل المجرمين، لذلك فإنه يرى أن السيد عماد غير مستوف لشروط الكفالة.

نظر القاضي في وجه عماد ثم سمح لمحاميه بالكلام، فقال المحامي إنه لم يدرس جيداً ملف القضية، وحقيقة ما جرى في تلك الليلة ويحتاج إلى وقت، ولكنه لا يرى ما يعارض قبول الكفالة، خصوصاً وأنه قد طلب من الجالية إحضار من له قدرة على دفع الكفالة فيما إذا هرب عماد، وبعد رد وجواب قرر القاضي قبول الكفالة ما قيمته نصف مليون دولار ويوقعها شخص يملك الجنسية الأمريكية وله القدرة على دفع المبلغ نقداً نصف وتوضع في حساب في البنك تؤخذ في حالة عدم مثول عماد أمام المحكمة في موعد يحدد لاحقاً، ثم طلب القاضي منه عدم التعرض لابنته لا بالكلام ولا بالإشارة، وأن لها الحق في ممارسة حريتها في بيته أو في خارج بيته إذا رغب الأب عدم إيوائها. . . . فعندها تقوم حكومة الولاية بالإشراف على البنت وبإعطائها حق ولاية أمرها. وهو إجرّاء يحق للولاية أخذ البنت من بيت أبيها وتوفير سكناً لها خاص لا يعرفه الأب أو العائلة، وإذا رغب أحد أفراد العائلة زيارتها أو رؤيتها عليه أن يطلب ذلك من خلال المحكمة.

ثم توجه القاضي إلى عماد قائلاً: هل ترغب بإيواء ابنتك في بيتك بشرط ممارسة حريتها كما تشاء دون أن تمنعها. . .؟

سكت الرجل المسكين متحيراً لا يعرف بماذا يجيب، هل يسكت على تلك الحالة الشاذة في بيته، وبين أهله. . .؟ هل يمكنه العيش هكذا . . . .؟ أم أنه يسمح للحكومة أن تأخذ ابنته منه وتعمل بها ما تشاء، وتفسح لها المجال في القيام بكل موبقة لا تستطيع فعلها وهي في بيته. . . . . . .؟

إنهما خياران أحدهما أصعب من الآخر، إنه عذاب بطيء، وموت هادئ سيعيشه في بيته وكل حياته.

تدخّل محامي عماد ليقول للقاضي بأنه سيبحث مع موكله هذا الأمر وسيُعلم المحكمة عن القرار المناسب، ولكنه أضاف قائلاً: بأنه إلى الآن لم

يتمكن من توفير من له القدرة على وضع المبلغ المطلوب في البنك بمن تتوفر فيهم شروط الكفالة، وعندها رفع القاضي الجلسة إلى الأسبوع القادم لحين تأمين ذلك المبلغ من أي شخص يعرفونه، ويبقى بذلك السيد عماد أسبوعاً آخر في السجن إلى حين تمكنت الجالية من الحصول على من له القدرة على تحمل أعباء الكفالة من الجالية العربية والإسلامية.

خرج عماد من السجن محملاً بهموم أكبر من الدنيا، رجع إلى داره فوجد أطفاله قد انقسموا بين مؤيد لسلوى وهي أختها جمانة، وبين معارض لها وهو أخوها الصغير فادي، أما الأم فإنها حائرة لا تدري ما تقول وماذا تفعل[1].

تشخيص المشكلة

- في أول اجتماع بين الأب وبين بعض الوجوه الملتزمة للأخذ بآرائهم ونصيحتهم قال السيد عبد الهادي وهو رجل ذو خبرة طويلة في عالم الغرب: إسمعني يا سيد عماد لم تفقد ابنتك يوم فقدتها في ليلة الجمعة ليلة ضربك لها، وإنما فقدتها عندما قررت أن تشتغل بمتجرك 12 ساعة في اليوم، وفقدتها عندما سمحت لها أن تسافر مع طلاب صفها إلى البحيرة، وفقدتها عندما لم تسأل عنها وعن علاقاتها. . . . وفقدتها يوم لاحظت علامات التغير في سلوكها وشكلها، ولم تكلف نفسك وتسألها حتى سؤال واحداً، إن تلك العوامل هي عوامل الانحراف التي أدّت بابنتك إلى هذه النتيجة المزرية، وأضاف السيد عبد الهادي قائلاً: إنك تركت ابنتك فريسة المجتمع، وفريسة تناقضات الكفر، وتناقضات العلمنة والشيطان فكيف تتوقع منها أن تصون نفسها وتحترم آرائك. . .؟

(1) Christopher Wildeman, Children of Imprisoned Parents- Un-Intended Causalities of the Prison Boom. 2011.

- إن المفاهيم الإسلامية والأخلاقية يجب أن تبدأ من اللحظة الأولى التي تصل العائلة العربية والإسلامية إلى عالم الغرب، ويجب أن لا تتوقف عملية إعطاء وتقديم تلك الإرشادات إلى الأبناء أبداً، حتى يصل إلى مراحل متقدمة من العمر وعندما يتمكنون من الحصول على معلومات كافية لتحصين أنفسهم أي بعد الثلاثين أو الأربعين.
- على الأبوين أن لا يطمئنا إلى عالم الغرب ومغرياته مهما كان أبناؤهم في مستوى من الالتزام والانضباط، وخصوصاً البنات اللاتي هن في طور المراهقة، وعليهم أن يتخذوا أقصى خطوات الحذر في هذا المجتمع الصعب، لذلك فإنّ من أهم الأخطاء التي وقع بها عماد وزوجته هو أنهم فهموا المجتمع الغربي ومجتمع المدرسة الثانوية من خلال مظاهر عامة يرونها في الشارع، وفي سلوك المراهقين خارج المدرسة، وهذا لا يعكس بالضرورة واقع المدرسة الثانوية وواقع المجتمع ككل، وعليه فعلى الأب المسلم والعربي في الغرب أن يفهم نظام ومسيرة مدارس أبنائهم وأن يعيش بنفسه ويلاحظ بأم عينيه كيف هو واقع المدرسة الابتدائية، والثانوية، لأن تلك المراحل هي من أخطر المراحل وأصعبها.
- يجب على الأم والأب أن يلاحظا أدنى وأقل تغيير في سلوك أبنائهم. وهم يعيشون في الغرب، وأن لا يعتمد أحد الأبوين على ملاحظة الآخر، وإنما تكون الحصيلة هي رأي الاثنين كليهما، وهنالك الكثير من المداخلات السلوكية التي قد يكتشفها الأب ولا تكتشفها الأم، أو بالعكس، وفي ما يخص سلوى فالوالدة والوالد لم يقوما بأي جهد لمعرفة تأثير المجتمع على ابنتهم سلوى، ولم يلاحظا ويفهما التغيير البيولوجي الذي كانت سلوى تمر به وهي في دور المراهقة على سلوكها النفسي.
- أن لا يطمئن الأب أو الأم إلى أي سلوك منحرف مهما كان صغيراً، لأن الانحراف في أي سلوك إذا لم يتم معرفته ومعالجته سيكبر

بالتأكيد، ويتطور إلى سلوك عادي لدى الأبناء وتصبح النتيجة لا تحمد عقباها، فحينما لاحظ الأب أو الأم أن هنالك تغيراً في شكل ملابس إبنتهم سلوى، حيث بدأت تلبس الملابس الضيقة والقصيرة والمثيرة، واعتبر الآخرون أن ذلك طبيعي بالنسبة لبنت في عمر المراهقة حيث أن ذلك يعتبر من الصغائر فحاولوا التغاضي عنها أو تناسيه، كما أن الأم التي كانت أكثر فرد في العائلة من المفترض أن تنتبه إلى أشياء كثيرة تغيرت في غرفة ابنتها من ناحية وجود أدوات الزينة والتبرج وأشكال وألوان من الملابس لا تليق بتربيتهم لسلوى، وتتنافى مع أخلاقهم وعاداتهم، لم تبادر إلى الوقوف موقف الممانعة أو الاعتراض، وكانت سلبية في كل شيء، ولم تتكلم مع ابنتها، ولكنها أكملت حياتها وكأن شيئاً لم يكن.

- على الأب والأم أن لا يقيسوا سلوك ابنتهم على ضوء مقياس المجتمع الغربي، ومجتمع المدرسة الثانوية، فمثلاً حينما ترتدي الطالبات الغربيات الشورت القصير فإنّ أهل سلوى رأوا أن امتناع ابنتهم عن ارتداء ذلك النوع من الشورت هو حسنة من حسناتها، ولذلك وافقوا على أن ترتدي سلوى لبعض الملابس غير المحتشمة في نظر الأعراف الإسلامية، مع أنها في المجتمع الغربي قد تكون العكس، وقد أدّت هذه الحالة أن تقيس سلوى نفسها بواقع المجتمع الغربي، وليس بواقع الحالة الإسلامية والعربية المفترضة.

الوقاية والعلاج

لقد تكررت حالة سلوى مع أبويها في الكثير من الأمثلة في الغرب، وقد يكون السبب قريباً أو بعيداً، ولكن عموماً تكون الحلول هي ما يعرف بالوقاية، لأن الوقوع في براثن المجتمع الغربي، وفي فخ الانحراف قد يصعب على الأب والابن التخلص منها، كذلك فإنّ العامل الرئيس الذي نتوق إليه هو الوقاية، والوقاية في قصة سلوى والعبرة منها تتلخص في نقاط.

- المتابعة المستمرة اليومية وأعني فعلاً اليومية للبنت، وخصوصاً إذا انتقلت من كونها طفلة صغيرة إلى فتاة مراهقة في مرحلة حرجة من حياتها.
- فتح قنوات الحوار الهادئ مع البنت ومحاولة التحدث في كل شيء وبكل ثقة ووضوح حتى لو كان الأمر يغضب الأهل.
- اطلاع الوالدين المستمر والدائم على وضع المدرسة الثانوية، وذلك بزيارات مستمرة واتصال دائم بالمعلم والمرشد التربوي.
- التعرف على أصدقاء أبنائهم، ومساعدتهم على اختيار أصدقاء جيدين ومن عوائل محترمة.
- معرفة الأهل باللغة الانكليزية التي يفهمها الأبناء جيداً، والتي سوف تصبح لغتهم في بلاد الغرب بين أصدقائهم وفي الشارع والبيت والمدرسة، وذلك لمعرفة ما يجري من حولهم من أشياء غريبة ومن اختلافات على نطاق التلفزيون أو غيرها.
- الانتباه لباقي أفراد العائلة فيما لو حدث أي شيء مماثل لم يكن في الحسبان.
- خلق حالة من حالات الفصل الحضاري والديني والأخلاقي والنفسي ما بين الجاليات المسلمة العربية وبين الطلاب الغربيين في محيط مجتمعهم والتمييز الدائم في العادات وتوضيح وشرح تلك العادات والتقاليد للأبناء.
- دوام الممارسة على الصلوات والواجبات الدينية الأخرى، والمثابرة على التكلم بلغة عربية صحيحة ودائمة وخاصة في البيت بين الأهل والأصدقاء.
- الاصطحاب لأبنائهم إلى الجوامع وأماكن العبادة والاختلاط الدائم مع أبناء الجاليات العربية المسلمة.
- عدم التعرض إلى كل ما من شأنه أن يخرق القانون الغربي أو يتجاوز مواده.

- أن تشترك العائلة برمتها في الحل حتى الأطفال الصغار بأعمار الخامسة أو السادسة.
- محاولة تضييق وانتشار أخبار الحادثة ما بين أفراد الجالية وعلى أقل نطاق ممكن.
- الابتعاد عن أسلوب العنف تماماً من قبل العائلة .
- أن يحسب الأب والأم حساباً للربح والخسارة على نطاق المبادئ لا على حساب المادة فحسب.
- أن تتكاتف العائلة بأبجمعها تجاه مواجهة هذه المأساة، وان لا يلوم أحدهما الآخر بأنه كان سبباً للمشكلة.

لا قدر الله لو حصلت حالة من حالات الانحراف كما حدث في قصتنا هذه. . كيف يمكن أن يتصرف الأب وماذا على العائلة أن تفعل. . ..؟

هنالك نقاط مهمة قد تدخل في نطاق العموميات، أما الخصوصيات فهي تابعة إلى كل حالة على حدة، هذه النقاط يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار حسب الأولويّة، ويجب أن لا تقدم خطوة على أخرى، إلّا إذا كان الحل ضمن نطاق الخصوصية.

والآن العلاج في هذه الحالة التي شرحناها:

خطوات الحل ما يلي:-

أولا: أن يدخل الأب في حوار هادئ جداً مع ابنته[1] في شأن اتخاذها خطوة علاقة صداقة محرّمة مع شاب وما دافع ذلك، كذلك الأمر في حالة الابن. . .. وتركيز نقاط الحوار لا على جانب الحرام والحلال فقط، وإنما يركز على الجانب النفسي والاجتماعي أيضاً مثل :

- هل يمكن للبنت أن تخرج في تصرفها عن ما يؤمن به أبوها، سوّاء

(1) A Guide to Creating Teen-Adult Conversations in Your Community.2010.

أكان ذلك صحيحاً أم خطأً ....؟ ثم يضرب لها مثلاً في الطاعة التي يقدمها الكثير من أبناء الغرب تجاه عوائلهم، سبب الصراحة تلك هو رفض العائلة لنوع معين من التصرف.

- هل تعرف البنت مدى عمق الجرح الذي تسببه لوالدتها ووالدها، وأفراد أسرتها حينما تقدم على هذا العمل...؟ فإذا كانت تحب عائلتها وأباها عليها أن تمتنع عن كل ما يسيء لعائلتها.
- معرفة دوافع تلك العلاقة ومحاولة التوصل مع البنت إلى أن الدافع الرئيس هو (الجنس) وإشباع الجانب الغريزي، فإذا كان ذلك .. فإنّ الأب أو الأم أو كليهما يحاول أن يؤكد خطر وطغيان هذه الغريزة الجنسية على الغرائز الأخرى، وأن غريزة الجنس غريزة وقتية لا تترك في نفس الإنسان إذا لم تستعمل بصورتها الطبيعية إلّا الشقاء والألم، ثم محاولة تشبيه تلك الغريزة بنهم الجائع إلى الأكل وأنه عندما يأكل فإنّ نهم الجوع يموت في نفسه، وكذلك الحالة الجنسية، وعلى الإنسان أن يتصور خطورة الانحراف نحوها بل يحاول ضبطها بوسائل كثيرة.
- تقديم تقرير من البحوث الغربية المؤكدة على خطورة إقامة علاقات غريزية جنسية بين الشباب، وكيف تنعكس سلبياً على حياة ذلك الشاب وعلى المدى البعيد. إضافة إلى جوانب أخرى من الأحداث التي قد نجدها في هذا الكتاب، أنظر التقرير المهم في الهامش الذي يحوي على إحصائيات يجب على كل عائلة أن تقرأها مسلمة كانت أم مسيحية[1].

(1) Teen sexual activity rates have been dropping for over a decade, and now the majority of high school students are virgins. Centers for Disease Control, "Youth Risk Behavior Surveillance - United States, 2005," Morbidity and Mortality Weekly Report 55:SS-5 (June 9, 2006): 19; Centers for Disease Control, "Sexual and Reproductive Health of Persons Aged 10-24 Years – United States, 2002-2007," Morbidity and Mortality Weekly Report 58:SS-6 (July 17, 2009): Table 26. =

ثانيا: أن يحاول الأب معرفة عمق العلاقة ما بين ابنته أو إبنه وبين ذلك الشاب أو الشابة، فإذا كانت العلاقة قد وصلت إلى درجة لا تراجع عنها، فعندئذ يجب على الأب أن يختار خياراً صعباً ينحصر ما بين زواج ذلك الشاب بابنته، أو هجرة كل العائلة إلى بلد آخر، أو الرجوع إلى البلد الأم وتزويج البنت، هذا إذا افترضنا أن البنت قد قبلت مرافقة العائلة إلى الشرق، أما إذا رفضت فالزواج من نفس الشاب هو الحل الأنسب مع رعاية مستمرة من قبل الأب لتحسين تدينها وأخلاقها، مثل إيجاد فرص عمل له وربطه بالعائلة وتقويم تلك العلاقة وتحويلها إلى علاقة منتجة.[1].

أما إذا كانت علاقة ابنته بالشاب علاقة سطحية جداً مثل علاقة الحب العادي مثلاً فهنا يجب أن يبذل الأب جهداً استثنائياً لكي يبعد البنت عن الشاب، وأول تلك الحملات هو الإحاطة الكاملة للبنت وأبعادها عن كل الأجواء المثيرة، بل إعطاؤها من الحب من قبل الأبوين ما يعوض عن الشاب مع حوار مستمر، وبصورة غير مباشرة عن خطورة هذا الطريق ووعورته والآلام المتسببة من السلوك المنحرف.

كما يُفضل أن تُغيّر العائلة أماكن سكناها والانتقال إلى مكان آخر مع أهمية عدم علم البنت بأن سبب الانتقال هو تلك العلاقة المحرمة، أما إذا رفضت البنت كل تلك الحلول وتمردت على توجيهات الأب والعائلة، فهنالك طريق واحد فقط أمام الأب والأم في علاقتهم مع إبنتهم هو دوام التوجيه،

= Between 1991 and 2005, the sexual activity rate of high school boys dropped twice as quickly as that of high school girls. Centers for Disease Control, "Trends in HIV-Related Behaviors Among High School Students - United States 1991-2005," Morbidity and Mortality Weekly 55:31 (August 11, 2006): 851-854.

Among those who have already lost their virginity, two-thirds of them wished they had waited longer to have sex (77 percent of girls and 60 percent of guys). National Campaign to Prevent Teen Pregnancy, "America's Adults and Teens Sound Off About Teen Pregnancy: An Annual National Survey," (December 16, 2003), 17. (all of these report in a websitr: (http://chastity.com/seminars/statistics/statistic).

(1) A Father's Consent to the Marriage of His Minor Daughter: Feminism and Multiculturism in Jewish Law. Yehiel. Kaplan. Review of Law and Social Justice.

ودوام الملاحظة والمراقبة، ودوام القرب منها ومنعها من الخروج بمفردها أو تركها في البيت بمفردها هذا بالإضافة إلى الرعاية المستمرة في المدرسة وغيرها من الأماكن.

أحياناً تحاول البنت الهروب من البيت والسكن لمفردها، أو مع صديقها، إذا وصلت الأمور إلى تلك المرحلة فنصيحتي للآباء عدم ملاحقتها ومراقبتها والتعلق بها لأن ذلك يقوي من موقع البنت في الاستمرار بتصرفاتها اللاأخلاقية، بل على الأبوين أن يتخذا خطوة شجاعة وحاسمة وهو نسيان الارتباط العائلي بينهما وبين إبنتهما.

بعض العوائل ترى أن البنت إذا خرجت خارج البيت وسكنت بمفردها أو مع صديقتها فإنّ العلاقة تبقى مع العائلة على الأقل من خلال الزيارات والتلفون، لصعوبة كسر أو قطع رابط الأمومة والأبوة مع إبنتهم، هذا الخيار في الحقيقة صعب جداً، لأنه يحتوي على تبعات تنعكس على مستقبل الأبوين وعلى شخصيتهما وعلاقتهما بالله وبإسلامهما.

ولكن الشيء الأكبر من ذلك هو التأثير السلبي الكبير على بقية الأولاد حيث أثبتت الأحداث أن البقية من أفراد العائلة سوف يسلكون سلوكاً لا يقل سوءاً عن تصرف أختهم الكبيرة أو أخيهم الكبير، والشيء المهم كما لاحظنا في كل ما سلف هو ضرورة اتخاذ خطوات حاسمة اجتماعية وتربوية خلال السنوات الأولى من عمر البنت والاهتمام بتربيتها تربية صالحة مستندة على تعاليم القرآن والإسلام[1].

فالتربية وخطواتها تابعة للزمان والمكان، فالخطوة التربوية المعينة هي أن يعمل بها في زمان ومكان محددين، فإذا تأخرت أو تقدمت فإنها سوف لن يكون لها تأثير على عقلية الأولاد ومثلها كمثل الثمرة التي تفسد إذا لم تقطف

---

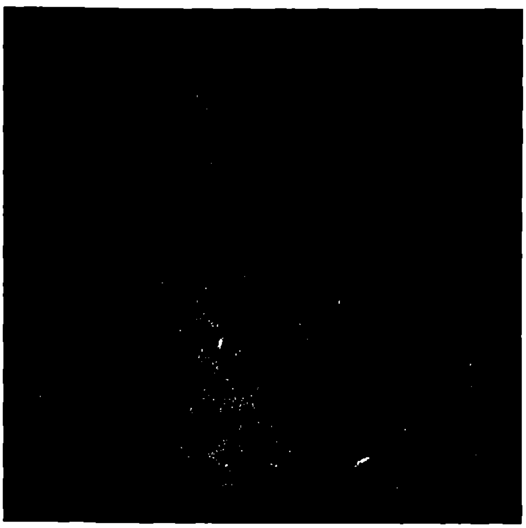
(1) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

في غير أوآن نضجها، وعليه فإنّ تأخر المبادرة إلى تربية البنت سوف لن يؤثر على صلاحها وعلى استقامتها فقط، بل قد يؤدي إلى العكس أحياناً.

إن قصتنا مع سلوى سوف ترى ذلك جلياً فيما لو أراد الأب عماد أن يقوم بعملية تربيتها وتوجيهها، فإنّ ذلك سوف يكون غير مجد، بل قد ينقلب إلى العكس.

وهنا نشجع الآباء والأمهات إلى التخطيط المبكر للتربية حسب عمر أبنائهم وأن لا يدعوا فرصة أو مرحلة زمنية تمر بدون ممارسة دور التربية.

التجربة الحادية عشر



أوبرا

أوبرا

كانت (أمرآء) بنت لطيفة هادئة محبوبة تلعب مع بناتي وهن في أعمار ما قبل الابتدائية، تأتي إلى بيتنا ليقضين وقتاً ممتعاً مع الاثنتين اللتين تقتربان من أمراء في العمر، كنت أناديها عندما تأتي إلى بيتنا (عمرة) بدل أمرآء لأني أحب إسم عمرة، وهي الفريضة الإسلامية الجليلة التي ينوي المسلم في حياته أن يذهب إلى حيث مهبط الوحي ليرى هنالك كيف انطلق هذا الدين العظيم، وكانت عندما أناديها بهذا الاسم تفرح كثيراً، وكانت تقول لي يا عمو أن حرف العين صعب النطق على الأمريكان، فكنت أجيبها: لا بأس سأناديك (Omra) وهو إسم أكثر جاذبية بالنسبة لها وقريب من (Opera) التي يعرفها الجميع[1]، وهكذا تحول اسم أمراء إلى (Opera) وصار الجميع ينادونها بذلك وهي فرحة تلعب في البيت وتتراكض على الثلوج الهابطة على جبال هذه الولاية المترامية الجميلة في الشرق الأمريكي.

---

(1) أوبرا جايل وينفري Oprah Gail Winfrey مقدمة برامج حوارية أمريكية وممثلة مسرحية وشخصية عالمية، تحظى بالاهتمام على مواقع الإنترنت والصحف والمجلات وفي القنوات التلفزيونية والاذاعية، ولدت في 1954 وعاشت طفولة فقيرة، والدها كان حلاقاً، والدتها كانت تعمل في خدمة البيوت، عاشت عند جدتها في حي فقير بعد انفصال والديها إلى أن بلغت السادسة من عمرها، بلغت ثروتها عام 2003 مليار دولار مما وضعها في المرتبة 427 في اللائحة التي تضم 476 ملياردير اً. وحسب تصنيف مجلة فوربس لعام 2005، احتلت أوبرا المرتبة التاسعة في أول 20 شخصية من النساء الأكثر نفوذاً على صعيد وسائل الاعلام والسلطة الاقتصادية، كما احتلت المركز الثاني حسب تصنيف مجلة فوربس لعام 2005 في قائمة أكثر الشخصيات تأثيراً في العالم الذي ضم 100 شخصية، وصعدت وينفري لتحل محل ميل جيبسون من حيث الثروة فقد بلغ دخلها السنوي 225 مليون دولار. راجع تأريخ حياتها من خلال:

(http://es.wikipedia.org/wiki/Oprah_Winfrey).

فكنت أهتم أن أصطحب أطفالي وأصطحب (أوبرا) معي تلعب معهم وتتزلج على الجليد فرحين بما آتاهم الله من نعمة الصحة والعافية والقدرة على المعيشة المرفهة في هذا العالم، وكان أب الطفلة[1] يأتي أحياناً إلى البيت ليأخذ ابنته لإرجاعها إلى بيتهم، وكنت استقبله أحياناً. نجلس نتحدث حول بعض هموم الجالية الإسلامية، وكنت أنا من جانبي لا أتوقع أن ابنتهم سوف ترتدي الحجاب ما دام الوضع العائلي بهذه الصورة من عدم الالتزام بالحجاب، ولكني كنت حريصاً على أن تبقى هذه البنت الصبية في أجواء عائلتي لعل ذلك يكون طريقاً لها في أن تلتزم بأكبر قدر من الممارسات الإسلامية.

وهكذا تسير الأيام وتمضي السنوات وتنتقل الأعمار ليكون الجميع بعمر المراهقة[2] وفي ذلك تغيبت أوبرا عن زيارة بناتي اللاتي كبرن أيضاً وبدأن في اختيار زميلات أخريات يلائمن وضع الحجاب ووضع البيت، وكنت بين الحين والآخر أطل على بيتهم وأنا في طريقي من مركز التسوق كي أسلّم على الأبوين، وأرى أوبرا التي كنت أطمح أن أربطها بالتقاليد الإسلامية التي غالباً ما كنت أعلّمهم وأربيهم عليها عندما كانت تأتينا إلى البيت في السابق، وكنت أتعامل معها كطفلة مع أنها أصبحت مراهقة جميلة طويلة القامة ذات شعر أصفر طويل وهو ما كنت أخشاه عليها من أن تكون هدفاً للباطل في الإيقاع بها، ولكن أوبرا لم تدر ما أريده منها، بل كانت تعتبر ذلك نوعاً من المجاملات التي اعتاد المجتمع على القيام بها. وعندما كنت ألتقي بأبويها في

---

(1) مع إنه كان يجاملني في الحديث وفي الافكار والتي كنت على علم بأنه لا يؤمن بالكثير مما كنت أؤمن أنا به من اهتمام بالجالية الإسلامية والأبناء ورعايتهم، ومن ثم مراقبتهم من انحرافات المجتمع الغربي، كان الرجل طيب القلب مثقفاً ذا تخصص جيد في مجال عمله، وكان جلّ اهتمامه هو أن تكون ابنته أوبرا على سلوك مرضٍ بشأن علاقاتها والتزاماتها، أما أم أوبرا فكانت لا ترتدي الحجاب، ولكنها ملتزمة بحشمتها وفي أفكارها وسلوكها.

(2) وهو ما يفرز العلاقات والتقارب ما بين الأبناء الشيء الكثير، ففي هذا العمر يميل المراهق أو المراهقة إلى نوعية معينة من الاصدقاء ليس بالضرورة أن يكون نفس الطراز الأول الذي اعتاده في حياته التي سبقت فترة المراهقة.

مناسبات دينية أو اجتماعية أسأل عنها، وعن دراستها وأحوالها وكان الجواب دائماً بالإيجاب.

وفي إحدى تلك الأيام القارصة من شهر يناير جاءتني زوجتي وأخبرتني أنها لمحت في مطعم (ماكدونالد) القريب من بيتنا شلّة من الشباب وكأن أوبرا كانت معهم كما تعتقد.

سألتها هل أنت متأكدة ....؟ قالت: لا لست متأكدة، ولكن في هذا العالم ليس هنالك ما تستبعده في أجواء الفوضى الغربية.

ركبت سيارتي ثم وضعت واقية الرأس من البرد وللتنكر أيضاً، وذهبت إلى ذلك المطعم كي أتأكد من الأمر. وما أن دخلت المطعم متظاهراً بأني زبون من الزبائن، حتى وجدت البنت الطيبة البريئة أوبرا تجلس مع مجموعة من الشباب النزق وقد علت وجهها مساحيق الزينة فظهرت أجمل مما كانت قد رأيتها قبلاً، تألمت جداً، بل حزنت كثيراً في موقف لا أتمكن القيام بما أتمكن به أن أنقذ براءتها من هؤلاء الشباب من الشياطين المنحرفين، فكرت أن أقترب منها وأكلمها أو أن أذكرها بواجبي تجاهها، ولكن ذلك ليس من باب العقل في الوقت الذي كان من الممكن أن ترد علي وتقول بأنها الآن أصبحت راشدة، وأني أملك تبعات تصرفاتي وتبعات عملي، وعليه قررت أن أغادر المطعم ثم أفكر بالخطوة المقبلة التي يجب عليّ اتخاذها[1].

في اليوم الثاني قررت أن أقوم بما كنت سابقاً أقوم به. وهو المرور على بيتهم في عطلة نهاية الأسبوع بعد رجوعي من التسوق كما كنت سابقاً أفعل، وكان رأيي أنني قد ألمس من الأبوين شياً ما يمكنني من خلاله معالجة الموضوع. وهكذا فعلت بعدما أنتهيت في هذا اليوم من مشوار التبضّع، انحدرت على بيتهم لأسلّم على العائلة وأستكشف ما يمكن استكشافه من

(1) Hanging Out or Hooking Up: Clinical Guidelines on Responding to Adolescent Relationship Abuse. By Elizabeth Miller, Our vision is now our name. Formerly Family Violence Prevention An Integrated Approach to Prevention and Intervention. 2012.

جديد في الأمور، ولكن الذي وجدته أن الأبوين لم يكونا على علم بما يجري في الكواليس[1].

مر على الحادث سنتين أو أكثر سافرت خلالها إلى الشرق الأوسط للقيام ببعض الاعمال التجارية، وعند رجوعي من هنالك صادف أن التقيت في مناسبة دينية بالأب الذي كان جالساً في إحدى زوايا الجامع، فتوجهت إليه مباشرة ثم جلست إلى جنبه أسأله عن أحواله وأموره فوجدته حزيناً كئيباً منطوياً على نفسه، فقلت في داخلي لعل الرجل متأثر من زياراتي المتكررة لهم، ثم حاولت الانصراف قبل أن أسأله عن أوبرا، قمت لأودعه، استوقفني ضاحكاً، ثم قال لي لم تسأل عن أوبرا......؟

ابتسمت، ثم ضغطت على يديه وقلت: آسف جداً فالعمر له حق، وقلت معاتباً: الابناء هم الذين يسألون عن آبائهم، أليس كذلك ......؟

رفع رأسه قليلاً كمن يبحث عن مخرج للأمر.

ثم قال: صحيح، ما تقول، ثم تنفس الصعداء وقال: ولكن إذا لم يسأل الابناء عن آباءهم، هل للأب الحق في أن لا يسأل عن أحوال أبنائه؟

والله أنت على حق، قلت له.

أخبرني عن أوبرا، كيف هي......؟ قلت:

أرادت الدمعة أن تطفر من عينيه، وابتسم ابتسامة ألم لا يمكن لأحد أن يبتسمها إلّا لمن يريد أن يشكو إليه همه.

سكتتّ أنا خوفاً من أن أسمع ما يُنغص عليّ حياتي وأن أترك الأمور له

(1) وأنهما ليسا على علم بما يدور بشأن ابنتهم أوبرا، سألت عنها إن كانت في البيت لأسلم عليها فأخبروني بأنها خارج البيت تذاكر دروسها مع صديقاتها، سألتهما بصورة مسترسلة وبشكل عفوي بأنني في كل مره كنت أزورهم في يوم السبت كانت أوبرا هنا، فهل علمت بأنني سأزورهم ولذلك خرجت خارج البيت؟... مع ضحكه مسترسلة وكلمات من المزاح الممزوج بالجد، ثم قلت لهم قولوا لها ذلك لعلها في الأسبوع المقبل تستقبلني بفنجان من قهوة هنا، ضحك الأبوان ثم ودعتهم راجعاً إلى البيت.

فيما لو أراد أن يخبرني عما يدور في رأسه.

أخذ نفساً عميقاً وأدار برأسه إلى اليمين ثم إلى اليسار للتأكد من أننا وحيدان، سألته مباشرة:

- إذن أخبرني كيف هي ابنتي أوبرا. . . .؟
- هربت. . . .
- هربت. . . .ماذا تعني. . .؟
- هربت مع شاب من أصول آسيوية وقالت أنها تزوجت.
- مسلم؟
- نعم.
- و لماذا هربت . . .؟ هل رفضتما زواجهما؟
- لا، لم يتقدم الشاب إلى الزواج، ولكن أوبرا كانت على علم مسبق بأن الرفض هو الجواب الوحيد.
- و لكنها تزوجت زواجاً إسلامياً.
- نعم، ذهبا إلى أحد المشايخ وعقد عليها.
- و لكن ما المشكلة إذن. . . .:؟
- أنا وأمها لا نعتقد أن الزواج سيستمر، إنها مجرد رغبة عابرة.
- و أين هما الآن. . .؟
- إنهما يسكنان في إحدى ضواحي هذه المدينة.
- إذن العقل يقول أنكما يجب أن تواصلاها، وتُقوّمان هذه النبتة اليافعة تجنباً لما هو أسوء.
- و لكن أمها وإخوانها وقفوا موقفاً متشنجاً.
- عليكم أن تستعينوا بالعقل.
- ثم سألته: أنت كأب ما هو الشيء الذي يؤلمك من هذه الخطوة؟
- أكثر ما آلمني هو خروجها على أعراف البيت في الزواج، والعلاقة

الزوجية، وذهابها مع شخص ليس هنالك من عوامل مشتركة ما بين أعرافنا وأعرافهم.

- ثم سألته: وأمها ماذا تقول . . . .؟
- قال: أمها أصيبت بالذهول ولا تتكلم مع أحد أبداً.
- سألته: وإخوانها. . . .؟
- أجاب: إخوانها يريدون قتل الولد. . . .؟

طأطأت رأسي هنيهة لأفكر ماذا عساي أن أقول في هذه الحالة، وكيف أرشد هذه العائلة إلى الطريق الصحيح الذي يضمن عدم انفراطها وانحرافها، ثم قلت له: إفترض أن الله رزقك ولداً خرج من بطن زوجتك مشوهاً، ماذا عساك أن تعمل. . .؟ بالتأكيد سوف لا تعمل شيئاً إلّا الرضاء بقِسم الله لك، أنا أقول بأن التعامل مع هذا الأمر وإن كان به ألم ولكن منطق العقل يؤكد على اعتبار هذا الزوج كالابن غير المرغوب فيه، ولكن واجبك الأبوي يلزمك بالاهتمام به خوفاً من أن تنحرف مجمل العائلة إلى ما هو أسوء.

صافحته ثم غادرت المكان وأنا أفكر ملياً بهذه النتيجة المؤلمة التي لها -في الحقيقة- من الابعاد الاجتماعية الشيء الكثير والذي قد ينعكس على مجمل العائلتين.

مضت فتره من الزمن بعد أن انتقلت العائلة إلى مكان بعيد عنا بعض الشيء وصارت اللقاءات مع العائلة ومع الأب قليلة جداً، وصادفت أن مررت وأنا في بعض مناطق هذه المدينة الكبيرة للتسوق من أحد المحلات فوجدت أوبرا وهي تعمل في ذلك المحل تحاسب الزبائن عند شرائهم للحاجيات، تعمّدت أن أدفع النقود من خلال الخط الذي تقف فيه أوبرا، اقتربت منها وسلمت عليها وسألتها إن كانت تعرفني وقد مضى ما يقارب ال15 سنة من تاريخ تلك الفترة التي كانت تلعب طفلة في بيتنا، نظرت إليّ فوجدتني أمامها بلحمي ودمي فما شعرتُ إلّا والدموع قد ملأت عينيها، وقد احمّر وجهها من شدة الخجل.

قلت لها: يا ابنتي لا لوم عليك، إنني لا زلت أباً لك فمدت يديها وعانقتني.

سحبت يدها بأدب

أطفأت أوبرا مصباح المرور وسألت بقيّة الزبائن أن يأخذوا خطاً آخر للبيع، ثم أخذت بيدي وذهبنا إلى غرفة يجلس فيها مدير السوق، وجلست إلى جنبي وقالت لي يا عم المشكلة ليست زواجي، المشكلة الآن هو أكبر من زواجي، أن زوجي تحول الآن إلى شخصية تؤمن بالعنف والارهاب[1] وقد أطال لحيته واعتمر القبعة وترك الدراسة، وهو الآن ما بين الشرق والغرب، إنه صلف في سلوكه عديم الأخلاق منحرف في سلوكياته العامة يؤمن بالسرقة والقتل[2].

- قل لي ماذا أفعل .....؟ سألتني...
- هل لديكِ أطفال ....؟ سألتها..
- نعم طفل واحد.
- الوقت الآن لا يسمح لمناقشة الموضوع دعيني أراك في مكان آخر لأساعدك إن استطع.

ودعتها بعد أن أخذت رقم تلفونها، قلت لها قبل أن أغادر:

- و لكن لماذا لم تتصلي بي قبلاً...؟
- كنت أخشى من الرفض واللوم.
- و لكنّكِ تعرفين أن لك أباً آخر، أليس كذلك....؟
- كنت غبية جداً ولا زلت.
- أبداً استعيني يا صغيرتي بالله وتوكلي عليه فهو نعم المعين ونعم القدير.

(1) Canada and the "War on Terror"Wesley Wark, University of Toronto. 2009.
(2) 2013 Public Report on the Terrorist Threat to Canada.

تشخيص المشكلة

- الكثير من الآباء يعتقدون بأن فكرة انحراف أبنائهم مستبعدة، لأنهم أعطوا أبناءهم من العطف والمودة الشيء الكثير، وهو غالباً ما يجعل الأبناء أكثر ارتباطاً بآبائهم.
- التقصير في جوانب الالتزامات الدينية من قبل الأبوين له انعكاسات أكبر حينما تصل إلى الأبناء، فأم أوبرا هنا غير ملتزمة بالحجاب الإسلامي، مع أنها امرأة تمارس التعاليم والتقاليد الإسلامية من صلاة وصيام وغيرها.
- البنت الجميلة التي تتميز بقدرات جسمية جذابة تكون عُرضة لعروض الشياطين أكثر من البنت العادية وعلى الأبوين أن يراعيا هذا الجانب بالكثير من الحيطة والحذر(1).
- ترك الأولاد مع أصدقائهم أو صديقاتهم في أوقات مختلفة يولد في نفوس أولئك الأبناء الكثير من فرص الإنحرافات.
- غياب المراقبة الدائمة من قبل الآباء لأبنائهم يسبب ثغرة للشيطان في الولوج إلى عقول أولئك الأبناء، ومن ثم الحث على إنحرافهم.
- موضوع الزواج يجب أن يبحث من قبل الأبوين مع أولادهم بصورة عفوية، وأن لا يكون موضوعاً غريباً وخاصاً.
- الاختلاف ما بين الجاليات الإسلامية أو غير الاسلامية من الأمور المهمة التي يجب على الأباء الاهتمام بها، وتربية أبنائهم عليها، فالأبناء في المجتمع الغربي يتعلمون في المدرسة بغياب الاختلافات ما بين الجاليات والفئات. وعلى ضوئها يعتقد الأبناء أن الأمر في عدم الاختلاف ينطبق أيضاً على الحياة الزوجية.
- فكرة الزواج من قبل الأبناء يجب أن يكون قراراً مشتركاً من قبل

(1) Virginity Is More Important To Men Than Women Would Admit. Robin Hanson A. 2010.

جميع أفراد العائلة، وأن لا يتم بالطابع الشخصي المزاجي.

الوقاية والعلاج

- غالباً خطوات الوقاية من أي مرض يجب أن يبدأ عند الساعات الأولى من ظهور المرض ليس في ذات الشخص بالتحديد، وإنما ظهوره في محيط المجتمع، فعندما نريد أن نحصّن أبنائنا خصوصاً هنا بناتنا من مصائد الشباب الطائش الذي يتصيّد البنات وخصوصاً الجميلات منهن، فعلينا أن نؤكد على جوانب مختلفة في بث روح الوقاية من السقوط في المرض، وأهمها هو التحصين الفكري الإسلامي والاجتماعي الذي يقف حاجزاً ورادعاً أمام السقوط في المغريات التي يقدمها الشباب الآخرون لها، وأن نخلق في عقول بناتنا أن موضوع الممارسات الجنسية قضية كبرى صعبة جداً وخطرة جداً، وأن نناقش معهم الجنس بمعناه الدقيق والواسع.
- نتقل إليهم الأمر بصورة مفاهيم موسعة مبنية على قيم الدين والعقل والأعراف، وأن لا نتهاون مع أبنائنا في أي علاقة ما بين الجنسين، مكالمة تليفونية، ذهاب إلى سفرة، تبادل ملاحظات دراسية، إلى آخره من الأمور التي غالباً ما تكسر حاجز الحياء وحاجز المفاهيم.
- هنا في قصتنا هذه نرى أن الأبوين لم يدركا أهمية خطورة الحرية المنفلتة لابنتهم أوبرا، بل كانا يعتقدان أن ذلك سوف يقوي روح المناعة عند إبنتهم.
- وعندما وصل إلى مسامعي أن أوبرا تجلس في مطعم مع مجموعة من الشباب الطائش، كان هذا لا يعني أنها قد أقدمت على ذلك العمل للمرة الأولى، بل أنا أعتقد أن تساهل الأبوين والإخوة ساعد أوبرا على التمادي في هذا المسار، لذلك على الأبوين لكي يتجنبا أموراً كهذه، وأن يبادرا إلى سد منافذ الانحراف الأول البسيط الذي يكتشفانه في ابنتهم.

* و نلاحظ أيضاً أن زواج إبنتهم هذا لم يكن مبنياً على أسس واضحة لمفهوم الزواج، فهي أقدمت على ذلك من منطلق أنها مسلمة، وأن الإسلام يحرم العلاقة الجنسية إلّا بحدود الزواج، لذلك قالت لماذا لا أتزوج إذن انطلاقاً من مفهوم خاطئ جداً لعملية الزواج[1].

العـلاج

* أول قضايا علاج العلاقات الجنسية هو الابتعاد عن أماكن الاثارة. ولا أعتقد أن هنالك عوامل إثارة شهوة الذكر والأنثى أكثر من المدرسة الثانوية فهي أساس الانحراف والانجرار نحو الهاوية، وهي القوه التي تتركز فيها شهوة الميل الجنسي لدى الطرفين، كما أنها القوة التي تميل فيه نفسية المراهق لإشباع حاجته الجنسية مهما كانت النتائج...
* لذلك فإنني لا أشجّع الآباء والأمهات على إرسال أولادهم إلى المدارس الثانوية الحكومية في الغرب، فلو كان لي سلطة على منع أولادنا وبناتنا من الذهاب إلى المدارس الثانوية الغربية لفعلت، ولكنني أواجه الآن سيلاً جارفاً من رفض هذه الفكرة لدى الكثير من جاليتنا الإسلامية التي ترى أن تكملة الدراسة مهمة للشاب والشابة، وأنا أيضاً أشاركهم في ذلك وأقول إن دراسة العلوم الأكاديمية في المدارس ضرورية وأساسية لنمو عقلية المراهق والمراهقة، ولكني في نفس الوقت أرى أن سلامة روح وعقل وفطرة أبنائنا أهم بكثير من تلقي العلوم الأكاديمية في الرياضيات والفيزياء والبيولوجي.
* صحيح أن المدارس الحكومية وحتى الأهلية منها تزوّد الطلاب بالكثير من المعلومات الضرورية لحياته، ولكنها في نفس الوقت تسلب من نفسه روح الحياء والخجل، وروح الخوف من الله، وروح

(1) Defining virginity and abstinence: Adolescents' interpretations of sexual behaviors. Bersamin, M. et.al. 2007.

التجرؤ على المحرمات، إنها عملية موازنة كبيرة نحتاج إلى دراستها بصورة معمقة، ونحتاج من المهتمين بالشأن الإسلامي إلى إنشاء معاهد دراسية لاحتواء أجيالنا من الانحراف والضياع.

- فمن يرسل ولده أو ابنته إلى المدرسة الثانوية لا بد وأن يتوقع ما حدث للشابة أوبرا أو لغيرها من الشباب والشابات.
- و لو عدنا إلى المشكلة التي نحن بصددها لوجدنا أنفسنا بأننا أمام مشكلة. علينا احتواء هذه الضحية أوبرا التي سقطت في فخ الأماني المعسولة، وأن نأخذ بيدها ثانية، ونأخذ بيد زوجها الذي انحرف نحو الارهاب ونحو العنف والسرقة، وعلى أبوي أوبرا أن يهتما بهذه العائلة لأخذها إلى شاطئ الأمان، أو أن يكون القرار المهم أو الجراحة المهمة التي يجب عملها هو الطلاق. وهو القرار الذي يجب على أوبرا اتخاذه، وأن تعود إلى حياتها وتؤجل موضوع الزواج لتبني لنفسها بمساعدة الطيبين من أبناء الجالية حياة هادئة بعيدة عن الانفعال.

التجربة الثانية عشر



سيف ذو حدين

سيف ذو حدين

رن جرس التلفون في بيت الأخ (صالح) الذي كان يسكن في مدينة (تورنتو) كبرى مدن أمريكا الشمالية. وذلك في ساعة متأخرة في ليلة شديدة البرودة كانت العاصفة الثلجية قد ضربت المدينة بأكملها وعطلت مرافق الحياة.

رفع السيد صالح سماعة التلفون ليجيب المتصل فتفاجأ برجل من دائرة الهجرة يطلب منه التحدث مع شخص آخر موجود معه، بدأ الحديث بين السيد صالح وذلك الشخص المجهول، وكان أحد القادمين الجدد إلى كندا، ممن يطلبون اللجوء السياسي بمجرد دخولهم كندا، وقدّم نفسه بإسم (عزيز)، بعد السلام والتحية تبين لصالح أن السيد عزيز صديق من أصدقاء أخيه، وأنه جاء إلى هذا البلد لاجئاً، وهو يطلب المساعدة منه الآن كي يؤمّن مكاناً مناسباً له ولعائلته، لأن ضابط الهجرة كان قد سأله فيما إذا كان له معارف أو أصدقاء في هذا البلد، فأعطاه إسم وتلفون السيد صالح الذي كان قد حصل عليه من أخيه في بلده في الشرق الأوسط، سكت السيد صالح قليلاً، ثم طلب من عزيز أن يدعه يتكلم ثانية مع ضابط الهجرة، وقد طلب منه أن يعطيه بعض الوقت كي يؤمّن له مكاناً مناسباً، ولكن الضابط رفض إعطاءه أية مهلة وطلب منه الحضور فوراً لإيواء القادم الجديد.

ارتدى السيد صالح ملابسه السميكة، وكانت الثلوج ما تزال تتساقط في كل مكان، وبعد تعب ومعاناة وصل في الوقت المناسب إلى المطار حيث كان السيد عزيز مع عائلته المؤلفة من زوجة وولدين، تتراوح أعمارهم بين الأربع والثماني سنوات تقريباً، صافح صالح صديقه الجديد وعانقه، ثم وضع

القسم الكبير من متاع عزيز في صناديق خاصة تركها في المطار لصعوبة استيعابها في سيارته، صعد الجميع في السيارة في رحلة صعبة مع الطبيعة الغاضبة، وكان من المفترض أن تستغرق الرحلة رجوعاً إلى البيت تقريباً أربعين دقيقة، ولكن صالح وصل إلى بيته بعد ساعتين من الزمن بسبب شدة الثلوج وقسوة البرد.

بدأت حياة السيد عزيز في تلك المدينة بسلام، ومن أهم ما فعله أن سجل أولاده في مدرسة حكومية، ثم بدأ يبحث عن عمل لإعالة عائلته، كان السيد عزيز وزوجته إنسانين صالحين بكل معنى الكلمة[1].

كان الأب والأم وبسبب قسوة الظرف السياسي في بلدهم اندفعوا إلى الارتباط المفرط بأولادهم، وكانت محبتهم وعطفهم عليهم تظهر جلياً للآخرين، فقد وفرا لهم كل وسائل الراحة من الملبس الحسن والأكل وغيرها من الأمور التي يتطلبها الابناء[2].

حاول السيد صالح الذي ربطته بعد فترة بالسيد عزيز صداقة حميمة أن يفتح معه موضوع الأولاد وتربيتهم، وأن الكلام البذيء والسباب والعراك

---

(1) يعرفان دينهما جيداً، ويطبقان الفرائض الواجبة وملتزمين بالإسلام وتعاليمه، وهما من العوائل التي عانت ما عانت في مواجهة حاكم بلدهم المتسلط الذي مارس معهم ومع عوائلهم كل أساليب القمع والإرهاب وهو ما دفع بهذه العائلة إلى ترك بلدهم وأهلهم، وكل شيء وراءهم والسفر إلى كندا حيث طلبوا اللجوء.

Guidelines on International Protection: Religion-Based Refugee Claims under Article 1A(2) of the 1951 Convention. and/or the 1967 Protocol relating to the Status of Refugees. The UN Refugee Agency. 2004.

(2) وكان الحب الكبير من الأبوين إلى أولادهم قد حوّل كل عمل يقوم به الأولاد إلى حسنة مهما كان ذلك الفعل، فمثلاً كثرة الحركة، والعراك في البيت وكثرة المطالب والكلام البذيء الذي كان الأبناء يتلفظون به. كان الأهل يرون أنه من باب المزاح والمرح....! ولذلك كانا يضحكان أو يبتسمان في وجههم بدلاً من توبيخهم وتوجيههم...! وهم يرون أولادهم يتصرفون بسلوكيات غير مناسبة وغير مقبولة، ولكنهم كانوا يغضون الأبصار طوعاً. أنظر الجانب العلمي في معالجة هذه الظاهرة في التقرير التالي:

Teach Your Children Well. Parenting for Authentic Success. Madeline Levine 323 pp. Harper/HarperCollins Publishers. 2012.

الدائم فيما بينهم، وعدم احترام أبويهم سوف ينعكس على جوانب متعددة من حياتهم وأن ذلك سيتحول خطراً على مستقبل العائلة برمتها، ولكن السيد عزيز كان يرى العكس تماماً، كان يرى أن سلوك الأولاد هذا في البيت هو قضية طبيعية بسبب عدم تعودهم على الحياة الغربية، وحرمانهم من ملذات الحياة فيها، أو بسبب معيشتهم في بلدهم في الشرق الأوسط حيث الغش والكبت والكثير من الأشياء الممنوعة، ولذلك كان دائماً ما يتعامل مع السلوك البيتي لأولاده من باب التبرير، وباب الحق الطبيعي لهم، مع أن الأولاد بأجمعهم كانوا يصلون ويصومون ويرافقون العائلة إلى أماكن العبادة والجلسات الاجتماعية.

وانطلاقاً من مفهوم السيد عزيز وزوجته لواقع حياة أولادهم فقد وجد أن من حقهم أن يفسح لهم المجال في مشاهدة التلفزيون والتمتع بالأفلام، والمسلسلات التي يقدمها التلفزيون الكندي مبرراً ذلك بأن الكبت يولد الانفجار. وهو لا يريد أن يمارس ذلك السلوك مع أولاده، وأن التلفزيون لن يؤثر على سلوكهم أو على تربيتهم، ثم يبرهن بذلك في أن أولاده ملتزمون بالصلاة والصيام وحضور جلسات الجامع، ويضيف أيضاً في برهانه ذلك بأن ابنته (هالة) ملتزمة بالحجاب الإسلامي الشرقي في تغطية الرأس ولبس الثوب الشرعي الذي يستر الجسم كله.

حاول السيد صالح وهو ذو خبرة، وباع طويل في التربية أن يقدم لزميله صورة أخرى للتربية، الصورة الواقعية لعالم الغرب، والصورة الحقيقية لما يفكر به الأولاد وخصوصاً المراهقين منهم[1]. ثم حاول السيد صالح أيضاً أن

---

(1) وكيف أن المدرسة التي يرتادها الأولاد تعلّمهم قدرة وفن إخفاء الشخصية الحقيقية الخاصة بهم، فيظهرون بشخصية ومظهر آخر أمام الأهل وأمام معلميهم، في ذات الوقت فإنّ المدرسة تعلمهم أن الشيء الرئيس، والمهم في حياتهم هو العيش كما يحلو لهم، وأن يتمتعوا بحريتهم، وأن تكون لهم اهتماماتهم الخاصة حتى وأن كانت لا تعجب الأهل، وأن الحياة كلها تدور حول تأمين حياة كلها متع ولذة ومرح، بالإضافة إلى الاصرار الدائم على النجاح في العيش كما يحلو لهم.

ينقل صديقه وأخاه في الإسلام السيد عزيز إلى عالم آخر، عالم الشباب في الغرب، وخطورة شخصيته التي تتغير مع الأيام[1].

وكان السيد عزيز يعتقد، ويرى أن ابنه الأكبر (حاتم) الذي كان يعطيه من الحنان الأبوي ما يعجز الآخرون عن وصفه، وكذلك ما قدمته له أمه من عاطفة ومحبة سوف يكون سداً منيعاً أمام إمكانية انحرافه، لظن الأهل أن الطفل لن ينحرف إلّا بوجود سبب ما، وأهم وأقوى تلك الأسباب هو الحرمان من الحب الأبوي والعاطفة البيتية، كما كان يعتقد أيضاً بأن الطفل هو ناتج بيته وعائلته. وأن الظروف الخارجية لن تؤثر على الطفل مهما كانت قوتها. لأن الأساس المتين موجود، وحينما يكون ذلك فعّالاً فليس أمام الطفل إلّا الالتزام بسيرة العائلة وتراثها وأخلاقها، فمهما كانت الظروف الاجتماعية المحيطة بإبنه قاسية وفاسدة، فإنّ ذلك لن يعبث في أساسه، وسيبقى ولداً صالحاً يسير على نهج أبيه وأمه وعائلته، وكان يستشهد بنفسه حينما كان في وطنه عندما كان مراهقاً، فإنه تمكن بفضل استقامة عائلته من أن يبقى أميناً لمسيرة أهله رغم قساوة وفساد المحيط الذي ينتشر في المدرسة وفي الشارع.

كان السيد عزيز يخطط لأن يرسل ابنه حاتماً إلى إحدى البلدان الإسلامية لتعلم علوم القران واللغة والأخلاق، ليصبح رجلاً عالماً يملك من القدرة العلمية ما يتمكن معها من تغيير المجتمع.

وتمضي الأيام والليالي، وتسير الحياة، ويصبح حاتم في السابعة عشرة

---

(1) فقد تجده اليوم شاباً مراهقاً هادئاً ذا صفات متزنة، ولكنه من المحتمل أن يصبح بعد فترة شاباً عبثياً مجرماً، لأن الشاب أو الشابة المراهقين يعيشان ليومهم، ويعيشان نزواتهم الداخلية، ويعيشان كي يسمعا الإطراء من الآخرين، فالمراهقون سريعوا التأثر بالمظاهر في المدرسة وفي البيت وبين أصدقائهم. فقد ينقلب الشاب الهادئ فجأة إلى مجرم قاتل، وهذا ما حدث في الكثير من الجرائم التي ارتكبها المراهقون في أمريكا وبلاد الغرب. فمثلاً جريمة (كولورادو) التي ارتكبها ثلاثة مراهقين وراح ضحيتها عشرات الطلاب. وقد ذكرتها وسائل الإعلام، أو حادثة (فرجينيا)، أو حادثة (كونكتيكت) أن القتلة كانوا من الطلاب الهادئين الذين لا يتوقع أحد منهم الإقدام على هكذا عمل إجرامي.

من عمره وهو في المرحلة الثانوية الآن، والعاطفة الأبوية تزداد كلما تقدم إبنهم في العمر، أما الأم فكانت تذوب حناناً وعطفاً عندما تشاهد إبنها وقد كبر وكانت تجتهد في أن تحضر له كل ما لذ وطاب كي تحقق رغباته وتشبع الجانب الأمومي في أعماق روحها.

بدأ حاتم وهو في المرحلة الثانوية يكثر تغيّبه عن البيت وفي قضاء معظم وقته مع رفاقه، وأصدقاؤه وعندما يرجع ليلاً تسأله أمه بكل دلال وعطف، أين كنت يا ولدي يا حبيبي.....؟

فيجيبها بأنني كنت أنهي دروسي مع أصدقائي، فتسرع الأم إلى المطبخ، وتصيح ماذا تأكل.....؟ ماذا أحضر لك....؟ دجاج، لحم، بيتزا....الخ يا حبيبي إن المدرسة أتعبتك فعليك أن تأكل وترتاح وتنام[1].

ويتوجه صالح إلى السيد عزيز يخبره بأنه التقى ولده حاتماً في آخر الليل وهو مع ثلة من أصدقاؤه في محيط دار السينما التي تقع في القرب من بيتهم، فقد التقى به عندما خرج ليشتري حاجيات من المحل المجاور، وقال السيد صالح بأنه لا يشك في حاتم وإنما تفاجأ بوجوده هناك في ذلك المكان، وقد يكون ذلك بداية لسلوك غير سوي خصوصاً في ذلك الوقت من الليل.

أجاب الأخ: عزيز، يا أخي الكريم هل رأيت ابني حاتم في السينما...؟ إنه مجرد شاب يذهب فقط لمرافقة أصدقائه، وحتى لو دخل السينما فليس هنالك ما يؤكد انحرافه، ثم يضيف السيد عزيز أن الشاب يجب أن يرفه عن نفسه بالطرق السليمة بالتأكيد، لأن الدين عبارة عن طقوس لا تحدد حركة الشباب واستمتاعهم بالحياة، ونحن إذا أردنا لأولادنا عدم الانحراف علينا أن لا نحرم عليهم كل شيء فإنّ ذلك سيكون عندئذ سبباً لابتعاده عن عائلته.

(1) Children's Lie-Telling to Conceal a Parent's Transgression: Legal Implications. Law and Human Behavior, Victoria Talwar et. al., 2004.

في العطلة الصيفية يقرر السيد عزيز أن يرسل ابنه حاتم إلى الشرق الأوسط بعد أن تمكن من اللغة الانكليزية السليمة، لينخرط في أحد المعاهد العلمية الدينية لكي يتعلم تعاليم الدين والأخلاق والشريعة، ويرافق السيد عزيز ولده حاتماً ويبقى معه فترة كي تكون كافية للتأقلم مع الحياة الجديدة، وكان حاتم يسكن في بيت عمه، وكان يصطحبه معه إلى الجامع ومعاهد العلم، ويمضي الشهر الأول والشاب حاتم يسير من سيء إلى أسوء حيث بدأ بالانتفاض والرفض ومناقشة عمه في جدوى هذه الدراسة فيما إذا كانت تنفعه في حياته وفي مستقبله. . . .؟ وبدأ يتغيب عن حضور الدروس والاستيقاظ لصلاة الصبح ومواصلة واجباته الدينية، ثم تطورت الأحداث إلى درجة من الانفلات في الأمور الدينية الأساسية، حينها اتصل عم حاتم بأبيه طالباً منه إيجاد حل لولده، وعلى أثّر ذلك يأتي عزيز إلى الشرق الأوسط ثم يعود إلى كندا مصطحباً ابنه حاتماً معه.

وخلال الأشهر الأولى من وصوله ثانية إلى كندا بدأ حاتم شاباً مختلفاً في تغيبه عن البيت وفي علاقاته مع الشابات وفي معاقرته للخمر، إلى أن استدعى مدير المدرسة الأب وأبلغه بأن ابنه كثير التغيب، وانه محاط بثلة منحرفة وأنه متورط في عملية سرقة حصلت في المدرسة.

لم يهتم السيد عزيز كثيراً ولم تتحرك حميّته تجاه ما سمعه عن ابنه، وكان يعتقد كالعادة بأن ابنه رمز النزاهة والاستقامة، فلم يتأخر لحظة واحدة عن إظهار محبته المعتادة وعاطفته الجياشة تجاهه، فبدأ يشتري له الملابس الغالية الثمن إضافة إلى إعطائه مصروف جيب كبير بالإضافة إلى تأمين كل ما يحتاجه وما لا يحتاجه أيضاً، كذلك الحال مع أمه التي كانت ترى في ولدها أمل المستقبل وزهرة حياتها والتي لم تكن تقبّل بكل ما يُشاع عنه وعن سلوكه، فازدادت حباً وعطفاً واهتماماً، أما حاتم فإنه وجد أن حب أبويه لن يتغير سواء أكان صالحاً أم كان سيئاً، فليس هنالك ما يمنعه في أن يمارس ملذاته وما تملي عليه نفسه. . . فأبواه سوف يعملان جاهدين في التستر على انحرافاته وسوء خلقه.

وتسير الأمور من سيء إلى أسوء يوماً بعد يوم حتى وجد الأب عزيز مسحوق (الكوكايين) في أحد جيوب إبنه، ولكنه ماذا فعل، هل تحركت مشاعره وأحاسيسه...؟ هل انتفضت في نفسه المشاعر الإسلامية....؟ هل غضب وأحس بالضعف والقهر.....؟ لا لم يفعل، كلا ولم تتحرك أي شعرة من شعرات رأسه، وإنما نادى على ابنه، وقال له يا بني أن ذلك خطر على صحتك وحياتك فلا بأس بالامتناع عنها بعد أن جربتها :اتفقنا يا بني......؟ ضحك حاتم وقال لأبيه: نعم أعدك بذلك، ويستمر حاتم في لياليه الحمراء وفي معاقرته للخمر وتعاطيه المخدرات، وفي ابتزاز أبيه وأمه في الحصول على الأموال.

في هذه الأثناء برزت مشكلة أكثر خطورة في عائلة السيد عزيز وهو بدء انحراف البنت الكبرى والتي جاءت إلى كندا وهي مملوءة بالعفاف والحياء والخجل، وإذا هي اليوم تسأل أمها لماذا يُسمح لأخيها الكبير حاتم بالخروج ليلاً والمبيت خارج المنزل، ومصادقته للفتيات وارتياده النوادي الليلية، بينما هي محرومة من كل ذلك....؟ وهو ما دعاها أن تطالب بحق المساواة، أو أن تحصل من أبويها على جواب شافٍ لأسئلتها، ثم بدأت بتهديدهما بالخروج من المنزل إذا لم يسمحا لها بممارسة علاقاتها التي تراها مناسبة لها، ولا يعرف الأب الآن ما يقوله أو يفعله، ولكنه بدأ يبكي هو وزوجته، ويطلبان من ابنتهما أن تفكر جيداً في ما تقوله وما ستفعله بعد ذلك، ولكن أين هي الأجواء السليمة للتفكير فيما المراهقون يعيشون ظروفاً صعبة من المشاعر والاحاسيس الجيّاشة المضطربة...؟ إنها عاصفةٌ هوجاء من الانحراف تجتاح كل زوايا المجتمع من المدرسة إلى البيت إلى الشارع.

يسمع عزيز من جارتهم الأمريكية التي دخلت الإسلام خلال السنوات السبع الماضية بأن ابنتهم كانت تحضر حفلة للرقص في المدرسة نظّمتها المراهقات من أبناء صفها في حركات رقص مثيرة مع الشباب، ومع أن ابنته لم تشارك في الرقص لكنها كانت جالسة وتشارك في التصفيق والغناء مع إنها محجبة، لم يحرك الأب أي ساكن إزاء الحادثة، ولم يظهر أي علامة تدل

على رفضه لإشتراكها في حفلة الرقص تلك، وإنما اتهم جارتهم الأمريكية المسلمة بأنها تكذب قبل أن يحقق في الأمر ويتأكد من الحادثة، وعندما عادت البنت إلى البيت سألها الأب فيما إذا كانت قد اشتركت في حفلة الرقص أجابته بجرأة: نعم، إنني لم أرقص، ولكنني كنت أشاهد الرقص والغناء بينما كانت الأم تضحك، وتستهزئ بأن كل بنات المجتمع قد اشتركن بهذه الحفلة فلماذا إذاً تُلام إبنتهم، ولا يُلام الآخرون، ويسكت الأب، وتتوجه الأم إلى ابنتها قائلة حبيبتي تعالي وتناولي العشاء، لكنها أجابتها بأن صديقاتها قد دعونها إلى تناول طعام العشاء في المطعم القريب من السينما وهي مدعوة أيضاً لمشاهدة فيلم للممثلة الأمريكية المشهورة (جوليا روبرت) المعروفة بأفلامها الفاضحة، تضحك الأم وتقول لها: حبيبتي لا تتأخري كثيراً، إذهبي واستمتعي مع صديقاتك ثم تقول لها: لا تنسي أن تصلي قبل أن تذهبي إلى السينما، تجيبها البنت ببرود لا صلاة لي الآن يا أمي (يعني أن لديها عذراً شرعياً) مع أن الأم كانت تعلم بكذب ابنتها، ولكنها أقنعت نفسها بما قالته.

تتطور الأمور من سيء إلى أسوء في عائلة السيد عزيز الذي كان يعيش شبيهاً بالإنسان الغائب عن هذا العالم فهو صائم يصلي ملتزم بالإسلام وبالفرائض وله تاريخ مشرف في الماضي الإيماني والإسلامي، ولكنه الآن في وضع ضعيف جداً في أن يواجه عاطفته تجاه عائلته، فعاطفته ورقة مشاعره جعلته يعتقد العكس....[1].

يعتقد أن ولده وابنته لا يمارسان أي عمل مخالف للأعراف والتعاليم الإسلامية فإبنه لم يره أحد في وضع مشين، ولم يشهد أحد عليه بأنه يشرب الخمر، أما مسحوق الكوكايين الذي وجده هو في جيبه فكانت المرة الأولى

---

(1) هذا النوع من حب الابوين لابنائهم يسمى حديثا (Helicopter Parenting) وهو ظاهرة تدمّر مسيرة الابناء.

The Seven Myths of Helicopter Parenting. Don't fool yourself into thinking you're not one, because you probably are...? Katie Roiphe. 2012.

التي حملها في جيبه لكي يجربها، ولكنه لم يدخّنها أو يستنشقها، وليس هنالك من دليل على ذلك، أما ابنته فإنها لم تمارس فعل القبيح، ولم تنزع الحجاب، ولم تمارس المحرمات. فإذن هم في أمان وأنهم جيدون في سلوكهم ولا يستحق الأمر اتخاذ أي خطوة معاكسة لرغباتهم ما داموا لم يمارسوا المحرمات.

فالأم منحدرة من المناطق الريفية، ومن عائلة معروفة بالتدين والالتزام. فهي لا تتمكن أن تستوعب فكرة انحراف عائلتها وأولادها. فقد صدّقت هي نفسها أن أولادها متدينون محصنون من الانحراف ومن مهالك الغرب، بقيت على هذه الفكرة تدافع بها عن أسطورتها الكاذبة بداخلها، ولكنها تكذب على نفسها بنفسها، ولكي تحقق ذلك قاطعت جميع صديقاتها اللواتي يخبرنها بسلوك أولادها الخاطئ وبدأت تصادق العوائل التي يسلك أبناؤها نفس سلوك أولادها، لكي تبتعد عن بهرجة الكذب والخداع الذي أحاطت به نفسها.

تسير الأمور في بيتها إلى أسوأ من هذا ويبدأ الأبناء الصغار الآخرون الذين بدأوا يميزون سلوك إخوانهم الكبار بالانخراط في الرذائل، مع أنهم لم يبلغوا سن 13 سنة، في الوقت الذي يخرج الأب من الصباح وحتى الليل لكي يوفر لأبنائه مستلزماتهم الكمالية، وإنحرافاتهم عن خط الأخلاق، فمثلاً كان الأب يرفض إلّا أن يشتري لابنته وإبنه حاتم من السوق أغلى الملابس والأحذية بما لا يتناسب مع وضعه المالي ظناً منه أن ذلك هو جزء من واجبه كأب تجاه أولاده.

وبعد أكثر من 16 سنة على حلول العائلة في كندا، وإذا بالبيت يتحول إلى مكان يمارس به كل أنواع الرذائل، إذ كان الأبناء أحرار في جلب صديقاتهم إلى بيتهم وكذلك البنت الكبيرة تأتي إلى البيت مع صديقها التي ينتظرها أحياناً في الخارج، وأحياناً في الداخل كي تبدل ملابسها وتخرج معه إلى أماكن التنزه والأسواق، وكان الأب والأم قد أصابهم الشلل الفكري في التشخيص، وفي معرفة الحق وتفريقه عن الباطل، بل كانا يبرران كل شيء يقوم به الأولاد بالتبرير الحسن، ويجدان له مخرجاً في أنفسهم وفي

تشريعهم، وفي كل خطوة من تلك الخطوات التبريرية كان الشباب يزداد في جموحه وفي ملذاته بسبب وجود الغطاء الشرعي والغطاء التبريري، وهكذا تسوء الأمور إلى درجات في غاية السوء خصوصاً مع البنت التي نتحرج أن نذكرها في كتابنا هذا، ولكن القارئ اللبيب يدرك ما أعني، كذلك الأولاد، وخصوصاً الأعمار الوسطية منهم إذ جمحت بهم الشهوات إلى درجات من الحدة أصبحوا بها يتحدون أفكار الآخرين من الجالية، ومن أصدقاء أبيهم وخصوصاً صديقه المقرب صالح الذي كان يتابع بألم كبير إنحراف البيت ويستشعر مدى الخسارة الكبرى لهذا النوع من الخسران.

تشخيص المشكلة

- إن الانتقال من الشرق إلى الغرب يجب أن يصحبه تغير كامل في عقلية الوالدين تجاه الآخرين، بما هو عام وأولادهم بما هو خاص. وهذا في الواقع يصحبه اطّلاع كامل على وضع البلد من ناحية الجانب الاجتماعي والجانب الفكري، بمعنى آخر على الوالدين تعلم اللغة الانكليزية أو لغة ذلك البلد الغربي ثم الاطلاع والقراءة الكاملة بما يدور في البلد من كل جوانبه، فالسيد عزيز وزوجته عند وصولهم ولحد الآن لم يبذلوا أي جهد في هذا المجال، فلغتهم الانكليزية كانت ضعيفة جداً، واطلاعهم على الواقع الاجتماعي يكاد يكون منعدماً، وهذا ما خلف هوة كبيرة بين تفكيرهم وتفكير أبنائهم، مما أدى إلى عدم فهم تأثير المجتمع على أولادهم فيما بعد.
- حذارِ من المسالمة أو الاستسلام مع واقع الغرب، أو بمعنى آخر عدم استسهال المظاهر الاجتماعية وتأثيرها على عقلية الأبناء، فإذا كانت تلك المظاهر لا تؤثر على عقلية الآباء، فهذا لا يعني أنها لا تؤثر على عقلية الأبناء، بل بالعكس يجب أن نبني احتمال التأثير المعاكس قبل أن نبني عدمه، وذلك بسبب القدرة الهائلة للأسلوب الغربي في سلب عقلية الصغار والمراهقين، وهنا نرى عائلة السيد

عزيز لم تدرك جيداً هذه الحالة، بل كانت تعتقد أن الخلفية الاجتماعية والدينية لها كافية لخلق حاجز من الحصانة لدى أبنائهم، خصوصاً وأن ابنهم الكبير وابنتهم تلقوا جزءاً من تربيتهم في بلد إسلامي، فلا يعقل أن تذهب كل تلك الأفكار سدى أمام واقع الغرب، ولهذا كانت العائلة تعتقد باستحالة الاختراق من قبل الغرب. ولهذا تركوا أولادهم عرضةً وفريسةً لانحرافاته.

- إن إرسال الإبن أو الأبناء إلى الشرق لدراسة العلوم الدينية موضوع يحتاج إلى تحقيق وتدقيق عميقين قبل إقدام العائلة عليه، لماذا. . . .؟ لأن النقلة الحضارية والاجتماعية بين البلدين كافية لإحداث إهتزاز في عقلية المراهق، نتائجها تنعكس سلباً على مجمل تفكير ذلك الشاب[1] وهذا هو الشيء الذي حدث مع الشاب حاتم الذي أرسله أبوه إلى ذلك المعهد العلمي لدراسة الإسلام، ولكنه وبسبب تلك النقطة انقلب تفكيره عكسياً وصار يفصح عن تفكيره بانتقاده للإسلام ولمدارسه وممارساته.

- إن تسامح الأب مع أبنائه في بداية علاقات الإنحراف، والتي غالباً ما يتعايش الآباء معها بسبب عقليتهم المحافظة التي غالباً ما تكون تلك العقلية مترددة وغير مدركة تجاه ما يدور في عقول الأبناء، فالأب أو الأم وبسبب لطفهم ومودتهم وحبهم الزائد لأولادهم يعتقدون أن بداية الانحراف وفي حالة ظهور علاماته فإنّ ذلك لا يدل على أنه بداية طريق الشر، وإنما يعتقدون بأن ذلك ما هو إلّا

(1) فنظام الغرب وطريقة معيشته ونظرة الدولة إلى الإنسان واحترامها له سوف تبقى في عقلية الشاب أسئلة ضخمة أمام حالة التأخر في بلداننا العربية ابتداءاً من عدم احترام القوانين إلى إهدار كرامة الإنسان، إلى بقية الممارسات اللاأخلاقية مثل الكذب، الغش، الخداع وغيرها من تلك التي يمارسها الناس هنالك -بحكم العادة- هذه الأمور إذا لم توضّح بشكل مفصل فإنّ الشاب سوف لن يدرك معنى إرساله إلى ذلك المعهد الديني في الشرق الأوسط لدراسة الإسلام وتعاليمه، سوف تنقلب الحالة عكسياً، بل سيتحول هذا الشاب إلى بوق دعاية ضد الإسلام لما رآه بعينه، ولما استوعبه تفكيره.

حدث عابر ومؤقت قام به الأبناء لسبب أو لآخر، وانه ليس بداية لطريق الانحراف، فترى الآباء غالباً ما يتغاضون عن ذلك السلوك إما اعتقاداً بأنه ليس انحرافاً، أو اعتقادهم أن ذلك سوف لن يكون خطراً على مستقبلهم، والأبناء في الجانب الآخر يستفيدون من موقف آبائهم[1].

- في قصتنا هذه نلاحظ أن أصدقاء عزيز قد أخبروه بوضع ابنه حاتم، ووضع ابنته المراهقة، ولكنه لم يتخذ أي خطوة حاسمة تجاه تلك الإنحرافات، وإنما اكتفى بالصمت، كذلك الأم التي حينما عرفت بأن ابنتها سترافق صديقاتها إلى دار السينما لم تتأثر أو تمانع، ولم توجه لابنتها كلمات الإرشاد والرعاية والتحذير، وإنما قدمت لها العشاء وكأن البنت فهمت (وبعقليتها) أن كل ذلك يعني موافقة والديها على عملها، وموافقة والدتها تلك سوف تكون مؤكدة في أي أمر أرادته تلك الفتاة، ولذلك فما الذي سيمنع البنت أو الابن من القيام بما هو أكبر وأعظم من الخروج من البيت أو الذهاب إلى السينما. . .؟

- إن العاطفة المرهفة تجاه الأولاد حالة غير صحيحة، وغير سليمة في عالم الغرب، نعم تكون صحيحة إذا بُنيّت على أساس التوجيه، والارشاد، والمتابعة والدراسة، أما إذا كانت عاطفة مبنية على أساس الأبوة والأمومة فقط. فإنها ستكون مضرة في سلوك توجيه الأبناء. . .

---

(1) يستفيدون على عدة مستويات، إن البعض من الأبناء يعتقد أن هنالك مواقف ضمنيّة من قبلهم بسبب السكوت الذي مارسه الأهل في البيت عندما علموا بذلك الانحراف، فيقول الأبناء في داخل أنفسهم بأنهم قد حصلوا على المواقف الضمنيّة بالسكوت عن ذلك العمل، وهنا تزداد حالة الانحراف تدريجياً عند الأبناء وتكون كالزاوية الحادة تتسع كلما ابتعدت عن المركز، والإنسان بطبعه -و خصوصاً الشباب- لا يكتفون بكل حالة إنحرافية في سلوكهم، وإنما دائماً ما يبحث الإنسان عما يعطيه لذة ومتعة أكبر من المتعة واللذة السابقة، وهكذا يزداد نهم الإنسان كلما انغمس في الملذات، ومثله كمثل ماء البحر مهما ازداد الإنسان شرباً منه ازداد عطشه حتى يقتله الملح والعطش.

لماذا. . .؟؟ لأن الأبناء لا يمكن لهم تقدير ومعرفة تلك العاطفة، لأنهم لم يعيشوها بعد[1].

- أما الآباء فإنهم قد يقولون في أنفسهم أن منع الأبناء من ممارسة أعمال تعتبر في المجتمع الغربي عادية وطبيعية، وتكون غير مقبولة في المجتمع (الغربي-العربي) المسلم قد تؤثر على أواصر الارتباط بين الطرفين والتي غالباً ما تصل إلى تمرد الأبناء وتركهم البيت، كي يعيشوا في عالمهم الخاص بعيداً عن مفاهيم آبائهم، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى انحراف كبير، ونقلة واسعة يذوب بها الأبناء في مجتمع الغرب، هذا التفكيرغير موجود دائماً في عقول الكثير من الآباء المسلمين سواء أكانوا أفراداً يسهرون على تربية أولادهم أم كأهل يتركون الحياة تمشي كما هي دون حسيب أو رقيب، فهل هذا التفكير سليم وصحيح؟ وهل هو طريق جيد للتربية. . .؟ أم انه خاطئ، ونتيجته ما كان يخشى منه أن يحصل[2].

---

(1) أو بمعنى آخر إن عاطفة الأبوة لا يمكن لنا ونحن أبناء أن ندرك معناها ومغزاها وقوتها، لأننا لم نعشها ولم نمارسها بعد، ولكن كل ما يفهمه الأبناء في هذا الخصوص هو الرغبة في تحقيق طموحهم وأحلامهم، وكما نعلم وفي فترات الصبا والمراهقة تحتل الرغبات والمُتع حيزاً كبيراً، بل تأخذ مساحة هائلة في ذهن الأبناء، ويرون أن اللعب والمتعة هي حق مشروع من حقوقهم لا يحق لأحد الاعتراض أو الممانعة، وخاصة الأهل الذين يعيشون في زمان غير زمانهم، لذلك فإنّ حقهم في ممارسة ما يريدون، وليس للآباء سلطة عليهم، وهذا خط عام في تفكير الشباب سواءاً أكان ذلك في الشرق أم الغرب، وتزداد هذه الأفكار تأصلاً وتطوراً في عقلية الإنسان الذي يعيش في الغرب، والذي يعتمد أساساً في فلسفته على الفردية في التمتع ونيل اللذات ولا يمكن للأبناء إدراك سلوك الآباء من خلال تلك العقلية، عقلية الرفض وعقلية القبول، فإذا كان الأب متسامحاً مع الأبناء في علاقاتهم الاجتماعية وفي ممارساتهم النزوية فإنهم (أي الابناء) سوف لا يفهمون من ذلك إلّا نقطة واحدة وهي الموافقة والقبول من قبل أهلهم على كل أعمالهم وممارساتهم.

(2) أثبتت الوقائع والأحداث التي عشناها خلال سنوات طويلة في الغرب أن الأسلوب التربوي تجاه الأبناء يجب أن يمر بخطوات عملية مدروسة، ومراحل مترابطة الحلقات، وأعني بذلك أن أسلوب السكوت وتبريره بأنه الأفضل بالنسبة للآباء وإلّا فسوف يبتعد الأبناء عن الأهل وعن البيت ويعيشون كما يحلو لهم، فيفضل الأهل عندئذ السكوت عما تراه أعينهم، ويصمون الآذان عما يسمعونه، ولكن السكوت عن كل ذلك هو خطأ بحد ذاته ولا مبرر له.

- إن تربية الأبناء لا تختلف في ميكانيكيتها عن مراحل بناء البيت الذي يبدأ بالأساس المتين الصلب وبالأعمدة المترسخة داخل الأرض كي يصبح البيت مبنياً على أسس جيدة وصلبة، وكل مرحلة من مراحل ذلك البناء تحتاج إلى إشراف معماري دائم ومهندس ملم جيد وبناء مبدع ومتابعة مستمرة، وهؤلاء هم الذين يجب أن يتعاونوا لبناء البيت الجميل والبديع.
- و تربية الأبناء عملية فنية أولاً تحتاج إلى مهندس معماري بارع وعقل مفكر وذلك بالتأكيد هو الأب رب الأسرة وعمود البيت المتين، ويحتاج إلى مهندس منظم وإداري بارع، تلك هي الأم التي دورها لا يقل أهمية عن دور الأب ويمكن أن يكون أكبر وأهم من دوره داخل البيت بوجه الخصوص، بالإضافة إلى دور المجتمع والأصدقاء والمحيط العائلي على تربية الأولاد تربية صالحة وعلى أسس سليمة.
- فالأب -كما عرفنا- هو مهندس البناء، وعقله المفكر والمقياس الذي يواكب أخطاء ممارسات الأبناء ويسعى لإصلاحها، فلا يمكن لذلك المعماري أن يتفاعل سلبياً مع أي إعوجاج في البناء، ولا يمكن له مثلاً أن يدّعي بأن ذلك الاعوجاج لن يؤثر على البناء، وسيصبح سليماً من دون تدخل أيادٍ ماهرة لإصلاحه، إذن النتيجة أن السكوت على تصرفات الأبناء مهما كانت صغيرة ومهما كان حجمها سيؤدي بالتالي إلى توسيع الخرق وازدياد الانحراف في مسيرة الأبناء.
- و نرى هنا أن السيد عزيز عندما وقف موقفاً سلبياً تجاه ممارسات إبنه حاتم ولم يبادر إلى توجيه النصح له أو بيان خطئه، وبذلك التصرف يكون الوالد كمن صب الزيت على النار، ودفع بابنه حاتم إلى ممارسة المزيد من الاخطاء والانحرافات.

الوقاية والعلاج

- يجب على الأب أن يُدرك عمق الهوة ووسعها بين بلاد الشرق

الأوسط العربية والإسلامية، وبين كندا والغرب عامة، إن كان على المستوى الاجتماعي أو السلوكي، وأن يدرك أن الانفتاح الكبير في كندا وطبيعة العلاقات الاجتماعية يفرض عليه أن يتخذ خطوة جديدة وطريقة مختلفة وتكتيكاً حديثاً في حواره وتعاطيه مع عائلته، وخصوصاً مع ابنه وابنته المراهقين، وأن يفتح معهم أسلوباً هادئا للتفاهم والحوار والنقاش، وأن يوضح لهم طريق الخير ويميزه عن طريق الشر والخطأ.

- أن يدرك الأبوان أن العاطفة غير المبرمجة والحب الأبوي المنجرف الذي لا يستند على التفكير السليم سوف يساعد الأبناء في الاستفادة من هذه الحالة في تحقيق ملذاتهم في عالم الغرب الذي يشجعهم على ذلك[1].
- إن البيت الذي لم يبنِ في عقول أولاده في عالم الشرق أسس الدين الصحيح، والتربية السليمة وأهمية العائلة، وتحمل المسؤولية، سيكون الغرب بالنسبة لهم مجالاً خصباً للدين والأعراف والتقاليد وعدم الارتباط العائلي، فالسيد عزيز هنا لم يطبق كل ذلك في الشرق. . . . ولم يمارسه في الغرب، وأعتقد أن إرسال إبنه إلى المعهد الديني في الشرق سيحل هذه المشكلة وسيعوض عما أهمله هو تجاه إبنه.
- أن لا يعيش الأب عالمه الخاص، والأم في عالمها الخاص أيضاً في فهم الدين والحياة، معتقدين أن التفكير الخاص بهما سيكون التفكير نفسه الذي سيحمله الأبناء، إن الاعتقاد بذلك وحسن النية التي يحملها الآباء سوف تؤثر بصورة سلبية على تفهم واقع الأولاد. ولذلك من المهم أن يحمل الأبوان نوعين من الأفكار، الأول:

(1) Helicopter parents' have more meaningful lives, study finds. Child-centric parents say they derive more happiness than those who are less involved in their children's lives, researchers say. Rosa Silverman, The Telegraph, 2013.

أنهما زوجان عاشا في الشرق وتعلما من واقع الشرق، والنوع الثاني: هو ما يحمله أولادهم من واقع فكري فرضه المجتمع الغربي وواقع المدرسة هناك، بمعنى آخر أن على الأبوين أن يدركا بأن كل حركة من حركات المجتمع الغربي بتعقيداته لا بد وأن تترك بصمة ما على عقول الأجيال الصاعدة، حتى وإن كانت الحركات لا تؤثر على عقل الآباء.

- أن يدرك الأبوان أن ما يمكن أن يتحملا ليس بالضرورة أن يتحمله الأبناء، فالأب الذي هو في الخمسين من عمره أو أكثر ربما لا يتأثر كثيراً أمام مشاهد مثيرة أو فاضحة، ولكن ذلك قد يكون له أثر عميق ومختلف في نفسية الشباب.
- على الأبوين أن يدركا أن دراسة العلوم الدينية شيء وتطبيق تلك العلوم شيء آخر، فلا يعني أن إبنهم الذي درس العلوم الدينية أن يحمل في سلوكياته نفس القدرة من العلم التطبيقي، فهنالك أناس عمليون وهنالك أناس تطبيقيون، فليس بالضرورة أن يكون الابن ذا حس تطبيقي من نقل حضارة العلم الديني إلى واقع عملي يستفيد منه لمحاربة واقع الانحراف.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

1. القرآن الكريم.
2. فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الانماء القومي، بيروت 1993.
3. تحف العقول عن آل الرسول، الحراني 396.
4. تربية الطفل في الإسلام: تجده على: www.qsm.ac.il/userfiles/den

الانكليزية

1. Amy Levin and Linda G. Mills. Fighting for Child Custody When Domestic Violence Is at Issue: Survey of State Laws., Social Work / Volume 48, Number 4 / October 2003.
2. Anita L. Allen, "Cheating, the Big Mistake," in The New Ethics: A Guided Tour of the
3. Anju Malhotra, Rohini Pande, Caren Grown Impact of Investments in Female Education On Gender Equality. International Center for Research on Wome, Commissioned by the World Bank Gender and Development Group. 2003.
4. Anne Samuelson, Best Practices for Parent Education and Support Programs Issue #10, 2010 University of Wisconsin-Madison.
5. Baumrind, D. Child care practices anteceding three patterns of preschool behavior. Genetic Psychology Monographs, 1967. 75, 43-88.
6. Beatrice Gottlieb, The family in the Western World from the Black Death to the Industrial Age Oxford, 1993, pp. 120-125.
7. Bersamin, M.M.; Fisher, D.A.; Walker, S.; Hill, D.L.; and Grube, J.W. "Defining virginity and abstinence: Adolescents' interpretations of sexual behaviors", Journal of Adolescent Health, 41:182-188, 2007.
8. Bradford Wilcox, Steven L. Nock. What's Love Got To Do With It? Equality, Equity, Commitment and Women's Marital Quality The

University of North Carolina Press. Social Forces, Volume 84, Number 3, March 2006.

9. Brenda Cossman. Lesbians, Gay Men, and The Canadian Charter of Rights and Freedoms: Osgoode Hall Law Journal,VOL. 40, NOS. 3 & 4. 1982. (http://www.ohlj.ca).
10. Bruce D. Baker. Revisiting the Age-Old Question: Does Money Matter in Education...?, Albert Shanker Institute, Washington DC. 2010. (www.shankerblog.org).
11. Christopher Wildeman, Children of Imprisoned Parents- Un-Intended Causalities of the Prison Boom, Scholar Strategy Network.. 2011. (www.scholarsstrategynetwork.org).
12. Cornell University, Department of Policy Analysis and Management, MVR, Ithaca, NY. 2010.
13. Donald J. Hernandez, Nancy A. Denton, & Suzanne, E.: Children in Immigrant Families Looking to American's Future: Social Policy Report. Giving Child and Youth Development Knowledge a Way. Volume XXII, Number III 2008. A Publication of the Society for Research in Child Development Department of Sociology & Center for Social and Demographic Analysis University at Albany, State University of New York.
14. Dulce Zamora s,Your Child Spoiled Rotten? Experts tell parents how to decode the spoiled child. (ww.webmd.com/parenting).
15. Elizabeth Miller, Hanging Out or Hooking Up: Clinical Guidelines on Responding to Adolescent Relationship Abuse. Our vision is now our name. Formerly Family Violence Prevention. An Integrated Approach to Prevention and Intervention. 2012.
16. Eman Tiba, and Dr. Antoinette Miranda: Self-Concept in Muslim Adolescent Girls: Hijab and the School Experience. The Ohio State University, USA. 2012.
17. Evan Richter, Why You Should Spoil Your Spouse In A Down Economy. (http://www.huffingtonpost.com)
18. Family Science Specialist, North Dakota State University Agriculture and University Extension., JULY 2005
19. Family, pages 95-112. Kuala Lampur: Sisters in Islam. 2009.
20. from the Sixteenth to the Twenty-First Century. Cambridge: Cambridge
21. Howell and Debra K: Gleason. Youth Gang Drug Trafficking James. U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention. 1999. (www.ncjrs.gov).
22. James A. Therrell, Age Determination Guidelines - Consumer Product Safety - i2002. Based on work performed under contract by Play Today. Principal Author:... Age Labeling and Determinations..... Dolls & Stuffed Toys.(www.cpsc.gov).

23. Jan Horwath, Janet Lees, Peter Sidebotham,John Higgins and Atif Imtiaz: Religion, beliefs and parenting practices A descriptive study November 2008. (www.jrf.org.uk).
24. Jane O'Reilly, Wife Beating: The Silent. Time Magazine. Crime Monday, Sep. 05, 1983.
25. Janet Currie and Enrico Moretti: Mother's Education and the Intergenerational Transmission of Human Capital: Evidence from College Openings. (www.emlab.berkeley).
26. Jessica Blankenship, The Social and Legal Arguments for Allowing Women to Go Topless in Public, Advocates of female toplessness say current laws enforce damaging views of women's bodies. The Atlantic Magazine, Sep. 18, 2013. (www.theatlantic.com/national).
27. Jessica Halliday Hardie and Amy Lucascorresponding: Economic Factors and Relationship Quality Among Young Couples: Comparing Cohabitation and Marriage. National Center for Biotechnology Information, U.S. National Library of Medicine, Bethesda MD, USA. 2010. (http://www.ncbi.nlm.nih.gov).
28. Jessica L. Collett, What Kind of Mother Am I? Impression Management and the Social Construction of Motherhood, Symbolic Interaction Volume 28, Number 3, 2005.
29. Joe McIlhaney, Freda McKissic,. Hooked: New Science on How Casual Sex is Affecting Our Children November 28th, 2011.
30. Judy Gruen. 10 Tips to Help Your Teens Stop Swearing. 2011. (www.judygruen.com).
31. Julia Rosenthal, Laureen Moreland, Ashly Powers, Megan Packard, Marika Heinicke, Oscar Ramos, Gabriel Camacho, Michael Mattar, Syed Kinza. A Compression of Cultures: The United States and the Middle East. Bridging the Gap A Presentation by Dr. King's Psychology of Human Development II Class Order of Presentation, 2010.
32. Julie Fitness, Betrayal, Rejection, Revenge, and Forgiveness: An Interpersonal Script Approach. Macquarie University. Interpersonal rejection (pp. 73-103). New York: Oxford University Press. 2001.
33. Katie Roiphe: The Seven Myths of Helicopter Parenting. Don't fool yourself into thinking you're not one, because you probably are (http://www.slate.com).
34. Khalid Durn, Daniel Pipes: Muslim Immigrants in the United States. Center for Immigration Studies. August 2002. (www.cis.org/USMuslimImmigrants). Retrieved January 3, 2014.
35. Kimberly Grede, Kathleen, A. Olson and Heather Lee, Positive Discipline: A Guide for Parents, University of Minnesota. 1999.
36. Kristen Reilly, The Economic Consequences of Divorce: The Role of Child Support, Labor Force Participation and Means Tested Transfers over Time,

Honors Thesis Policy Analysis and Management. College of Human Ecology, Cornell University, 2009.

37. Kugle, S. S., A Homosexuality in Islam: Islamic reflections on gay,
38. lesbian, and transgender Muslims. Oxford: Oneworld. 2010.
39. Lisa Mancini and Professor Briggs. Father Absence and its Effects on Daughters. 11 May 2010. (http://library.wcsu.edu).
40. Louann Brizendine, Minding menopause.....? Current to Psychiatry Primary care, Vol 1, No. 2, March 2005.
41. Madeline Levine, Teach Your Children Well. Parenting for Authentic Success Harper/HarperCollins Publishers. 2012.
42. Maghiniyyah, M. J., Marriage According to Five Schools of Islamic Law, volume 5. Tehran: Department of Translation and Publication, Islamic Culture and Relations Organization. 1977.
43. Mandana Hajj and, Ugo Panizza. Religion and Education Gender Gap. Are Muslims Different? Department of Public Policy and Public Choice - POLIS Working paper n. 70 February 2006 Universita' Del Piemonte Orientalr "Amedeo Avogadro" ALESSANDRIA. 2006.
44. Mary May Larmoyeux, 14 Things Your Daughter-in-Law Wants to Tell You, "Good mamas want their kids to have good marriages.", (http://www.familylife.com).Retrieve January 15, 2014.
45. Mathews, T. J., and Brady E. Hamilton: Trend Analysis of the Sex Ratio at Birth in the United States, CDC, Division of Vital Statistics, National; Vital Statistic Report: Volume 53, Number 20 June 14, 2005.
46. Matthew Freedman, Emily Owens. Low-Income Housing Development and Crime,.
47. Meyrowitz, Joshua (1995) "Mediating Communication: What Happens?" in John Downing, Ali Mohammadi and Annabelle Sreberny-Mohamadi (eds) Questioning the Media, Sage, Thousand Oaks, pp. 39-53.
48. Murray A. Straus and Gerald T. Hotaling. The Social Causes of Husband-Wife Violence.
49. Naomi Weeks, Effects of Pornography on Relationships, Families and communities, Utah State University Cooperative extension, 2010.
50. Nenad Jevtic, Biljana Pipovic, The Influence of Media on Teenagers, Mentor: English teacher, 2010. (www.nokesoft.com).
51. Pamela Bremner, Jamie Burnett, Fay Nunney, Mohammed Ravat, Willm Mistral. Young people, alcohol and inA study of young people and their relationship with alcohol, 2011.
52. Patrick F. Fagan, The Real Root Causes of Violent Crime: The Breakdown of Marriage, Family, and Community. The Heritage Foundation. (http://www.heritage.org). March 17, 1995.
53. Peters, R., Crimes and Punishment in Islamic Law: Theory and Practice.

54. Rachael Rettner, More Couples Living Together Outside of Marriage, 2013, (www.livescience.com).

55. Rick Reynolds: 20 Most Common Mistakes of the Unfaithful Spouse.. 2008. (AffairRecovery.com).

56. Robert Weiss. Closer Together, Further Apart: The Effect of Technology and the Internet on Sex, Intimacy and Relationships. Are Young Women Avoiding Marriage? Love and Sex in the Digital Age. August 14, 2013. Psychology Today.

57. Robin Hanson, Virginity Is More Important To Men Than Women Would Admit. August 18, 2010.(www.heartiste.wordpress.com).

58. Rosa Silverman, Helicopter parents' have more meaningful lives, study finds. Child-centric parents say they derive more happiness than those who are less involved in their children's lives, researchers say. The Telegraph October 31, 2013. (www.telegraph.co.uk).

59. Sandra E. Black, Paul J. Devereux, Kjell G. Salvanes. Too Young to Leave the Nest? The Effects of School Starting Age, Institute for the Study of Labor April 2008.

60. Sarah Allen, and Kerry Daly. The Effects of Father Involvement: An Updated Research Summary of the Evidence Inventory Centre for Families, Work & Well-Being, University of Guelph Canada, 2007.

61. Sean Brotherson. Keys to Enhancing Brain Development in Young Children,

62. Sheryl Faber, The Effects of Clothing on the Self-Esteem of Teen Girls, (www.everydaylife.globalpost.com). Retrieved on January 15, 2014

63. Stefania Marcassa: Divorce Laws and Divorce Rate in the U.S. A Global Working Group, Working Paper Series, Human Capital and Economic Opportunity Working Group, Economic Research Center, University of Chicago, 2011.

64. Stephanie Sarkis, 30Quotes on Parenting: Learn what these well-known people had to say about parenting. Psychology Today: Published on September 25, 2012.

65. Steve Harvey, Act Like A Lady - Think Like A Man. What Men Really Think about Love, Relationships, Intimacy, and Commitment. HarperCollins e-books. Retrieved January 16, 2014.

66. Steven M. Cohen, March 16, 2008, Filed Under: World Jewry - Changes in American Jewish Identities: From Normative Constructions to Aesthetic, (www. http://jcpa.org).

67. Susan Pease Gadoua, Contemplating Divorce, Whether you should stay or go, (www.psychologytoday.com).

68. Tamekia Reece, Teaching Your Kid to Make Good Decisions. Parents Magazine, November 2012.

69. Twenty-First Century Moral Landscape (New York: Miramax Books, 2004), 28-57.
70. University of Minnesota Press Minneapolis. 1980.
71. University Press. 2005.
72. Victoria Talwar, Kang Lee, Nicholas Bala, and R. C. L. Lindsay: Children's Lie-Telling to Conceal a Parent's Transgression: Legal Implications. Law and Human Behavior, Vol. 28, No. 4, August 2004. (http://www.talwarre-search.com/).
73. volume 5. Tehran: Department of Translation and Publication, Islamic Culture
74. Wadud, A., Anwar, Z. Islam beyond patriarchy through gender inclusive Qur'anic analysis.., editor, Wanted: Equality and Justice in the Muslim Family, pages 95-112. Kuala Lampur: Sisters in Islam. 2009.
75. Ziba Mir Hosseini: Criminalizing Sexuality: Zina Laws as Violence Against Women in Muslim Contexts, The Global Campaign to stop killing and stoning women. Women Reclaiming and redefining culture program. Women Living Under Muslim Laws. 2010.

التقارير العلمية والدراسات

1. 2013 Public Report on the Terrorist Threat to Canada. (http://www.pu-blicsafety.gc.ca).
2. A Guide to Creating Teen-Adult Conversations in Your Community.2010. (www.whatkidscando.org).
3. A Parent's Guide to Understanding Teenagers, Oxfordshire Children's information Center, UK. 2010.
4. Advance Praise for Pathways to prosperity: Preparing young Americans for the 21th Centry, Harvard Graduate School of Education. January 2011.
5. Advice for schools, Brief guidance for handling Muslim parental concern, Published by: British Muslims for Secular Democracy. 2010.
6. Advice to the Daughter-in -law, Saleeha Bhamjee. (www.idealmuslimah.-com). Retrieved January 16, 2013.
7. Are You Ready For Marriage? How Pre-Marital Counseling Can Help...? Brought to you by the California Association of Marriage and Family Therapists, 2010.
8. Boy-Girl Relationships In Islam, Getting Serious About Boy-Girl Relation-ships in Islam. The Calif Speaks. (http://caliph.wordpress.com). Retrieved January 16, 2014.
9. Bullying Statistics / Cyber Bullying Statistics / School Bullying Statistics, Based on 2004 i-SAFE survey of 1,500 students grades 4-8.

10. Changing Patterns of Nonmarital Childbearing in the United States". CDC/ National Center for Health Statistics. May 13, 2009. Retrieved October 2012.

11. Children Are Not Little Adult, Children's Health and the Environment, WHO Training Package for the Health Sector, World Health Organization. (www.who.int/ceh)).July 2008 version).

12. Counseling Muslims Handbook of Mental Health Issue and Interventions: Sameera Ahmed and Mona M. Ame. 2012. Routledge Taylor and Francis Group, New York. (http://www.routledgementalhealth.com).

13. Discrimination Against Muslim Women. Women's right Projects (www.a-clu.org/womensrights). 2010.

14. Early Marriage, Child Spouses, Inocenti Digest No.7 - March 2001. Unicef Inocenti Research Center, Florence, Italy.

15. Encyclopedia Britannica Online, Adultery and Infidelity. Britannica.com. Retrieved December 1, 2013. تعريف مصطلح الزنا والخيانة الزوجية

16. Guidelines on International Protection: Religion-Based Refugee Claims under Article 1A(2) of the 1951 Convention. and/or the 1967 Protocol relating to the Status of Refugees. The UN Refugee Agency. HCR/GIP/04/ 06. 28 April 2004. (http://www.refworld.org).

17. Guiding Children Toward positive and responsible behavior. (ww.education.vic.gov.au).

18. Improving Mother/child Interaction To Promote Better Psychosocial Development in Children. Program of Mental Health. WHO/MSA/MHP/ 98.1 English only. 1997. (http://www.who.int/mental_health).

19. Infidelity Statistics - Truth About Deception, (www.truthaboutdeception.-com). موقع احصائيات العلاقات الجنسية غير الشرعية في الغرب

20. Is it legal? A families' guide to the law, Family and Parenting Institute 4th Edition June 2011.

21. management, the Paternity Establishment Percentage team, the Establishment Work Improvement Team, a teen focus group, and current and former Michigan teachers, as well as staff of the Department of Education and the Department of Community Health. State of Michigan, Department of Human Services, Lansing.2010.

22. Marriage and Domestic Partnership, Stanford Encyclopedia of Philosophy. First published Sat. Jul 11, 2009; substantive revision Wed Aug 8, 2012, Retrieved January 15, 2014.

23. Meeting the needs of Muslim pupils in state schools Information & Guidance for Schools.

24. Morbidity and Mortality Weekly Report: Teen sexual activity rates have been dropping for over a decade, and now the majority of high school students are virgins. Centers for Disease Control, "Youth Risk Behavior

Surveillance - United States, 2005 55:SS-5 (June 9, 2006): 19; Centers for Disease Control.

25. Muslim & Islam in the United States, Fact Sheet, Tantenbum Center for interreligious understanding. 2012.
26. Muslims In America- A statistical Portal. (www.iraq.usembassy.gov).
27. National Marriage and Divorce Rate Trends. (http://www.cdc.gov).
28. Office of Child Support managers and training staff, Office of Child Support performance.
29. Parent's Guide to New York State Child Neglect and Abuse Laws, New York City Children's Services, Office of Community Partnerships 2010. (www.nyc.gov/acs).
30. Seeds of Success Seeking solutions for teen mothers and their children. by TransCanada Corporation, in honor of Sarah Raiss. Teenage Mothers. 2010. United Way, Calgary Area. Canada.
31. Sexual Behavior and Children: Harberview center for sexual Assault & Trauma Stress., Washington. USA. 1985 (www. Hcsats.org).
32. Sociology/Founding the discipline". Encyclopedia Britannica. Retrieved January 5, 2013.
33. Spousal Abuse, Prepared by the Canadian Resource Centre for Victims of Crime, 2010.
34. Suicide Prevention, Featured CDC Programs, Featured Resources Youth Suicide, Center for Disease Control and Prevention (www.cdc.gov/violenceprevention). Retrieved January 15, 2013.
35. Teens, drugs & violence, A special report, 2007 Office of national drug control policy. (https://www.hsdl.org).
36. The Daily. Statistics Canada. November 20, 2003.(www.statcan.gc.ca).
37. The Responsibilities of Parenting, - R U Ready...? A Student's Guide to Child Support.
38. This product has been reviewed by workgroups from the Department of Human Services.
39. Towards Greater Understanding: The Muslim Council of Britain. (www.mcb.org.uk).
40. What you should know about family law in Ontario, Published by the Ministry of the Attorney General, 2012.
41. When Divorce Happens...? Things to Think About A Guide For Personnelists and Employees Defense Civilian Personnel Management Service Field Advisory Services Division, Benefits and Entitlements Branch, Updated March 2009.
42. Youth Suicide: Fact Sheet". 30 March 2006. Retrieved 04 October 2011.

المواقع الإلكترونية

1. www.canada.ca موقع كندا الإلكتروني
2. ww.michigan.gov موقع ولاية مشيكان الأمريكية
3. www.chastity.com/seminars/statistics/statistic تقارير عن العفة في الولايات المتحدة
4. www.cincinnati-oh.gov الموقع الالكتروني لمدينة سنسناتي الأمريكية
5. www.coej.org موقع الخوجة الاثنى عشرية
6. www.en.wikipedia.or موقع مدينة أوستن عاصمة تكساس
7. www.en.wikipedia.org شخصية لطفي زادة
8. www.en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality معلومات عن ظاهرة الشذوذ الجنسي
9. www.en.wikipedia.org/wiki/Religion_and_homosexuality
رأي الاديان بظاهر الشذوذ الجنسي
10. www.en.wikipedia.org/wiki/Seattl مدينة سياتل في ولاية واشنطن
11. www.es.wikipedia.org/wiki/Oprah_Winfrey. لمعرفة المزيد عن اوبرا وينفري
12. www.iipdigital.usembassy.gov لمعرفة عدد المساجد في أمريكا
13. www.islamicity.com. Retrieved January 17, 2014.
موقع المدارس الإسلامية في أمريكا
14. www.now.org National Organization for Women.
15. www.waitingtillmarriage.org
موقع يقدم إحصائيات عن العلاقات الزوجية وخيانتها في الغرب
16. http://en.wikipedia.org/wiki/Culture مادة ثقافة

المحتويات